کتابخانه مجلس سنا

اسم کتاب رسائل ابی بکر الخوارزمی

اسم مؤلف ابوبکر الخوارزمی

چاپی خطی ضدوستان ۱۴۰۱

موضوع

شماره دفتر ثبت ۱۷۲۲ ~~۵۷۱~~

شماره ترتیب درقفسه

ملاحظات

رسائل ابوبکر خوارزمی

در تاریخ ۳ ر ۱۱ ر

رسائل ابی بکر الخوارزمی.

PJ
۷۷۵۰
/خ۹
ر۵
۱۲۶۲

الخوارزمی، محمدبن العباس، ۳۲۳-۳۸۳ق.
[رسائل]
رسائل ابی بکر الخوارزمی.— [بمبئی؟] ۱۲۵۱ق=
۱۲۶۲.
۲۵۰ص.
چاپ سنگی. بخط محمد حسن ابن علی الکازرونی.

۱. ادبیات عربی — قرن ۴. الف. عنوان.

PJ۷۷۵۰/خ۹ ر۵ ۱۲۶۲

XXVL-D-1

هذا
رسائل ابي بكر
الخوارزمي

كتابخانه محجوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين
هذه رسائل الاستاذ ابى بكر الخوارزمى رحمه الله تعالى

كتب بها الى الحاجب ابى اسحاق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله تعالى

وفقك الله فى مراجعة الحق لما تستحق به انتهاء محنتك، والهمك فى استيفاء شرائط التوبة ما يطرق لك النهوض من صرعتك، ولا خلصك الله مما انت فيه من جناية غيرك عليك، حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك اليك، فان نفسك اعظم خصميك، وان كانت اصغر هما لديك، وقد مثلت يدك الله بين ان احرشك كلامى وافوق نحوك سهامى، واقضى بذلك حق عظمتك، واخرج من عهدة ما يلزمنى فى هدايتك، وبين ان الين مس قولى لك، فتبقى فى نفسى حاجة من نصيحتك، فرأيت الاول على وجهى والى الصواب اقرب منى، اوانا اقول، اخوك الذى ان اجرضتك ملمة ... من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما
ولا اقول، وليس اخوك بالذى ان تشعبت ... عليك امور ظل يلحاك لائما
اصاب الموقش ايدك الله فى بيت لواجم، ولم يصب فى بيت اللائم، وكيف يمكن الطريق لرشده فى غده، دون ان يلام على غيه فى امسه، وكيف يتوصل الى تحسين الصواب الآنف، الا بتقبيح الخطاء السالف، وكيف لا يلام المسيء والنهى عما بعد يقتضى اللوم على قبل، وكما لابد فى الكلام من الاثبات والنفى كذلك لابد فى العظة والنصيحة من الامر والنهى فاللوم اذا على هذه القضية اجدر، اذ كانت النصيحة التى عليها قامت، وبها استقامت، وهل يلوم المرء الا اخوانه

الاقارب

الاقارب، وهل يوخى له عنان العذل ويتجوز معه فى اللوم الا معارفة الاجانب
واذا فرغت للحق زاوية من قلبك، وحكمت على هواك لعقلك، علمت ان ما تكره فيما تحب، خير لك مما تحب فيما تكره، وان دواء تستبشعه وفيه شفاؤك، خير من غذاء تستلذه وفيه داؤك، ولئن كان ظاهر كلامى يلدغك، فان باطنه لينفعك، وانت ايدك الله تعلم انك كنت من الذل فى مكان يتخطاك فيه الناظر، ويدوسك الخف والحافر، لا يشرفك نسب، ولا هو فعك ادب، ولا هو جوك صديقك، ولا يخافك عدوك، عن يمينك الخمول، وعن يسارك الذبول وبينهما الفقر الذى لو قسم على الاغنياء، لصاروا فقراء، والضعف الذى لو فرق على الاقوياء، لعادوا اضعفاء، تصبح فى قلق، وتمسى فى ذلك، وتروح الى انثى وتغدو الى طفل، فانصفك الدهر الظالم، وانتبه لك البخت النائم، واراد الله تعالى ان يرفع من جلتك، ويقوم من قنوة حدبتك، فينظر كيف تعملون، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون، فاتصلت من فى نعمتك بحبل لو اتصل به الاديار، لتقدم الاقبال، ولو خدمه النقص لفضل الكمال، ولو تعرف اليه الجماد لنطق بحمده، ولو استجار به امس الدابر لرجع بسعده، فما هو الا ان نسبت اليه، وحسبت فى آثار يديه، حتى قالت الايام بسلاحه، وطرت الى المنى والمطالب بجناحه، وحتى طمحت الى امور كنت عنها مطروفا، وخطوت الى اشياء كنت عنها قطوفا،

ومثل الذى نلته حافيا	يؤثر فى قدم الناعل

وحتى زارك قوم لو زرتهم فيما قبل لطال وقوفك بين الدار والباب، وكثر تردد بين الاذن والحجاب، وخدمك اناس منهم احد الا وقد لاحظته بعين هائب، ونقلت اليه قدم راغب وراهب، هذا الى استسلابه لك من الورى، بيد الهدى، واخراجه اياك من ظلمة العمى والتقليد الى نور العدل والتوحيد، فلزيك ولاؤه مرتين، واحاطت برقبتك نعمته من جهتين لانه انقذك من النار كما انقذك من العار، واعتق رقبتك من اسر الضلال كما اعتقها من ذل السؤال، فكانت نعمته عليك مضاعفة، وصنيعته اليك مداخلة، وكان ذلك بعين احسان الله تعالى بمد نفيس احسانه اليك

لتؤدى زكات الاحسان وتجتمن الصنيعة باليد واللسان ويديك يقظان مالم تحتلم بروسنان ويزف اليك من ابكار الصنع مالم تخطبه بهمتك ولم تستوجبه بقيمتك الى ان اصلح عليك الدهر الطالح وملكك عنان البخت الجامح وانت سكران من خمر اليسار والغنى غريق في لجج المطالب المنى لو طلبت النجم لوقبت اليه بسلم معك او طرت نحوه بجناح لك والاقبال يستر عيوبك والامهال يغفر ذنوبك ولاستر اكشف من اقبال ولا شفيع انجح من اهمال والدولة تجعل البعيد قريبا والجدير الخطئ مصيبا والمجد ودبمر بيديه مالا يهواه المحدود بعينيه ويتناول قاعدا مالا يتناوله غيره قائما ولا رسول اسرع من برهة ولا مستحث اوحى من يسر بلا عسر فلما جازيت النعمة بالكفران ونسيت هل جزاء الاحسان الا الاحسان نظرت الايام اليك شزرا وابدلتك باليسر عسرا فاصبحت تلك البوارق هي صواعق واستحالت تلك المواهب هي مصائب وتقاضاك دهرك ما اسلف واستانف بك خلاف ما سلف والدهر غريم لا يهاطل اذا اقتضى وحاكم لا يراجع اذا قضى ومعيد اذا لم تحفظ عارية ارتجع ومعط اذا لم تشكر عطية منع ومؤدب اذا لم يتعلم منه عاقب واذا تعلم منه ادب وهذب على انى ما رايت معلما احسن تعليما من الزمان ولا متعلما اسوأ تعلما من الانسان فها انت قد ذممت حامدك ورحمت حاسدك واعتقبت اوزار الندامة ورضيت من الغنيمة بالسلامة وكانت الايام تعدنا بك فاوعدتنا فيك وخلف ليل الشك نهار ووراء سكر النعمة خمار فانت الآن عليل دواؤه التوبة وجريح شفاؤه الرجعة والفيئة فان قبلت توبتك فقد انقطعت مدة الداء وظهرت بركة الدواء وان تكن الاخرى فربما قد خلف الدواء شاربه وخان الرجاء صاحبه فيا طبيب نفسه ارفق بها ويا مداوى جراحته الطف لها واعلم انه قد كان شكر الرخاء اهون من مصابرة البلاء وكان حفظ الصحة ايسر من معالجة العلة ولو وجدتك العافية من اكفائها لما طلقتك ولو رأتك النعمة مرتقفا لما فارقتك واقل ما كان يجب

لصاحبك

لصاحبك عليك ان لا تستعين بنعمته على كفران نعمته ولا تكتب حسنة في جريدة سيئة ولا تتل عليه من لسانك سيفا يدمي صقلته ولا تشرع اليه من كلامك رمحا كهمته

لقد جانيت بالاحسان سوءا	اذ وصبغت عرضك بالسواد
ورحت تسوق عير الكفر حتى	انخت الشرك في دار الجهاد

فيا ايها الرجل وكلكم ذلك الرجل كم تمتكون حجب العوارق بيد الكفران وكم تصافحون النعم بالبغي والعدوان وكم تقضون ختام العافية بالعذر وكم تسرون الخيرات بقلة الشكر وكم لا تبرزون الصنائع في معرض من حسن الذكر ولا تقلدونها حلية من طيب النشر وكم تتبعون الوفاء بالملق وتنادون على الامانة كما ينادى على الثوب المخلق وكم تقبحون في النعم وتحسنون في النقم وكم تجهلون ما عرفه الخطيئة مع خبث مذهبه ولؤم موكبه حيث يقول

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه	لا يذهب العرف بين الله والناس

اعلم ان كفران النعمة لواحد الشرع لحرمة الطبع ولو جاز من طريق الملة والديانة لحظر من طريق المروة والصيانة فان للمحسن من الله عينا كالئة لا تنام وان وراءه من واقية الاحسان ركنا منيعا لا يرام ومن تقلد نعمة الله من انسان فقد ضمن له عهده وصار في حكم الاحسان عبده واذا خدم غيره وهو حي فقد خان الاول في نعمته وغش الثاني بخدمته وهل يبرأ العليل بين طبيبين وهل يسع العبد سيدين وهل ينطق لسان واحد بشكرين او يتسع قلب احد لمحبة اثنين ولهذا الشان طلقت الناس ثلاثا وفارقت المدح بتاتا لما وردت من الوزر على من جحد نعمة غيره تعد كبيرة ليس لها غفران وسيئة لا يمحوها احسان فلما رايته علمت ان الايام قد خبأته لي ذخرا واعدته لي عذرا واراد الله تعالى ان اعاشر الناس حراونذلا واجوب البلاد حزنا وسهلا حتى ذاجبت الآفاق وقلبت الاخلاق وصارت الارض في عيني اذرا فهجم بي السعد على حسنة الايام وغريبة الانام ونصفة الدهر المظلوم ومكرمة العالم اللئيم فاذا هو ضالة رجائي الحائم وبغية قلبي الهائم فخصصت به جريدة المدح والثناء

واغلقت باسمه بابا الاستماحة والرجاء، وفتحت له مغاليق فكري ودفعت اليه مقاليد نظمي ونثري واقطعته لساني غير منقطع، ووهبت له قلبي غير موجع، و نظرت الى ابي الطيب الى اتيانه قرض حكمته، وتفاوت همتي في فعلته، حيث قال في سيف الدولة

لا تطلبن كريما بعد رؤيته	ان الكرام باسخاهم يداختمواء
وقال في كافور الاخشيدي	
قواصد كافور توارك غيره	ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفاء علقا خطيرا، واعتاض من الطمع ثمنا يسيرا، وحال ضباب الحرص والرجاء، بينه وبين العهد والوفاء، وكان يضايق نفسه في اختيار المتاع، ويسامحها في اختيار المبتاع، ويخلع خلعة من نظمه تساوي بدره، على عرض من لا يساوي بعره، ويوقف كريمة من كرائم شعره، الا من لم تقم عنده كريمة، ولم تعرف له قيمة، لو راى الطمع في بحر فارة لدخله، ولو اتاه الدرهم من است كلب لما غسله، فلاجرم ان الناس كما استحسنوا قوله استقبحوا فعله، وكما اعجبوا بشعره، تعجبوا من عذره، يشكر ثم ليشكوا، و يمدح ثم يهجو، ويشهد ثم يجرح شهادته، ويعطي ثم يسترجع عطيته، فكم من حر فضله ثم ثلبه، وكم من عرض كساه ثم سلبه، وكم من صحفة اكل منها ثم بصق فيها، ولكن في قميص ابي بكر رجلا اذا اعطى لم يهجه، واذا طلق لم يراجعه، واذا بنى لم يعد على بنائه بالهدم، واذا مدح لم يبطأ على عقب مديحه بالذم، واذا طيب فكيره بالمدح للكريم، لم يلطخهما بمدح للئيم، واذا زوج كرائمه كفوا حجبهن ان يتبرجن الا لديه، ويجتليهن غير عينيه، وانما الغدر من اخلاق النساء فمن تعلق بطرف منه فقد رغب بنفسه عن كمال الذكوان، وجذبها الى شق النسوان، وهو اذا مخنث من حيث الخلق، غير مخنث من حيث الخلق، وقد يصلح الانسان خلقه، ولا يمكنه ان يغير خلقه، فالغدر اذا على هذه القضية هو التخنيث الاكبر، والتانيث الاعم الاكثر، والوفاء حمية القلب كما ان التوقي من الطعام والشراب حمية الجسم، وثبات الحمية من قوت الحمية وحفظ العهد من شرائط الرجولية، وانني لا عجب ممن يعادي المقبل والله

معه، والايام مذللة، وداعية الجد خلفه وقدامه، وقد رايت ما صار اليه مصارع اعداء هذه الدولة، وختمت باحوال حساد هذه النعمة، فقد خمدت اقتاتهما وقرعوا صفاتهما، فاحتموا واصطلموا، فملك بيوتهم خاوية بما ظلموا، طافت الايام على الوزير بمنايا هم، فابقاه الله تعالى وافناهم، ولم يزل نقصهم يحارب كماله، وادبارهم يزاحف اقباله حتى اجلت معركة العواة عنه راضيا وعنهم ساخطين، واقتعد غيرة الايام والليالي عنه قائما وعنهم مصروعين

فلو لم تبق لم تعش البقايا	وفي الماضين لمن يبقى اعتبار

عافاك الله امش مع الدهر كما يمشي، واجر مع الفلك كما يجري، وارفق بمن رفقت الايام به، وارع لمن رعت السعادة له، ولا تزاحم الفلك الدوار، ولا تناطح الاقسام والاقدار، ولا تصغر الكبار، ولا تتحكم على الدهر فان الدهر حاكم لا يحكم عليه، ومسلط لا يؤخذ ما في يديه، وانزل حيث انزلك الاستحقاق وخذ ما سمحت به لك الارزاق، ولا تجلس على طريق السيل الراغب، ولا تطعن في بحر القضاء الغالب، ولا تحارب جيش السعد، ولا تطاعن جد الجد، ولا تستسلف اجلك، ولا تتناول ما لم يوضع لك، واحذر قوس الخذلان، فانها نافذة الرمية، صريعة الرمية، قد والله اوجعت بهذا العتاب قلبك، وجاوزت بالعقاب ذنبك، ولكني عاتبتك لك، وحاربتك عنك، رجاء ان يستخشن بمس هذا الكلام لك، ويستحسن تالم وقع هذه السهام بك، ولولا ذلك، لم اذقك مرارته، ولم اعرض لطيف ما بيني وبينك له، وما اغتم لك من الحبس وروعته، ولا من الهوان ولذعته، كما اغتم من نظر ولي نعمتك اليك، ووقوع بصره عليك، وقد تعدت تحت عباءته، وقابلت احسانه بكفره، وزرعت منك النعمة في بقعة لم تزدر يعاء، ولم تجلب نفعا فانا ابكي لك من يوم اطلاقك لا من يوم حبسك، واتفكر في ساعة سعدك لا في ساعة نحسك، فقد شغلني الخجل عن الوجل، ونسيت لقبح الموقف الثاني هول الموقف الاول، فلا غضاضة عليك، من امتداد يد الدهر اليك، فان امير المؤمنين وفعله، لكالدهر لا عار بما صنع الدهر

وكتب الى كثير بن احمد لما هرب من الامير ابى الحسن

كتابى الى الشيخ وانا فى خمار شربت من يد الدهر، فقد كانت بشعة الخمرة، طويلة السكرة، قليلة النفع كثيرة الضرر، والحمد لله تعالى على حفظه على الدين وان ذهبت الدنيا، وعلى ان صودرت على المال لا على العرض والتقوى، وصلى الله على محمد خير الورى، خرجت ايها الشيخ من نيسابور وانا زاملة شكر وثناء وحمال مدح ودعاء، وقيل نجل وحياء، اذا تفكرت فى كثرة اعدائى وقلة شفعائى، وفى ضعف اعوانى وقوة خصمائى، ثم نظرت الى وقد خرجت من تلك الغمة، وشققت رداء تلك الظلمة، موفر الحال والمال، صحيح العرض والجمال، لم تنشب فى اظافر الفقر، ولم ينفذ فى حكم الدهر، علمت ان الشيخ قضى عنى يد المحنة وهى طويلة، وصرف عنى ولاية النحوس وهى بسيطة، ولو بلغه غاية مراده امكانه، وساعده على نيته فى زمانه، لعجب صروف الدهر عن فنائى ولقام بين الحوادث وبين لقائى، عرفنا الله تعالى له نيته، وبلغه فى الدنيا والآخرة امنيته، ولا زالت نعم الله تعالى عليه ضافية، وايامه من الغير صافية، ولا زال كما لم يزل عليه رقيب من عدله، ومعه وزير من عقله، وله مادح من فضله وطوله، ووراثه واقتفى قوله وفعله، فلعمرى لئن كنت اشكر لمن وهب لى مالا انى لمن وهب لى وحى اشكر، ولئن توفر على افضال من اغنانى فان افضال من استبقانى ولو شاء افنانى وفر، فقد جاد على الملوك بالصلات، وجاد على ذلك الامير بالحيات، فهناه الله بهذا الشكر الغريب، وهذا الثناء العجيب، وذلك انى اشكر الملوك على انهم اغنونى واشكره على انه لم يفقرنى، وامدحهم لانهم احيونى، وامدحه على انه لم يقتلنى، واعتد لغيره، ان بذل لى كل خيره، واعتد له بان كف عنى بعض شره، والشكر على قدر الاحسان، والسلع بازاء الاثمان، والسلام

وكتب الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة

اطال الله بقاء سيدنا من بعض مطارح الغربة، ومساقط النكبة، فانا فلا

اثر من

من فلول هذا الزمان، لا بل فلز من فلول هذا السلطان، والحمد لله على سلامة الروح والمهجة، وان كانت سلامة ضعيفة المنة، رقيقة الكسوة، ثقيلة الحركة، قليلة البركة، ليت بينها وبين الهلاك الاقرب من خطوة، واسرع من لحظة، ذكر الشوق فما بينه وبين السيد رجع من القول، وكلفة من كلف النقل والفصل، على انى والله مشتاق اليه، شوقه الى ابتناء العلاء، ومشتهه للقائه شهوته لبذل الندى اذكره وان كنت لا انساه، والقاه بقلبى وان كنت لا القاه، واسأل الله تعالى ان يهبنا سلامة سليمة، واستقامة احوال مستقيمة فلا شاى احوج من السلامة الى السلامة، ولا الى الاستقامة من الاستقامة، وان يجعل اقسام صنعه لديه، واحسانه اليه متناصرة متوافدة، ومتلاقحة متوالدة قد رأى السيد ما كان من العلانية حين فوقت نحوى سهامها، ونشرت طى اعلامها، وتسلحت على بالسعاية وهى سلاحها الذى به تقاتل، ويدها التى بها تطاول، والسعاية سلاح من لا سلاح له، والنميمة كيد من لا كيد عنده وشر من الساعى من انصت له، وشر من متاع السوء من قبله فلما رأيت بينى وبين الموت حجابا رقيقا، وحجزا دقيقا، ورايت نفسى قد اكتنفها اربعة اشياء ما منها شئ الا وهو يقرب عليها مسافة الممات، ويقطع عنها علائق الحيات، خصم فاجر، وسلطان جائر، وبخت عاثر، وزمان غادر، اثرت الغربة على وطن معه اذى، واخترت الظمأ على شراب فيه قذى، وفارقت دار الهوان والحمية تتبعنى وعزة النفس تشيعنى، ولهم الصيانة رفيق وزميل، ومعى من العزم هاد ودليل، وليست تبعد على العزم مسافة، ولا تصعب مع الارادة شقة ولا مشقة، وما علمت انى اعيش حتى اصادر على اللسان، واسلف الشكر قبل الاحسان، وقد كنت رايت حاكما يجر على يتيم اومعتوه فى وفره، ولم ار اميرا يجر على كاتب فى كتابته او على شاعر فى شعره، وانما الشكر ايد الله السيد فربما عاجز، ان منع عن سننه قطع ارسانه، واستلب عنانه، فشقى به سائسه، وهلك معه فارسه، والشعر ينقلب مع الجود حيث كان، وهو تاد المعروف والاحسان، وانما هو ماء سارب، بل سيل زاعب، اذا سد عليه

طريقة خرق في الارض خرقاء وجعل لنفسه طريقا بل طرقاء وما اشبه من اكره الالسن على مدحته الايمن اكره القلوب على محبته يحب المديح ابو خالد و يضجر من صلة المادح كبكر يتحب لذيذ النكاح وتفرق من صولة الناكح

وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله

كتابي ولو استقبلت من امري ما استدبرت وقدمت من رأيي ما اخرت لما امضى الفراق فينا حكمه ولا انفذ فينا سهمه ولا قنا جميعا او رحلنا معا ماني لاظلم الفراق ذ شكوته واتعفف الدهر اذ هجوته وبيدك ضربائي ومن سهمي رميائي فانا كالقاطع يده بيده والفاجع نفسه بنفسه ومطرق الفراق الى قلبك طوى المنازل عن جنبيك دائما واظل ابكيه بدمع ساجم هلا اقمت ولو على جمر الغضا قلبت او حد الحسام الصارم ما تذكرت تلك الايام التي سلبنيها الدهر بل سرقنيها وغبنني بل دلس علي فيها وكانت ادق من حاشية البرد و احسن من طلوع السعد واحلى من انجاز الوعد واعذب من القند بل من النقد واعبق من الورد وما اردت الا ورد الخد بل من المسك والند واطيب من القرب بعد البعد ومن الوصل في اثر الصد بل كانت ارق من نسيم الزهر في السحر و من قضاء الوطر على الخطر بل كانت اقصر من ليل السكارى او نهار الحيارى الا اكلت الوجع وشربت الجزع وانثنيت على كبدك خشية ان تتقطع ولو انني اعطيت من هو المنى وما كل من اعطى المنى يسعد لقلت لايام مضين الا ارجعن وقلت لايام اتين الا ابعدن البستان قد وعدتني يا سيدي اقامة وظيفته بالشجر وبالنور والزهر وانت يا سيدي بالانجاز قمين ووفاؤك به ضمين وذلك المكان مرتع ناظري ومتنفس خواطري ومجال بصري ومراد فكري ونقلي اذا شربت ومحدثي اذا خلوت وتسليتي اذا اغتممت وشمامتي اذا اشممت وما اظنك بمكان ليست فيه زاوية الا وقد صب على فيها طاس بل كاس وشرب عليها انسان بل اناس وقام في حافتها وجه صبيح وتقلب في اطرافها قد مليح وكاني بك وقد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا الى صف بستان الزاهر

او دار ابن طاهر او اذكر الجفرية او البركة المتوكلية او اغنى صعد خراسان او شعب بوان او انعت نهر الابلة او متنزه الغوطة او شعب نطاكية ولا يعلوك انى انما اذكر بقيعة طولها باع وعرضها ذراع اعني باع البقة وذراع الذرة واقل من لا واصغر من الجزء الذي لا يتجزأ لو طارت عليه ذبابة لغطته او دخلته نملة لسدته تسقى بالمسقط صباحا وتكنس بالظلال مساء اشجاره مائة الا تسعة وتسعين وانهاره خمسون الا تسعة واربعين واني شاء اذا احسن من لسانه لبسطه ووجد في خاطره فضله واصاب من القوافي جريانا و وجد ميدانا وقال ما وجد بيانا وما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الامنهم و الكذب مذموم الا فيهم اذا ذوائبوا واذا مدحوا سلبوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا اقروا على انفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم يمتد ليهم بالعقوبة يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يحتقر وشيخهم يوقر وحديثهم لا يستصغر وسهامهم تنفذ في الاغراض اذا نبت السهام عن الاغراض وتصل الى البعيد كما تصل الى القريب وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار ولو بلغت الف قنطار ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم و ان صارموا الصديق لم يستوحش منهم بل ما ظنك بقوم هم صيارفة اخلاق الرجال وسماسرة النقص والكمال بل ما ظنك بقوم هم امراء الكلام يقصرون طويله ويخففون ثقيله ويقصرون ممدوده ولا اقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون وفي كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون

وكتب الى تلميذ له قطع في مجلس وكابر واختلط

بلغني انك ناظرت فلما توجهت عليك الحجة كابرت ولما وضع نير الحق على عنقك ضجرت وتضاجرت وقد كنت احسب انك اعرف بالحق من ان تعقه واهيب للحجاب الانصاف والعدل من ان تشقه كانك لم تعلم ان لسان الضجر ناطق بالعجز وان وجه الظلم مبرقع بالقبح وانك اذا استدركت على نقد الصيارفة

وتتبعت خطاء الحكماء والفلاسفة، فقد طرقت الى عيبك لعائبك، ونصرت عدوك على صاحبك، وقد عجبت من حسن ظنك بك، وانت انسان والله المستعان

وكتب الى ابي عمر المكندري وزير صاحب جرجان

وعد الشيخ يكتب على الجلمد، اذا كتب وعد غيره على الجمد، ولكن صاحب الحاجة سيئ النظر بالايام، مريض الثقة بالانام، لكثرة من يلقاه من اللئام، وقلة من يسمع من الكرام، وفلان نفض عندك غرائر شكره، واستعان بي على تحمل ما اثقله من اعباء بره، فاعلمته انني اثقل منه بنعمة الشيخ ظهرا، واضيق منه بما لزمني اداؤه صدرا، وانشدته شعرا

اعنين هلا اذ كلفت بما	كنت استعنت بضارع العقل
اقبلت ترجو العون من قبلي	والمستعان به لفي شغل

ثم اني تذممت في ان ارد اخواني في ما عون طلبوه من لساني، فاصحبته هذه الاحرف والشيخ يبلغه بالزيادة حلاوة الشكر، ويعرفه فعلا لا قولا حميد عاقبته وما افاض فيه من جميل النشر، فمثله عرف الشاكرين الصنعة، ونفق بينهم هذه السلعة

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة وقد طولب ابو بكر بحضور الديوان فامتنع

هذا اطال الله تعالى بقاء الشيخ الرئيس حال نيسابور واهلها، بل حالي وحال الاحرار فيها، واصبح اقوام يقولون ما اشتهوا وغاب بو عمرو وغابت رواحله، وقد كنت آوي من الشيخ ايام مقامه بهذه الجنبة الى كنف رحيب وجناح خصيب وباع واسع، ونائل شائع، ووجه اذا نظرت اليه، قرأت نسخة الكرم في وجنتيه، تلمع آثار الكرم بنور اساريره، وتعرف بشره بالنجاح في تباشيره وفم يبشرني بابتسامه، قبل ان يبشرني بكلامه، ويحييني بالبعد باشارته قبل ان يترجم بعبارته، واذا رايته رايت بختي قد قبل الي في معرض الكمال، وظالعت سعدك وقد طلع على ينبل الآمال، عن يميني الجمال وعن يساري الكمال، فاغدو والي بابه يقدمني الامل والرجاء، واروح عنه

فيشيعني

فيشيعني الشكر والدعاء، واحمل جوائحي منه على جبل الجود الذي لا تحركه المطالب ولا تثقل عليه الرغبات والرغائب بل على بحر الذي لا ينزفه الاستقاء ولا تكدره الدلاء، ولا يبدي قعره، ولا يدرك غوره، وانما يصبي على جوائح الناس ويلتذ باستماع صوت رجاء الاضراس من ولد في ظاهر السخاء، وغذي في حجور الكرماء، وقرع سمعه منذ صباه باصوات الادباء والشعراء، ومرن على البذل والعطاء والثقل ليس من ضاعفا لمطية، الا اذا ما كان، وهما باز لا، حتى اذا كادت غصون آمالي تزف بعد ما يبست، ووجوه مطالبي تضحك بعد ما عبست، رمتني الايام بفراق الشيخ فاخدج رجائي الحامل، وجف ضرع املي الحافل، وسكت لساني القائل، وفترت فتور التاجر بار متاعه، وعاب مبتاعه، وخجلت خجل ابي البنت زهد فيه اختانه، وضحك منه جيرانه، وردت عليه بكرة، وسيق اليه مهره، وقلت لو اراد الله بالادب خيرا الما غاب من كان يجمع شمله، ويكرم اهله، ويعرف فضلهم وفضله، ولو انصفت الادب بعد الشيخ لوثيته مرثية الاموات، ولاقت عليه ماتم الممات، ومحوت اسمه من جريدة الحياة هذا وقد ورد علي عمل الخراج من لا اطريه بحمده، ولا اتناوله بطرف ذريعة او وسيلة وكأني به وقد حسدني في جملة العامة، وادخلني في غمار سائر الرعية ووقفني على حسر قدامه الخسران، وخلفه الهوان، وفجعني بدريهمات جمعت بتهجم المهالك، واختراق المسالك والممالك، ودنانير قطعت القفار، وخاضت البحار، وناطحت الحوادث والاقدار، فان بذلتها ابرزت وفر اطال ما كان يخزنها وان منعتها ابتذلت عرضا لم يزل مصونا، على انني احمل الجمال على التجمل واوثر البذل على التبذل وانشد شعرا، جنانيك بعض الشر اهون من بعض وما ايسر دواء هذا الداء لو طاوعتني نفسي العاصية، وتابعتني رجلي الابية فدخلت الديوان، وصانعت الزمان، وفتحت جراب النفاق والرياء، واغلقت باب المحافظة والوفاء، ولكن النظر الى عين الشمس ايسر على واهون على عيني من ان انظر الى هذا الصدر، وقد جلس فيه غير ذلك البدر، والى الاغار على الكرم، كما يغار على الحرم، وابخل بالمراتب كما يبخل غيري بالمكاسب واستحيي

العينان افتحها على الصغير، وجلس مجلس الكبير؛ لا ابتلاني الله بمجالس
الغيرة، ولا اقامني في مقامات الغم والحيرة؛ فانه ان ابتلاني بذلك وجدني
ضيق ساحة الصدر، قريب غور الصبر، كثير المبارات، قليل المدارات؛ هذه
اطال الله بقاء الشيخ حالي فهل لي عنده فرج ارتجيه، او نظر اتجمع فيه؛ وهل
يحرك لفظة من الفاظه، او لحظة من الحاظه، يرد بها على وجهي ماء نضب من
مائه، وعلى عرضي ما ذهب من بهائه؛ ولعمري ان حاجتي الى الشيخ في هذا
الخراج صغيرة ولكني لا استصغر منه يسيرا، كما لا استعظم
منه كبيرا؛ واعلم ان الحريص الصديق يفطنه، والخليل بهمته، و
ان ابطأ عني كتابه بالفرج خشيت ان يسبق في السم الوحي الى ان يصل الى
الترياق البطيء اعوذ بالله من ان يكون داني نقدا، ودوائي وعدا؛

وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له

كتابي عن سلامة، وما سلامة من يرى كل يوم ركنا مهدودا، ولحدا ملحودا
واخا مفقودا، وحوضا من المنية مورودا، ويعلم ان ايامه مكتوبة، وانفاسه
محسوبة، وان شباك المنايا له منصوبة؛ اف لهذه الدنيا ما اكدر صافيها، و
اخيب راجيها، واغدر ايامها ولياليها، وانغص لذاتها وملاهيها، تفرق بين
الاحباء والاحباب بالفوات وبين الاحياء والاموات بالوفات، وورد على خبر
وفاة فلان، فدارت بي الارض حيرة، واظلمت في عيني الدنيا حسرة، وملك
الوله والوهل قلبي فساورني فكره، وتذكرت ما كان يجمعني واياه من سكر
الشباب والشراب فعلمت انه شرب بكاسنا شارب من شرابها، ومحا بسهم
سوفار محى بهاءه فبكيت عليه بكاء لمن نصفه، وحزنت عليه حزنا لنفسي
شطره، وسألت الله تعالى فانه اكرم مسئول، واعظم مامول ان يفيض عليه
من رحمته، ما يتمم به سهمه من نعمته، وان يتغمد كل زلة ارتكبها برحمته،
وضياعف له كل حسنة اكتسبها بمنته، وان يذكر له تلك الاخلاق الكريمة
وتلك المروءة الواسعة العظيمة؛ فان الله تعالى يحب السخاء في الملحد،

فكيف

فكيف في الموحد، وان سخاء النفس ونصب المائدة خلق من اخلاق الصديقين،
وشعبة من شعب النبيين، ثم تذكرت ما نزل بسيدك من الوحشة لفقده،
والغمة من بعده، والتحسر على قربه ببعده، فخلص الى قلبي وجع ثار نسياني
الماضي، وثالث انساني الثاني، حتى استفرغ ذلك ما في صبري بل
ما في صدري، وحتى صار الوجع وجعين، والمصاب اثنين، ثم
رجعت الى دب الله تعالى فقلت انا لله وانا اليه راجعون، اللهم
لا شكاية لقضائك ولا استبطاء لجزائك، ولا كفران لنعمتك، ولا مناصبة
لقدرتك، اللهم ارحم الماضي رحمة تحبب اليه مماته، وابقى الحي بقاء يمنيه
حياته، واطبع على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع، ولا يضع عنانه بيد
الهلع، ولا يثلم جانب الاجر والذخر، بالاثم والوزر، ولا يجد عدوه
الشيطان سبيلا اليه، ولا سلطانا عليه، اقتصرت من تعزية سيدي
على هذا المقدار لاجريا على مذهبي في الاقتصار والاختصار، ولكني لم
اجد من لساني بسطة، ولا في قريحتي فضلة، ويحق لهذه الفادحة الحادثة
ان تدع اللسان محصورا، والبيان مقصورا، او ان تحدث في العقل خللا،
وفي البيان شللا، وليعرفني سيدي خبر ما هداه الله اليه من جميل العزا الذي لم
يعدم جميل الجزا ليكون سكوتي الى ما اعرفه من سلوته، اضعاف قلق
كان بما ظننته من جرقته وان كنت اعلم انه لا يخلي ساحة الحلم والعلم، ولا
يخل بالواجب من التمسك بالحزم، ولا يحل عقدة صبره، ولا تداعى اركان
صدره، ولا يعمي الرشد في جميع امره، وهذه ثنية الكمال، وسجية الرجال

وكتب الى ابي الحسن الطرخوري بدارطوس

فلا ترتفع عنا الشعلة وليته، كما لم يصغر عندنا شانك العزل ليت شعري الذي
رآه في الكبر حتى اعتقد ملته، واستقبل قبلته، وفي العجب حتى تبوأ ساحته،
واستوطن راحته، وفي الجفا حتى علق اسبابه، ولبس جلبابه، وما الذي
ارتكبته من بين اخوانه، حتى افردهم عني، وكاتبهم دوني حتى كأني قطعة

وصلوه، ونسيته وذكروه، وجفوته وبروه، كانه عرض جريد تهم فوجد اسمي ملحقا بحواشيها، ومثبتا في اخريات اساميها، فهلا اذ لم يوهلني لمرتبة الخاصة، جعلني اسوة بالعامة، وهلا اذ لم استحق منه فضلا، رزقت منه عدلا، وهلا تصدق علي بكتابه الي فالزمني على المساكين صدقة، والفتح هدية، فكنت اجعل يوم وصول كتابه الي عيدا، ونيروزا جديدا، واتصدق بمالي فيه طريفا وتليدا، واطوف بكتابه في اخوانه واخواني، واباهيهم به مباهاة الاخباخيه، الذي مساعيه مساعيه، ومساويه مساويه، وكل شيء من فضيلة ورذيلة فهو شريكه فيه صفحت ايد الله سيدي عن هذا الذنب الفظيع والجرم الشنيع فهل لسيدي ان يستأنف ما احاله آخرا، ويأخذ بنا في طريقه غير الاول فان الاستقالة تاتي على العثرات، وان الحسنات يذهبن السيئات، وان قليل الاستغفار ينسي قليل الخطأ والاوزار، خرج الى ناحية سيدي فلان وهو جوهرة من جواهر الشرف، لا من جواهر الصدف، وياقوتة من ياقوتات الافكار لا من ياقوتات الاحجار، واذا نظرت اليه من مرآة الحيرة، وقلبته بيد العشيرة، استدللت به على حسن انتقادي، وصائب رياداتي، وعلم اني لا اختار غير الخيار ولا اجتني غير خير الثمار، ولا اصادف غير الاحرار، فلينطق سيدي لسانه بشكره وليكفه الدقيق والجليل من امره، ولبهش على عقبي لا بل لقدمتي الى الطافه وبره، عرض سيدي هذا يا تلك الناحية، وكيف اطمع في هدية من يبخل بورد السلام ويحاسب صدقائه على الرسالة والكلام، وكيف يسمح بالجوهر الحاصل من يبخل بالعرض الحائل، وكيف يتوسع في النافلة من تضايق بالفريضة انصفنا الله تعالى من اصدقائنا، فانا بحوله وقوته ننتصف من اعدائنا،

وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير

وكل ولاية لابد يوما	مغيرة الصديق على الصديق

قد كنت انتظر مصداق هذا البيت من سيدي حتى حقق الله تعالى ظني ولو اكذبه كان احب الي واوقع لدي، فسبحان من جعل حسن وفاء الاخوان

منحوسة، وتجارتي فيما اعاملهم به وبيعا ملونني مركوسة، فان كان سيدي عم بهذا الجفا اخوانه فخاطني بهم، وجعلني واحدا منهم لقد اخلف ثقتي بانفرادي عن صحبه، وخلف ظني بناحيتي عن قلبه، وكنت احسبانه يخصني من بينهم بفضل المقة، كما خصصته من بينهم بفضل الثقة، وانكان في صلبهم وقطعني دونهم لقد عكس حكم الرجاء، وعوس الجفاء فهبت الوفاء، واساء الترتيب بين الاصدقاء، وما ادركه في احد الفعلين عذرا وانكان احدهما اثقل وزرا، واسوأ اثرا، واقبح ذكرا، وقد كنت طويت بيد اليأس بساط العتاب، واغلقت باب المراجعة وضيعت مفتاح الباب ثم استظهرت بهذه الاحرف وسترد على مر بسيدي اذن من العتاب صماء، وعين من الوفاء عمياء، ونفس تبغض الوفاء، كما يبغض الناس الاعداء، وتعشق الجفاء كما يعشق الرجل المرأة الحسناء، وتشتهيه كما يشتهي الظمآن الماء، وانتظار الجواب عنها اكذوبة من اكاذيب الامانيء واغلوطة من اغاليط زماني، ومناقضة لحكم القياس وارجاف من اراجيف الوسواس ولكنها سخرت من سخر الفراغ تكلفتها، وحاجة في نفسي قضيتها

وكتب الى رئيس بهراة يعزيه بابن اخته وبنته

كتابي ايد الله الشيخ الرئيس وانا سليم المهجة، سقيم القلب والمنة والنية، صحيح العرض والجسد، عليل الخاطر والجلد للمصيبة في فلان رحمه الله فانها مصيبة خرجت من كمين الدهر، قبل ان يستعد لها بعدة الصبر، وجائت مجمع البغتة، ووثبت وثبة المسارقة، وغلبت الايام على ذلك الحر اطرأ ما كان غضنا، واتم ما كان حسنا، وابعد ما كان املا، واظهر ما كان جملا، حتى كأن المنون اخذته خلسة، وانتهزت فيه فرصة وفقد الشباب الطري اكثر جزعا، وكسر العود الرطب اشد وجعا

ان الفجيعة بالرياض نواضرا	لاشد منها بالرياض ذوابلا

ولو كان الدهر يجيب من خاطبه، ويعتب من عاتبه، لاستدركت هذه

الفعلة عليه ولفوقت سهام اللؤم اليه لكنه اصم عن الكلام صبور على وقع
سهام الملام، يختصى العيدان ويمتصى الاغصان ويختم الشبان، و
يبكى الانام والابدان، ويلحق من يكون بمن كان والشيخ جدير بان يتدرع
لهذه الفجيعة درعا من كرم التسلى وجميل التعزى لا تخرقها يد التذكر، ولا
تهب عليها ريح الغم والتحسر، ولا تطمح نحوها عين التغير والتكدر، و
ان يلقى هذا الخطب الكبير والغم الكثير بصبرهما اكبر، ويتجلد هو منهما
اكثر، فان الكبير فى قلب الكبير صغير، وان العظيم على العظيم صبور،

والثقل ليس مضاعفا لمطية	الا اذا ما كان وهما يزلا

وليحذر ان يجمع على نفسه ذل الغربة، وثقل الكربة، وان كان لا غربة على
عاقل ولا وحدة لفاضل، فان الداء اذا قابل داء لم يقبل دواء، ولم يرج لصاحبه
شفاء، وليعلم ان الله تعالى قد اخذ منه اليسير، وابقى له الكثير، وسلبه
الصغير، ومنحه الكبير، سلبه اخا كان يعتضد باخوته، ومنحه ابا
يجمع خيرى الدارين بابوته، وابقى له اخوة هم قوة اليد والعضد، وغاية
الايد والمدد، وزينة العدد والعدد، رجال الدهر والابد، فسبحان
من اذا سلبنا من هو املك به منا اجرنا، واذا صبرنا على ما لا بد من الصبر
عليه شكرنا، واذا امتحن كانت محنته خيرة، واذا منح كانت منحته نعمة
كبيرة، ورحم الله فلانا ذا الخلق المعسول والكنف المأهول والطعام المبذول
صاحب المرعى الخصيب والقلب الرحيب والوجه الطلق والجناب الغدق
الشاب سنا وجلادا، والشيخ حلما وسدادا، الذى كان زينا اذا
دنا، وذخرا اذا نأى، وعدة للآخرة والاولى، والذى كان
يمين ماله ليكرم نزاله، ويبذل دينار وداره، ليصون زواره ويضحك
فى وجه النازل عليه عند نظره اليه، كان الموت ينتقد الافاضل
ويبهرج الاراذل، وكان الآخرة تختار الاخيار، وتترك على الدنيا
الاشرار، وكان اعمار الكرام مشاهرة، واعمار اللئام مياهرة، قال الطائى

عليك سلام الله وقفا فانني	رايت الكريم الحر ليس له عمر

فاما البنت رحمها الله تعالى فقد كانت حيا تما عفافا وستراء ووفاتها ثوابا
وذخراء ولقد كانت فى زمان النجابة فى رجاله غريبة، فى نسائه عجيبة
والعفاف فى ذكرانه معوز، وفى اناثه معجز، والعقل فى شيوخه نادرة تفقدة
وفى شبانه ضالة لا توجد، فالحمد لله الذى ستر ها بالحياء فى حياتها، و
بالثواب بعد وفاتها، فاسبل الله تعالى على سيدنا ستره واستوجب
منا ومنه له شكره، ولقد ثكلتها ثكل الرجل لاخص اخواته بل لاكرم بناته
فقد كانت لهن جمة مثيلا دها والحال بينى وبين والدها بنته، ومن جمة
تربيتها اختا، والمستور عزيز فى كل مكان، ومحبب الى كل انسان، ومدوح
بكل لسان، فان تكن خلقت انثى لقد خلقت كريمة غير انثى العقل
والحسب فرحمها الله تعالى رحمة تلحقها بمريم وآسية فى الاولين، و
بخديجة وفاطمة فى الآخرين، وبام الدرداء ورابعة فى نساء الصحابة
رحمهم الله تعالى اجمعين، ولولا ما ذكرته من ستر ها، ووقفت عليه من غرائب
امرها، لكنت الى التهنئة اقرب من التعزية، فان ستر العورات من الحسنات
ودفن البنات من المكرمات، ونحن فى زمان اذا قدم احدنا فيه الحرمة
فقد استكمل النعمة، واذا زف كريمة الى القبر فقد بلغ امنيته من الصهر،

وقال الاول	
ولم ار نعمة شملت كريما	كنعمة عورة سترت بقبر
وقال الثانى	
تموت حياتى وهو موتها شفقا	والموت اكرم نزال على الحرم
وقال الثالث	
وددت بنتى وددت انى	وضعت بنبتى فى لحد قبر
وقال الرابع	
ومن غاية المجد والمكرمات	بقاء البنين وموت البنات
وقال الخامس	
سميتها اذ ولدت تموت	والقبر صهر ضامن وبيت

وقد كنت على ان افرد فى معناها كتابا الى الشيخ ثم نظيرت له من تناسق
النعزيتين كما توجعت له من تواتر المصيبتين وارجوان تكون هاتان
الحادثتان خاتمة الكروب وقافية الخطوب ثم تجئ النعم بعدها متوادفة بل
متوافدة ثم متظاهرة بل متواترة ومتناسقة بل متطابقة فان المحن اذا تناهت
انتهت والرزايا اذا توالت تولت ولكل غمرة محنة معبر ولكل مورد غمة
مصدر وسيجعل الله بعد عسر يسرا ولعل الله يحدث بعد ذلك امرا على انما تعفو
الكلوم وانما توكل بالادنى وان جل ما يمضى اسأل الشيخ ان يكتب لى حصى ما
وجده من برد السلوة لاشركه فيه كما شركته فى حرارة اللدغة والفجعة والسلام

وكتب الى صديق له جواب كتابه

ما أخى جواب كتاب سيدك وشيخى جهلا بحقه الا لازم الواجب ولا انكارا
لافضاله المتراكم المتراكب ولكنى تحريت وقتا ينشط فيه اللسان للبيان و
البنان للجريان ويومايحسن فيه الدهر ويشرح فيه الصدر ويقل فيه الفكر فلا
والله ما وجدته وقد كنت اشتاق الى عدمه فانا الآن الهف على امسه و
ما من وقت كرهته الا وانا احن اليه ولا من يوم بكيت منه الا بكيت عليه

وكتب الى حاكم

ورد كتاب الحاكم بما لأزيد سرورا وحبورا وصار فى رجائى الميت حركة وفتورا عد و
شكرته على ما بذله شكرا لا ارضاء مهما لاساءته لو انتهت الى فكيف لاحسانه المتظاهر
على ولكن لن تتجاوز الطاقة ذرعها ولن يكلف الله نفسا الا وسعها وما عندنا
غير خلق لا يشترى بثمن ولا يعارض بما يعد بقبح ولا حسن وهو الدعاء
استجاب الله فى الحاكم صالحه واسبغ عليه منائحه واعطاه من كل خير مقاليده ومفاتحه

وكتب الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان

كتبت الى الاستاذ معاتبا مرة ومستعتبا كرة فما وجدت للعتاب اعتابا ولا اقرأ عن الكتاب

جوابا ولیت شعری ما الذی منعه عن صلة لا تضره وتنفعنی وعن تواضع لا یضعه ویرفعنی

ولربما بخل الجواد وما به	بخل ولكن سوء حظ الطالب

فالآن قد عنیت بجواب کتبه وعرفت بین عتابه وعتبه یکلفنی ان ورد
علی الاستاذ خبر شکره وان اجعله بعض ودائعی عند احسانه وبره ومن
اخبرته اننی قد رکبت من التقصیر فی شکر الاستاذ عن خاصیتی مرکبا سقط
معه شهادتی واخفقت بعده شفاعتی وان شکری له عن غیری بعد ما ضیعت
الواجب منه علی نفسی نافلة اقیمها بعد ما ضیعت الفریضة وتفصیل اصلحه
بعد ما افسدت الجملة ولن تقبل النافلة او تؤدی الفریضة فلم تقابل حجتی الا
بالجحد وعذری الا بالرد وما زادنی علی کتبه العریضة الطویلة ومعاتبته
الثقیلة فذکرته الآن الاستاذ فان کنت اسأت فالاساءة بینی وبینه وان کنت
احسنت فالاحسان له دونه وبا عجبا منی عجز عن تحمل نعمة ثم اخطب نعمتین ولا
اقوم تحت عارفة ثم اطلب عارفتین ولا ارضاء البر الا مداخلا ولا اقبل الاحسان
الا مضاعفا وما یستبدع منه بذل الرغیبة بعد الرغیبة ولا منی قتراح
الغریبة بعد الغریبة فانه ایده الله اوحد فی النوال کما انی اوحد فی السؤال

وكتب الى ابى الحسن الحكمى

خرج الشیخ من هاهنا علی حالة ان کان الذنب فیها له فقد غفرت و
عذرت وان کان لی فقد استغفرت واستعذرت والدهر یوزع بافساد
الاحوال وتکدیر ماء الوصال وقطع قرائن الرجاء ثم یعود العاقل لما
یرفوبه الخرق ویرتق به الفتق فیقبل الزلة ویراجع الوصلة وینشد

اذا نزعات الحب اوثن بیننا	عتابا تراجعنا وعاد العواطف

فاما الجاهل فانه اذا هجر لم یبق فی القوس منزعا ولم یترک للصلح موضعا
والحمد لله الذی وفقنی فی اثناء هذه الحال حتی کبحت فرس الغرامة وغمدت
سیف الشکوی والملامة وایقنت الحال فی صوانها ولم اتعد منها حکم
زمانها فهجرت هجر منازل کریم المقاطعة ووصلت وصل مراجع حمید

المراجعة، لتكون الاولى بدرة مغفورة، والثانية كفارة مشكورة، والعتبى عروس ليس لها غير الصلح مهرا، والاعتذار يسعى بالله غير القبول اجرا، وقد كنت قلت عن عرض الشيخ بنانا حديدا لمخالبك وفلك عن جانبه سيفا مرهف المضارب، وانما سلطان الغضب ساعة تورث ندامة الابد، ويوما يثمر حياء الغد، الامن اعين بالعصمة، واطاع راعية العقل والحكمة، والسلام

وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة

قد كنت لرجوان تعلقي بالشيخ يا سوخراج الايام لي، وينزع نصالها الواقعة بجنبي، فطالما تعلق المدبر بذيل المقبل فاقبل بافاله، وصارت حاله قطعة من حاله

وكم صاحب قد جل عن قدر صحبه	فالقى له الاسباب فارتفعا معا

ويا عجبا كيف لا يغار الشيخ على جانبي منه، وكيف لا يخاف على سخطي فيه، وكيف يرضى بان يرى مصون قولي فيه وقد ابتذلته، وكيف يستحسن ان اسئل غيره بعد ما سالته، فوالله تعالى ان لساني جرى بمدح سواه بعد مدحه لاهل ان ينزع، وان كلاما كان فيه ثم صار في سواه لجدير بان لا يسمع، وقد كنت زففت الى الشيخ عروسا من كلامي عاتبته فيها، فان كانت حسناء فاين حق الزوجية، وان كانت قبيحة فاين حق النية، ولا اقل من ان يرضى بالمجان، ان لم يشتر بالاثمان، وان يمسك بالمعروف او يسرح باحسان، او ان درهما يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان، قبيح الاحدوثة في البلدان، ولئن كان يعمر به بيت المال، فان يخرب بيت الجمال، ولئن كان يزيد به عدد الدراهم، انه لينقص من عدة المكارم، ولئن كان يسمى في العامة جباية، انه يسمى في الخاصة خزاية، وللبس اكفان الموتى، وسوق ادوية المرضى، وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر النبي عليه السلام، احسن في الاحدوثة وابعد من العار والنقيصة من لزام مثلي خراجا وسوء غرامة واستخراجا، وانما يحاسب نفسه في مثل هذا من وزن افعاله بمعيار الحرية، واخذ نفسه

بشرائط

بشرائط الانسانية وغار على نفسه كما يغار على عرسه، وضن بقدره، كما يضن بوفره، وهذه خصائص لا يؤاخذ بها الاحرار، والشيخ بحمد الله صدرهم وبدرهم، وعليه مدار امرهم وهو اولى من غضب للادب، وحافظ على الاقدار والرتب

وكتب الى ابي الحسين علي بن داية

لم ينقطع عن كتاب سيدي مع ضنى به، وعشقي له، الا انه يخيل على بان احفظه وارويه، ويخشى على انتحله وادعيه، فعهدك به لا يبخل على الفقراء، ولا يرضى لاسمه ان يكتب في جريدة البخلاء ام لانه يكره ان يصير نظيرا اذا كاتب دونه كثيرا فهذا ظن غير صائب، ورأى غير ثاقب فقد يكاتب الكبير الصغير، فلا الكبير يصغر، ولا الصغير يكبر، ام لانه يخاف ان لا يعرف حقيقة خطابه، ولا يبلغ غور كتابه، فقد علم ان الله تعالى خاطب العامة بوحيه كما يخاطب به الخاصة، ام انه يأنف لكتابه اللطيف من جوابي الكثيف فما زال الخطاء منها على قدار الصواب، وما زال توسط المجيب ليلا على تقدم المجاب، ام لان اخوانه الذين استطرفهم من بعدك واعتاضهم مني قد شغلوا يده عني، فاكنت اظن انه يحفظ لكل جديد لذة، وينسى لكل عتيق حرمة، ام الان الايام اعدته فاحسبته يقبل عداها ويتحلى بحلاها ويرضى لنفسه ان يسعى مسعاها ام لان سرقند بعدت عليه، والكاغذ عز لديه، فانا اجهز اليه قوافل تحمل من الكاغذ اقطارا، ويتصل مني اليه قطارا قطارا، ام لانه يتكاسل عن مكاتبتي فانا اكتب عنه الي وارضى قلبي بيدك هذا اذا تواضع وقبلني كاتبا، فاما انا فقد رضيت به صاحبا، على انني منتظر منه ان تعطفه على العواطف، وان تعود الى نعمه السوالف، فلربما غلط الدهر المسيء الى بالاحسان، وعاد على الهدم بالبنيان، هذا والكتاب ملقى لاموقى، تسرع اليه اليد الحاملة وتعرض له الآفات السانحة، فالماء يغرقه والنار تحرقه، والريح تطيره، كما ان الايام تغيره، والدخان يسوده، وياضه كما ان الحك يبيض سواده، والرطوبة تضره، كما ان اليبوسة

لا تنفعه، فافاته اكثر من آفات الزجاج الذى يسرع اليه الكسر، ويبطئ
عنه الجبر، وحوادثه اكبر من حوادث الغنم التى هى لكل يد غنيمة، ولكل
سبع فريسة، واقل آفاته خيانة الحامل، ووقوع الشاغل، وعوائق
الفتوح والقوافل، وهذا التطويل كله ارتياد لعذر اجده لسيدى، و
ان رجلا اعتذر عنه الى قلبى، وابرز ذنبه فى معرض ذنبى لاعظم فى
عينى من كل عظيم، واكرم على قلبى من كل كريم وكانه فى وفيه قيل

اذا مرضنا اتينا كم نعودكم	وتذنبون فنا تيكم فنعتذر

وكتب الى ابى الحسن الحكمى

طالت ايام الشيخ بتلك الناحية، حتى ظننت ان الدهر فطن لايامنا فى
ظله، ولو تعنا فى فضله، فراحمنا عليه، وسابقنا اليه، وسلبنا النعم به، لا
سلبنا الله نعمته، فانها نعمة متجاوزة الى كل من قدح بزنده، واستظل بظل
احسانه ورفده، وانما يريد الناس النوال للمال، وهو يريد المال للنوال،
فالنعمة عليه نعمة على من سواه، والنعمة على غيره نعمة لا تتعداه، على انى عارف
بان الله تعالى لن يختم للشيخ الا باحمد العواقب، ولا يعدل بحاله الا الى
الين الجوانب، وعلى الكريم واقية من فعله، وله حصن حصين من فضله،
فاذا زلت به النعل زلة، او صال عليه الدهر صولة، اقامته يد احسانه، و
انتزعته من مخالب زمانه، فليمد الشيخ عنان رجائه، وليتوقع الفرج فى
صبحه ومسائه، وليعلم ان ورائه ربا لا يخذله، وسيرة صالحة لا تسلمه، و
سلطانا عادلا لا يظلمه، اراه الله تعالى وارانى فى حساده ما يصيرهم نكالا بين
عباده وبلاده، واراهم فيه من غوائب النعم، وغرائب القسم ما يتمنون العمى قبل
رؤيته، والصمم قبل روايته، واطال لغمهم وغمهم بقاءه، وجعلهم فداءه ثم جعلنى فداه

وكتب الى ابى الفرج لما قلده خلافة البندار بطوس

وردت كتب ولدى على يد جماعة اصدقائه، وكافة اوليائه، وطلبت

حصتى منها فلم اجد فيها، فليت شعرى كيف قصدنى من بينهم الزمان،
وكيف خصنى منه بالحرمان، وكيف صوت المستثنى، وقعدت على طريق لا
وكيف عدنى ولست فى الاجانب، وكنت اعد نفسى فى الاقارب، وهلا اذ لم
يدخلنى فى جملة اخوانه واصفيائه، ادخلنى فى جملة شيعته واوليائه، و
قد اغنقرت هذه الواحدة، وساواخذه ان عاد اليها ثانية، فما يسع عفوى
لاكثر من مرة، ولا تنال اقالتى اكثر من عثرة، هذا العمل اول ما جرى ولدك فى ميدانه
وسابقا هل فى رهانه، فان طلب الغاية، وبذل الجهد والطاقة، لحق السابق
وفات اللاحق، وان قصر فاته المراد، وسبقته الجياد، وهو ابن جلا ان سبق
ابنه فلم يشكر، وان سبق لم يعذر، فليتعتب نفسه، فلا راحة مع الهمة،
وليسهر عينه فلا نوم مع طالب الغاية، وليحذر فلتات اليد واللسان وسكرات
الشباب، فان سكر الشباب اشد من سكر الشراب، وليكتب فى قلبه بيد عقله
قول الاول خدمة السلطان والكاسات من ايدى الملاح، ليس يلتئم فاختر
رفعة او شراب راح، واني لا علم ان لولدك عمرا قاسيا يحنى عنانه، ويخلف قرانه
وانه لن يستقبل الاقبلة حسبه، ولن يفعل الا ما يليق به، ولكن احزم الحزمة لا يستغنى
عن عظة الاخوان كما ان اعتق الجياد لا يستغنى عن كضة الفرسان، كنت كتبت
كتابا قبل هذا ارخيت فيه عنان لسانى، واتعبت فى تطويله قلبى وبنانى، والتطويل
فى شكر الجميل اختصار، والاطناب فى قضاء الواجب تقصير واقتصار، فلان
قد الف طول حتى عشقها، وهجر نيسابور حتى طلقها، وتعذ طلاقه الى طلاق
اخوانه بها، وانا احسد ولدك على ما خصه به من قربه، واود لو شركته فيه كاشراكه فى
حبه، والحسد على مثل هذا سنة متبعة، وفى غير هذا بدعة مبتدعة،
وقد كنت اشكو الايام وهى تفارقنى باخوانى فوادى، وهى اليوم تفارقنى بهم
مثنى، فتكلفنى ان اقيم للشوق نوبتين، واوجه قلبى اليهم من طريقتين

وكتب الى فرزى خوارزمشاه لما نكب وكان خريجة هرجة

اصبحت ايد الله الشيخ وامسيت شبعان من كل بغية، ريان من كل مراد

ومنية، غير خير انقشاع هذه الضبابة، وانجلاء هذه السحابة، فانى يعلم الله تعالى ظمآن الى خبر يذيل فرحى على غمى، ويهزم بسرورى عساكر همى، فما اسرع خبر السوء حتى كانه نجب، وما ابطأ خبر السرور حتى كانه يدب، وما اولع الدهر بهدم ركن الفضل، وثلم جانب العقل، وما اسرع الايام على الكريم فيما يضره، والى اللئيم فيما يسره، وما ابين مجانسة الدهر لاهله، واكثر مناسبة الجاهل فى جهله، وما اشد غيظى على فلتات الايام فى الكرام، وعلى نفحات الارزاق فى اللئام، وما اشوقنى ان استمع من اخبار تلك النفس النفيسة ما ابكى له طربا، كما ضحكت من مضه عجبا، والى الله اشكو حالا اضحكها سخرية، ومجازو عادية، وبكاؤها حق وحقيقة واياه اسأل ان يفنى مدة النقص فقد طالت، ويضع من غرة الجهالة فقد استطالت، ويعيد للفضل الكوة، ويزيل عنه الفتور والفترة، ويصب فى سمعى من خبر انحسام دواعى هذه المحنة ما يعيد شبابى الذى ولى، ويطرد شيبى الذى تجلى، فحق لمن شاب عن بياض ما يسوءه، ان يشب من سماع ما يسره، وحق لجسم هده الغم الا مسئ ان يبنيه الفرح اليوم، وحق الدهر ان يكف فقد بالغ فى العقاب، وتناهى فى العتاب، وحق لصبر وفر ان تنصرف فقد شفت وشفت واكتفت وكفت، وزايدت على ما فى الامكان واوفت، وحق لها ان تخاطبها بقول ابن المعتز

يا محنة الدهر كفى ... ان لم تكفى فاكتفى	قد آن ان ترحمينا ... من طول هذا التشفى

على انى ارجو ان يكون فى طى هذه المحنة من المصالح ما يغمض مسلكه، ويخفى مذهبه وان يكون اقل ما يكسبه الشيخ فيها، وستفيده منها، تمييز معارفه من اخوانه، والوقوف على من لا يصادقه الا بصداقة زمانه، واذابة المغشوش من الدعوى بنار الاختبار والسلوى، كما قال البحترى وصدق فى المقال

لئن ثنى الدهر عن عزمى فلم يصل ... وكف من يدى الطولى فلم تطل	
لقد حمدت صبرى فامنه حسبى ... منهوما غضبا مما على ولى	

ومما سرنى والشيخ ان المحنة لم تشلم جوانب جلادته، وان طول مدة الذلة والقلة لم تعتصر ما احتمله وصلابته، وان الوحدة والوحشة

لم تقد حافى لسانه وقلبه، ولم يظهرا ثمرهما على صفحات ثباته وعزمه، وان لم تصغ على تلون الزمان نفسه، ولم يلن على كفاء عداته مسه، وانهم كتبهم الله وان توصلوا الى تغيير نعمته، وقد حجبوا عن تغيير همته، وان تطرقوا الى كيده باطنا فقد اضطروا الى تبجيله ظاهرا، وقد قيل فى ذلك لعلى بن الجهم

وما المكر الا للنساء وانما ... اعدوك من اشجاك حين تصاقبه	

حتى اجتلت عنه غبرة العواقب والعرض نقى، والقلب بالله تعالى قوى، والفعل بحمده تعالى موضح، والنفس تلك النفس الا ما نقص من مال تضعضع من رجال، والجملة فلك الجملة لا الرخاء اكسبها بطرا، ولا البلاء اورثها ضجرا، ولا اساء مجاورة النعمة فتطاول، ولا محاورة المحنة فتضاءل، والحمد لله الذى كشف عن مقداره فى ميزان الاختبار والابتلاء، واظهر عن حقيقة كيفيته فى مراء الرخاء والبلاء، والايام مرآة الرجال، والاطوار معيار النقص فيهم والكمال، والعثرة بعد الدولة تخرج خبث الاخلاق، وتكشف عن مقادير الاصول والاعراق، ثم الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال، وعافى فى الكبير وهو الصيانة والجمال، وقد قيل ما يليق بهذا الحال، من حسن المقال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة ... ولكن عار ان يزول التجمل	

المال ايدك الله تعالى حطام ينقص ثم يزيد، وظل ينحسر ثم يعود، والشيخ يقضيه قول امير المؤمنين رضى الله تعالى عنه، قيمة كل امرئ ما يحسنه، انت ايدك الله تعالى اغنى اهل خوارزم يوم تصيبهم فقرهم، واكبرهم ساعة تظن اصغرهم، وهو الوزير يوم يعزل والمصون ساعة يتبذل، والكبير بنفسه، وان انفرد عن غيره، والمستانس بفضله، وان استوحش من دهره

ان الامير هو الذى ... يضحى اميرا يوم عزله	
ان زال سلطان الولا ... يه كان فى سلطان فضله	

وكتب الى ابى على البلعمى لما فارق الحضرة وورد نيسابور

كتابى الى الشيخ وقد امضت الايام فى حكمها، وانفذت فى صبرى وتجلدى

سهمها، والحمد لله تعالى على كل شيء الا غيبتي عن الشيخ فاني اخشى ان
ازداد منها، اذا احمدت الله لها، انتهت بي المحنة بعد فراق الشيخ الى غاية
ليس بينها وبين الموت مجاز، ولا ودائما للبلاء مجاز، حتى لقد ركبت
غير دابتي واكلت غير نفقتي، ونزلت بيتا بكرا، واكلت خبزا بسرا، وحرمت
العين، وشربت الزبيبي، ولبست الصوف في المصيف والبوري في الخريف،
وكوتبت مواجهة، وخوطبت بالكاف مشافهة، واجلست في صف النعال
اعني اخريات الرجال، وناظرني من كان يدوس على، وخالفني من كان
يخلفني الي، وحتى لقد نشزت على جاريتي، وحرنت على دابتي، وتقدمني
في المسير رفيقي الذي جمعني واياه طريقي، وحتى اني اخذت الدرهم
الجيد فصار في يدي ستوقا، وقطعت الثوب المشترى فصار على بدني
مروقا، وغسلت ثيابي في تموز فغابت الشمس وطلع السحاب وسافر
في حزيران فعصفت الريح وسد الافق الضباب، وفقدت كل شيء ملكته
غير عرضي الذي عمده الشيخ معي، وصبري الذي عرفه مني، ومن لم يكن
على المحنة صبورا، لم يوجد للنعمة شكورا، ومن لم يحقر سوء ما يبلى
لم يجد حسن ما يولى، انكر الشيخ عروف نفسي عن مواقف البذلة، و
صعوبة جانبي على من جرى الى مظنة الهوان والذلة والادب سلطان
ينسي هيبة السلطان، وطول العشرة دالة تقيم الملوك مقام النظراء
والاخوان، ولا ذنب الا وله في العفو ساحة عريضة، كما انه لا ذنب الا وله
من العذر مسافة قصيرة، وانما المدار على الرضى فانه يقرب البعيد، و
على الغضب فانه يبعد القريب، اللهم الله رؤسانا عنا الرضى، واتم لنا
باحسانهم الينا الحسنى، قد علم الشيخ اني مذ كنت لم يسم خدي غدار الهوان
ولم يوضع على قبتي نير التبذل والامتحان، ولم تطرق الايام حريم عرضي
فتنهكه، ولا نالت ستور صيانتي فتهتكه، ولا ماء وجهي فتسفكه، ولقد اخترقت
البدو والحضر، ودخلت ديار ربيعة ومضر، فارايتني بحمد الله تعالى اوخر
عن رتبة، ولا اخلف عن الغاية في هو طني رغبة او رهبة، ومعاذ ذاك

سكر الشباب وذل الاغتراب والقوم قد باينوني بالنسبة، وفارقوني بالتربة
وان عرضا صنته في غير مظنة الصيانة لجدير ان لا اهينه في غير موضع
الاهانة، فقد يبتذل الشاب يقول اتصون اذا شبت، ويمتحن الغريب
يقول اتعزز اذا ابت، فاعذر من يحتمل الذل وقد رجع الى الوطن من
الغربة، وخرج من جلد الشبيبة الى الشيبة، وهل وراء الغاية منزلة، ام
هل بعد الشيب الا الموت مرحلة، ورد على كتاب سيدي يدعوني ومثلي
لا يجيب داعي القول دون ان يصدقه داعي الفعل، وبالجملة انا قد تفارقنا
على حالة فان كنا عليها والتقينا فيها فآخر التلاق اول الفراق، ولا بد من هذا
اللقا غير تخويج فراق جديد، وتولد حزن حديد، والمرة من الفراق مرة
فكيف المرتان، والسهم منه نافذ فكيف لسهمان، وان كنا تغيرنا عن ذلك الخلق
ومشينا في غير تلك الطرق، فبحسبان ندل على ذلك بالاحوال لا بالاقوال
والشيخ خليق ان لا يفل سيفا شحذه، ولا يضيع علفا تخذه، ولا يعطش
زرعا سقاه، ولا يميت خاطرا حياه، ولقد رخيت عنان خطابه ووسعت
ذرع عتابه، ولكن لا خير للشيخ فيمن لا يحمي عرضه ولا يسخو عن بعضه الا
اذا افسد بعضه، ويد الشيخ اطول من لساني وامره امضى من قلمي وبناني
فليبلني لين مسها وانا بعيد كما انا لتني خشونتها وانا قريب وليعلم انه
متى اراد اذى خير ارجف به الناس وحملته الى الانفاس وكان اول رسله
الى عزمي المتذبذب وقلبي المنقلب وفي الارض متحول، وعلى الله المعول

وكتب الى ابي محمد العلوي

بكتب الانام كتاب ورد	فدت يد كاتبه كل يد
يخبر عن حاله عندنا	ويذكر من شوقه ما نجد

ورد كتاب السيد طال الله بقاه، واجزل من كل خير قسمه، ووفر هنيء سهمه
وجعل امسه يحسد يومه، ويومه يحسد غده، فرتع الطرف منه بروضة
ممطورة، وحلة منشورة، ولآلي فوائد منثورة، وجال منه الخاطر في حكم

لا تعرف ولا تجهل وفقر لا تترك ولا تستعمل وفصول يحسد عليها الخاطر
الناظر عند الرؤية، ثم يحسد عليها الناظر الخاطر عند الروية، وجعلت
انا نفس فيه البياض الذي يحتوي عليه واغبط به المداد الذي جرى في طرفيه،
واتمنى لو كانت اعضائي كلها نواظر تبصره، وخواطر تتذكره، والسنة تكرره
على شريطة ان يكون الناظر لا يهمل لحظا والخاطر لا يكل حفظا، واللسان لا يهزل لفظا
فسبحان الله كيف جعل محاسن القول والفعل الى السيد محشورة، وعليه
دون الانام مقصورة، وكيف لم هو ضرله بان يسود العالم شرفا ونسبا حتى
سادهم علما وادبا، وكنت اعتقد ان الكتابة سوادية ونبطية، فانا الآن اعتقد
انها خراسانية وعلوية، وكنت ارى ان المحاسن في الناس متفرقة،
وانا الآن اراها في واحد مجتمعة، وكنت احسب قول الحكمي

وليس على الله بمستنكر		ان يجمع العالم في واحد	

كلام مسهب، وملق متكسب، حتى علمت انه قال ما لا يمتنع امكانه، ولا
يتعذر وجدانه، وليت شعري ماذا اقول في هذا الكتاب وقد سد على
مسالك الصفات، وحمى على قلبي ولساني هو وارد التشبيهات، فان ان وقفت
وقد اجريت لساني، وتوسطت ميداني ذلك على عرقي في الكوادن، واسلخت
جلدي بلثيه السيد بشهادته لي من المحاسن، وان جريت وقد سد علي توسعة
انفاسي بياني، وافتر عدوني ابكار الالفاظ والمعاني، ناديت على نفسي بانه السابق
وانا اللاحق وشهدت له علي بانه المسروق وانا السارق، ولكن الحازم يختار خير الشرين
ويرجح بين المتماثلين، وانا استخير الله تعالى واعدل عن الاولى الى الاخرى واقول
هذا الكتاب احسن من كل حسن الامن وجه كاتبه، ومن خلق صاحبه، واغرب
من كل غريب الامن السيد في زمان لا يسع فضله، ولا يقتضي مثله، واعجب من كل
عجيب الامن قيامي اعني لي الله مقام المجيب عن كتاب قصي غايتي ان ازديه
واوسع خطي همي ان اروية، وانور من كل نير الامن وقاتي بلقاء السيد فانما
اوقات ايامي قصيرة، وسرورهن طويل، وسعودهن طوالع ونحوسهن افول
واجل من كل جليل الامن مقدار اوبة السيد الى بلد هو حال اوبته، عاطل

بغيبته، عامر به وان خلا من سواه خراب منه، وان جمع العالم الا اياه، و
تعرفت فيه من خبر بسلامته ادامها الله له، ولي به، ما اوجب صيامي ايام دهري
وقيام ليالي عمري على ان تكون الايام في طول يوم يزيد بن الطثرية
والليالي في وزن ليالي النابغة الذبياني اذ نت بقول ابن الطثرية

ويوم كظل الرمح قصر طوله		وبقول النابغة	وليل كقاسيه بطي الكواكب

لا بل على شريطة ان تكون شمس النهار كشمس ذي الرمة التميمي
ونجم الليل كنجم العباس بن الاحنف الحنفي اذ ردت بقول ذي الرمة والشمس
حيرى لها في الجو تدويم، وبقول العباس بن الاحنف الحنفي

والنجم في جو السماء كانه		اعمى تحير بالدية قائد	

لا بل على شريطة ان تكون صفة الليل كما قال خالد الكاتب
وليل المحب بلا آخر ٭ وصفة النهار كما قال الآخر،

ويوم كان المصطلين بجره		وان لم يكن جمر تقود على جمر	

ولئن اصبحت كل ايام الزمان صائما، وكل لياليه قائما، شكرا لله تعالى على
سلامته، ثم تصدقت بعدد ذلك بعدد نخيل البصرة، وآجر الكوفة بل بعدد رمل
الدهناء ونجوم السماء بل بعدد العالمين وعدد نبات الارضين بل بعدد قطر
كل بحر، وتربة كل بر، وسراب كل قفر، وحوادث كل دهر، وخواطر كل صدر، بل
بعدد فضائل علي بن الرضي ومحمد بن العباس الطبري، فانما اكثر من الكثير
واكبر من الكبير، لم اكن وفيت النعمة على مهرها، ولا قدرتها حق قدرها، ولا
بلغت غورها، ولا اديت شكرها، ولا وفيتها بعض قيمتها ولا عشرها الا اني
لما عرفت قصورا عن قضاء الحق، ووقوفا دون ادنى مساقاة الجهود والطوق
قلت كلمة جعلها الله ثمنا لجنته، ورضى بها ثوابا من نعمته، وهي الحمد لله رب
العالمين، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد واله الطيبين وعدني السيد من
سرعة رجوعه عدة اخشى ان يحمله لؤم دهره على الرجوع فيها وان يعلم
تنغيص ايام السرور بها فان الدهر بئس المعلم لنيته، وبئس المثال لمن يحتذيه
وعهدك بالسيد لا يرجع في هبة ولا ينظر في اعقاب صلة، ولا يندم على حسنة

اللهم الا ان اكون اصبت كرمه بعيني حبي له وعجبي به فان عين الاستحسان آفة من آفات الاحسان وفرط عجب العاشق بالمعشوق باب من ابواب التغير والتنكر وسبب من اسباب التنقل والتحول واناواللهاتهم على السيد عيني وانكنت لا اتهم قلبي او ارضى لمودته نيتي وان كنت لا ارضى لها طاقتي

لي لسان كانه لي معادي		ليس ينبي عن كنه ما في فؤادي	
حكم الله لي عليه فلو انصف		قلبي عرفت قدر ودادي	

قرأت الفضل المسجع فشغلني الاقتباس منه عن الجواب عنه ولقد عد السيد لي كل سجعة منتخبة في زاوية ملقاة في ناحية فالجمها بلجام وقادها بزمام وغبر بهما في وجه سجعي الملتوق وكلامي الملفوق وضربته ضربا الم الخاطر وان لم يجرح الظاهر وينكأ في الفهم وان لم يؤثر في الجسم واوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء واشد الشكوى ما لم يخففه الاشتكاء ومن بلغ من البلاغة مقداره واقتدر على التصرف اقتداره واحسن ان يسيء في معرض الاحسان وان يعطي في اثناء المجان وان يمدح مدحا حقيقته هجاء ويظهر رضى باطنه استبطاء فها انا ايد الله السيد قيد العجز والقدامة موجع الخجل والندامة اذا اشتهيت لقاءه لشوق اليه وتلهفي عليه آثرت غيبته لحيائي منه وقصوري عنه فويلي من مزاره اذا اتى وويلي من لقائه اذا وفى وكما قيل يا عجبي مقبلة ويا سهري مدبرة ولكن

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا		على ان قرب الدار خير من البعد	

عجل الله تعالى اوبته هذا السيد على حالة تحكي وجهه ضياء وخلقه سناء ومجلسه بهاء وقدره علاء وعقله صفاء وقلبي له نقاء وودي له بقاء ونيتي فيه استواء وتراب تشيعي له ولاهل بيت هو فيه زكاء ونماء واراني الله تعالى فيه من الصنع الجميل ما يستغرق نثر كل ناثر ونظم كل ناظم شاعر ويقع وراء ذكر كل ذاكر وشكر كل شاكر ولا زالت ايامه تصبحه بكل فتح وتمسيه بكل نجح وتلاقيه بسعد وتصافحه بمجد وتزوره بمجد وتودعه بمجد ليا ليها اسحار وظلما ثما انوار وطول اوقاتها قصار

ان الليالي للانام مناهل		تطوى وتبسط بينها الاعمار	
فقصارهن مع الهموم طويلة		وطوالهن مع السرور قصار	

وما ارضى للسيد دعائي بان يخرج على مقدار همتي وينزل على حكم قدري وقيمتي ولكني اقول جعل الله تعالى رزق سيدي في سعة همته وماله في كبر قيمته وعيشته في حسن شيمته ونعمته في كثرة نعمته ليكون عافيا ماخلا ومدحي له مقابلا وذكري له بالجميل من كل جانب معما ومخولا ولتكون اقسامه وصفه منعالة واجناس فضيله متماثلة ذكر السيد انه كتب جواب كتابي من الظهر الى العصر ولقد استبطأ نهمع ما اعرفه من بعد غوره وغزارة بحره ولكني اغلقت لهذا الجواب بابي وارخيت له حجابي وضممت الى شرب كتب آدابي وجلست من الدواوين بين آل الخراج وآل بويه ومن بني الخصيب وبني مقلة ونشرت من المقابر آل هرداد وآل شداد وحشرت من الاخوة ابن المقفع البصري وسهل بن هرون الفارسي وابن عبدان المصري والحسن بن وهب الحارثي واحمد بن يوسف المأموني ووضعت عن يميني عهد انه شيري بن بابكان وعن يساري كتاب التبيين والبيان وبين يدي فصول بزرجمهر بن البختكان وقبل ذلك رسائل ولانا الصاحب عين الزمان وزين الشيب في الشبان فما زلت اسرق من هذا كلمة وانظر من ذاك فقرة واستعير من هنالك نادرة وثيقة اغصب الاحياء على بيانهم وانبش الموتى عن اكفانهم وانا في اثناء ذلك رطب اللسان بالدعاء رطب العين بالبكاء ادعو الله بالتوفيق والتسديد و بالعصمة والتأييد واسأله ان يحفظني من نفسي فانها عدي الاعداء ومن عجبي فانه ادوأ الاوداء ثم قمت فصليت ركعتين ختمت في كل ركعة منها ختمتين واستعذت بالله من الشيطان الرجيم وقلت بسم الله الرحمن الرحيم وابتدأت فسودت هذا الكتاب كله ثم نظرت فاذا انا قد تعبت وحبط العمل وانفقت مالي وجهد الجهل السيد ابو الحسن اكثر الله في ابي طالب مثله ولا سلبهم جماله وفضله فان كون مثله في ابي طالب رغم لانوف النواصب وهيهات لقد عظمت غلطا وسألت الله شططا فنحن معاشر الشيعة انحسن

وحظنا من الاقبال انحس من ان يفلح في الدنيا طالبي، او يسقى فيها ناصبي، ومن حصل مثل السيد والداه، فقد حصل المجد تالداه، وحق لمن كان السيد اباه، ان يكون من الكرام اخاه، فيستويا بالانتماء اليه في الميلاد وان اختلفا في الولادة، فهذا بضعة من خلقه، وهذا شعبة من خلقه، و من استقى عروقه من منبع النبوة، ورضع من ثدي الرسالة، وتهدلت اغصانه على بيعة الامامة، وتبجحت اطرافه في عرصة الشرف والسيادة وتفقأت بيضته عن سلالة الطهارة، وتناول المعالي بيد طويلة، وجرى اليها عن غاية قريبة، لم تستكبر منه حسنة وان كبرت، ولا تستصغر منه سيئة وان صغرت، فامتع الله هذا السيد بهذا الولد الذي لو لم ينتم اليه قولا لانتمى اليه فعلا، ولو لم نعلم ولادته من طريق الضرورة، لعلمناها من طريق القياس والفكرة فان لسان الشبه ناطق، وشاهد النجابة عدل صادق، وقد تكرم الاعراق فتخونها الاغصان، وقد تسبق الشيوخ فتتخلف عن مضمارهم الشبان، ولكن بنو طاهر زينوا طاهرا، كما زان اباه طاهر، فكم من اناس لهم اوك وليس لاولهم آخر، طولت على السيد بكلام اسفيد باجي قليل العظم، منحل النظم، داعية الى التكرار والاختصار، يمشي في طريق الاقتدار فان راى السيدان يعيي هذا الهذيان اذنا واسعة، ونفسا صابرة، و يتضاحك له تضاحك المعجب به ليغلط به العامة، وان عرفته الخاصة فعل

وكتب الى تلميذ له قصيدة يسئله نسخة قصيدة مما احدثه

وصلت القصيدة الغراء الزهراء، فكانت ارق من الماء، بل من الهواء، والذ من الصهباء، واسبى من اللقاء بين الاحباء، ومن هجوم السراء، غب الضراء واعذب من مغازلة النساء، ومن مجالسة الندماء، ومن مساعدة القضاء ومن معاقرة الشراب على الغناء، ومن استماع فوائد الحكماء وخطب البلغاء وقلائد الشعراء، ومن اخذ جوائز الامراء وتحصيل مراتب الخلفاء، فكانت معانيها ابدع من الوفاء، واعز من السخاء، واغرب من النصفة في الاصدقاء

ومن الامانة في الشركاء، بل اغرب من المغرب للعنقاء، والفاظها احسن من البدر في الظلماء، واطيب من وصال الحسناء، ومن افتراع العذراء، ومن الشمامة في الاعداء، بل كما قالت الست سكينة بنت امير المؤمنين الحسين رضي الله تعالى عنهما، كنت احسن من السماء، واعذب من الماء، لا بل كانت اهنأ من الشفاء بعد الداء، ومن الرضا عقيب البلاء، ومن النعماء في اثر البأساء، ومن استجابة الدعاء، وتحقيق الرجاء، وفتحها عن الوشي الوشاء، وعن الروضة الغناء، لا بل نشرتها عن الزهرة الزهراء، وعن الغرة الغراء، وعن الدرة العذراء، و رايتك انطقت بها وعن يمينك التأييد، وعن يسارك التسديد، ومن وراءك المجد السعيد، وانما صنعتها صنع من طب لمن حبب فاني اشهد انك اطيب من كل طيب، واني اليك احب من كل حبيب واناصد الكلام عن صفاء ودك، ونقاء عهدك وخوج من تفضل الى مستأهل حضوه من التوفيق اذن واعية، وهمة كالية، وصحبه من التسديد عين راعية، وقوى مواعية، ولم يكن للخطأ طريق اليه، ولا للخطل مجاز عليه، وانما بزّ القول يحسنه القائل على مقدار حصة من يمديه اليه ورغبته فيه، وموضعه منه، وانت ايدك الله تتحفني بما لا استأهله الا على قدر حصتي من قلبك، وموضعي من حبك، ولو عاملتني على طريق المجازاة لا على طريق المحاباة، لخرج لك على غلط كثير، وحاصل كبير، وقد حملت اليك نسخة كلمة قلتها، فرضيت بها عن شيطاني، وصالحت لها قلبي ولساني، ولعمري لقد كلتها من جراب الدقي، ووزنتها من كيس اللبق، وعبأتها من نزهة الخاصة ونسجتها على منوال النصيحة، وقلبت لها جريدة التصفح والتخبر، و نشرت فيها صحيفة التدبر، ونطفت طرفها من اللفظ المستبرد، ومن المعنى المردد، وصقلتها بمدوس النظر، وجلوتها بكف الفكر، ووكلت بها من التمييز جفنا ساهرا، ولحاظا حيارى، حتى دارت في كوكب النظافة، وخرجت في معرض الظرف واللطافة، وحتى بهدت عروسا تفتن الناظر، وتغطي المناظر، وحتى حذيت حذاء الحضرمية ارهفت، واجادها التحسين والتلسين

وكتب الى حاجب لوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت

اما قصور اجوبة كتبي فاني لا اعاتب محاجب عليها، ولا اوجه الشكاية عنه اليها، فانا ولا كفران الله تعالى في زمان يجب ان يجري الجفاء فيه مجرى العادة والسجية، ونضعه موضع السنة بل الفريضة، ونقيمه مقام الجبلة والشيمة ننتظر الى حفظ العهد بعين الشمامة والطرفة، وننزله منزلة الغريبة والنادرة، و نحكم عليه بنقض العادة وخلاف الجملة، على اني قد ذكرت استثنى الحاجب من غيره واميزه بالفضل وسائر خصال الخير عن ابناء دهره، واعتقد اني قد ضمنت يدي منه على فخيرة ليس للزمان فيها عمل، ولا عليها للحوادث والغير مدخل، فارصد ظني فقد غرست في ارض كريمة، وبنيت مسألتي على علة صحيحة غير سقيمة وان تكن الاخرى فعادة من عادات الايام، وغائلة من غلطات الاوهام، وعين عاينة من عيون المجد، وعارضة من عوارض الوفاء وصحة العقد، وما خلوت منذ تفارقنا من نفس تتقدفيه الاضلع، وذكر تفيد له الادمع، ولا انسى تلك الايام الطويلة القصيرة بصحبته، والليالي المظلمة المقمرة بطلعته، ولا اتفكر في صغر حجم المقام، وتقارب خطو تلك الايام، الا انشدت

لما استتم عناقه للقائه	حتى ابتدات عناقه لوداعه

واذا كان في قصة الشعراء، وفي شريطة الوصافين والبلغاء، ان الوقت الطيب قصير وان لم يقصر، كما ان غيره كبير وان لم يكبر، فعلى هذا القياس ان ايامنا كانت قصيرة مرتين، وقليلة من جهتين، اما الاولى فقصر الامد وقلة العدد، واما الثانية فصفاء الوقت من الكدر، ونقاؤه من وضر الحوادث والغير، فسبحان من جعل محنتي زائدة على محن الناس، وفاضلة عن معاسير العادة والقياس، حتى ان نقصان اوقاتي المسعودة، وايامي المحمودة، حصل مثنى مثنى، ورجحانها يحصل فرادى فرادى كما ان نحوسها لا يجب ان يجيئني الا غريبة عجيبة، ولا يمكنها ان تسلك طريقها الحتي تقود حبيبه، وصلت الرسالة والقصيدة، وكانت الاولى ماء زلالا، والاخرى سحرا حلالا، وما منهما الا قريب شاسع، ومطمع مانع، كالشمس تقرب سناء، وتبعد سناء، وتنال ضياء، وتبعد علاء، وكالماء يرخص موجودا

ويغلو

ويغلو مفقودا، ورايت فيهما من غرائب الرجحان ما نقض عادة الزمان حتى لقد قامت الحيرة منهما في وجه علمي، وحتى لقد توقفت بين فهمي وهمي والآداب كلها زين، وهي اذا تكافات ازين، والمعارف كلها حسنة وهي اذا تقابلت اجمل واحسن، والكتابة آلة عجيبة، وهي من الشاعر اعجب كما ان الشعر صناعة غريبة، وهو من الكاتب اغرب، واذا ورد على من الحاجب كلام فضلته على ما قبله، واستثنيت في التفضيل ما بعده لعلمي انه قد امتطى من الاقبال مطية لن تقف به الا على الغاية، وسلك من السعادة طريقا يؤديه الى الزيادة، وابتدأ في وظيفة من الجمال لن تختم له الا باقصى غاية الكمال، وانا اسأل الله تعالى ان يجعله في هذه الصناعة نجما يهتدى باثره، ودليلا يورد بورده، ويصدر بصدره، وان يقيم لكلامه علما يهتدى به القريب، ويستدرك به القريب انه قريب مجيب والحمد لله الذي جعل الحاجب يضرب في المحاسن بالقدح المعلى، ويسمو فيها الى الشرف الاعلى، ولم يجعل فيه موضعا للولا ولا مجالا للا، فان الاستثناء اذا عرض في الكلام نضب ماؤه، وكدر نقاؤه وصفاؤه، ونطق فيه حساده واعداؤه، ولذلك قالوا ما املح الظبي لولا خنس انفه وما احسن البدر لولا كلف لونه، وما اطيب الخمر لولا الخمار، وما اشرف المجد لولا الاقتار، وما احمد مغبة الصبر لولا فناء العمر، وما اطيب الدنيا لو دامت واستقامت

ما اعلم الناس ان المجد مكسبة	للمجد لكنه ياتي على النشب

وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم

ورد كتاب الشيخ فاورد من السرور، اضعاف ما كان فيه من السطور بل اعداد ما كان فيه من الحروف بل اضعاف ذلك بالف بل الوف وفهمته اما ما ذكره الشيخ من انثيال الناس عليه يستعيرونه نسخ كتبي اليه فانما حملهم على ذلك عجبهم بي، وصار سببا لعجبه بكتبي، وصار ذلك داعية الناس الى عجبهم بها، وحاملا لهم على انتساخهم لها، وهم في ذلك

رجلان اما احدهما فانه يتبرك باتباع رايه والسير تحت لوائه واما الاخر فانه يتقرب اليه بمجانسته ويتشرف بين الناس بمناسبته والافهذه الكتب ابيس متونا واقل عيونا من ان يفخر بها مملئ او يرغب فيها مستملئ اوتشغل بها الاقلام والدفاتر او يوقف عليها ناظوا وخاطوا او يحرص عليها كاتب وشاعر ومما يحملني على التجوز فيها وينهاني عن الاحتشاد والتكلف لها اني اصدرتها الى حضرة من اذا رأى سيئة ستر وغفر وعذر واعذر وان رأى حسنة نشر واظهر وقرر وكرر وفكر وصور وجعل الخمسة عشرة والعشرة خمسة عشر وسيرد كتابي بعد هذه الكرة الى الشيخ مشبع الفصول ضافي الذيول واني القسيم من العرض والطول فقد وافوني هذه الكرة ساعد فصادا وهن الآلة وورث الكلالة والملالة وعاجلني الفتح ملازما بالباب مطالبا بالجواب مجاوزا باب المسئلة الى باب العتاب فكتبت وسرح البديهة عازب وماء القريحة ناضب

وكتب الى كاتب الرئيس بنيسابور

ليت شعري ما صنع بعدك العهد بقلب سيدك هل غيره عما عهدته عليه من اقامة رسوم الود وتوثيق اطناب العقد ام هب عليه رياح التنقل والتحول ومد اليه يد التغير والتبدل فان ذلك صنع الايام بالقلوب تقلبها يمينا وشمالا وتلونها حالا فحالا بل ليت شعري هل نسي سيدك من لا ينساه وسلي من لا يسلاه واستبدل بمن لا يريد الا اياه ولا يعاض من لقياه غير ذكراه وهو صديقنا ابو بكر الخوارزمي الطبري اعزه الله تعالى ام هو على رغم ظني به وكذب في هي عليه ثابت ركن الصفاء صافي شرب الاخاء حافظ على الغيب ما كان يحفظه على اللقاء فقد علم الله انه تقاسم قلبي هذان الظنان وتنازعني في علي به هذان الطريقان فان ملت الى اولهما وهو اغلبهما على واقربهما الي ذهبت في القياس بالناس على الناس مذهبا شديدا ووقفت بي سوء الظن بالزمان في اهله موقفا قريبا بعيدا وان ملت الى الثاني فسيدك

ايده

ايده الله تعالى يستحق ان يستثنى من غيره وان يحكم له بحكم يباين به اهل عصره وان يكذب فيه الظن اذا نسبه الى مجانسة الدهر وبعد له القياس اذا قضى عليه بمعاونة التلون والغدر وانا الآن في هذه الجملة واقف في عهده بي لا اتواضع لمذهب الواقفية ومزجي ما كانت تطمع في مثل شبالك المزجية فكيف عاتب سيدك بل كيف عاقبه بل كيف خاصمه واواثبه بل كيف اطاعنه واضاربه واقل ما جنته على غيبته اني كنت معتزليا فصرت مرجيا وقاطعا على صحة مذهبي فعدت به واقفيا هذه اصغر جناياتي فراقه علي واقل ضيعه وداعه الي ثم اني بعد هذا كله طويل الليل منذ فارقته بل قصير وقليل الانس بعده بل كثيره اما طول ليلي فلتذكري طول غيبته واما قصره فلقطعي له بتمني اوبته واما قلة انسي فلبعده عني الآن واما كثرته فلتمثلي قربه الدان ولتصوري طلعته في قلبي وعيني ونظري اليه عن مرآة من هما حسبي فظني علي انني اروح واجوان خطوا يام الفراق قد قصرت واني بحبهما قد صغرت واريد سيدك وارد قبل ان يبرني بالجواب عن هذا الكتاب ولعمري لئن ورد علي قبل ان يكتب بجواب الي لقد برني الكاتب وان عق الكتاب فيكون قد برني بالكبير الكبير وعق في الصغير الصغير ولان يونس عيني بلحظة احب الي من ان يؤنس سمعي بلفظة وان كان كلامه في نفسي ما عز الا وفي اذني سحر اجلا وكلام الحبيب حبيب وكل شيء من القلوب قريب قال جرير

ان البلية من يمل كلامه	فانقع فؤادك مرجديث لواعق
وقال غيره	
واذا كرهت فتى كرهت كلامه	واذا سمعت عناؤه لم تطرب

اردت مكاتبة الرئيس ثم اشفقت على سمعه ان املاه بالكلام الغث وعلى ناظره ان اشغله بالخط الرث ورأيت رثاء بلاغتي اقصر وقيمة الفاظي التي فيها اقل واحقر من ان اعرضها للنظر وامرها على سمعه وبصره واتعرض بها لخطة اسلم طرقها طريق العذر وآمن مسالكها مسلك التغافل والستر ومن فرط بعيبه فقد استتر ومن عرف ذنبه فقد اعتذر ومن

مديد قصيرة ليتناول بها غاية بعيدة فقد استهدف لسهام التوقيف و
قعد على قارعة التقريع والتعنيف وسيكف يعتذر عني اليه، ويقر أسلامي عليه
ويعرفه عني اني عدت نيسابور دستاقا اذا غاب عنها واعدل الرساتيق قصبة
اذا اقام فيها، واني لا آنس بشيء اذا غبت عنه، كما لا استوحش من شيء اذا
قربت منه، والله تعالى اسأل ان يرد علي نيسابور بهاها، ويعيد اليها بطلعته
سناها وضياها، ويجلي بشمسه ظلماها، وان يجعل نعمته عليه الوفا لا
عزوفا، فان النعمة اذا الفت قرت، واذا غرفت فرت، لانها لا تألف لا مكانا
تتزين بنزوله، ولا تقيم الا على باب لا تأنف من دخوله، ولا يطول مكثها الا
في بيت للشرف فيه مجال، وللمادح فيه مقال، وللادب فيه مرح، ولعصا
الامل فيه مطرح، فان اصابت مثل هذا المكان نفضت غبار التر حال، و
نسيت حديث الزوال والانتقال، وخالطت خلطة الشركاء، وواصلت وصلة
الاقرباء، وصارت من الاجداد الى الآباء، ومن الآباء الى الابناء، واذا كان
نزولها في مكان هي فيه غريبة احتشمت حشمة الغرباء، وانقبضت
انقباض الاجانب البعداء، او تقلبت الى الارتحال واقامت بين الدلال والادلال
ولم يكن مقامها الا عدد ايام، واضغاث احلام، وانما النعمة انتي اذا اصابت
كفوا انكحت، واذا صادفت غير كفو سافحت، فهي تقيم مع اكفائها الشهر
والدهر، وترتحل عن غير اكفائها الظهر والعصر، واين يقع مقام الخليلة
خليلها، وان ما اسسه الحق وبنته الشريعة خير مما اسسه الباطل وبنته
البدعة، والله تعالى يطيل بقاه، ويجعل من يحسده فداه

وكتب الى ابي الحسن الحاكم بن ابي حاتم لما هرب من نيسابور الى بخارا بعد ان اراد والقبض بما عليه وبعث خلفه فلم يجده

ما زلت انشد يد الله الحاكم قول الاول

رب امر تتقيه	جر نفعا ترتجيه	خفي المحبوب منه	وبدا المكروه فيه

فانظر الى تنزيله، ولا اقف على حقيقة تاويله، وارى ظاهره، ولا

ك استشف

استشف باطنه، حتى خرج من خروج الحاكم ما جرى، ووقى الله من المكروه
في ذلك ما وقى، فعلمت حينئذ ان الطاف الله تعالى تسير الى عباده في طرق
خفية المذاهب دقيقة الجوانب وان السلامة ربما نشأت في معرض الخطر، و
ان الامن ربما ظهر في قالب الخوف والحذر، وانا الشيء ما امرنا ان نستعيذ من شر
ما ندري وما لا ندري، وما كنت اشعر ان فراق الصديق يسر، وان الاجتماع معه
يضر، ولا كنت اصدق ان الداء يستحيل دواء، ولا ان الدواء يجلب داء، ولو رأيت
في المنام اني فارقت الحاكم ولم يتفطر عليه كبدي حرقات، ولم تذهب نفسي
في اثره حسرات، لتعوذت بالله من شيء منامي، وسألت العافية من طوارق احلامي
ولظننت ان تلك الرؤيا نتيجة فكري، وبخار خلط سوداوي، واني انما رفعت
في منامي الى مثل هذا التخليط، لاكل الباذنجان والقنبيط، فانهما منابع السوداء
على مذهب الاطباء، والآن فقد فارقت الحاكم وانا ضاحك السن قرير العين
قليل الحزن جلد على وقع سهام البين، لاني رأيت العافية وهي متعلقة بذنب
رحيله عنا، والى البلايا وهي مشتملة على قربه منا، فاخترت على مقامه
رحيله، وآثرت اغتمامي له، وقلت يا عين لان ترى فراقا تحبين خير من
ان ترى في من تحبين ما تكرهين، فالحمد لله الذي اقصى بعض المكروه الى الخفة
وقعا، واقله لذعا، وانتهى بعض المحنة الى غاية لم تستغرق قصى امكان الدهر
ولم تستوعب بعد غايات التجلد والصبر، وما نقص من الشيء فهو زائد في
اقسام الخير، وما وقع من المكروه فهو محجوب وان كره ظاهره، ومحمود وان
ذم عاجله، وما كنت احسبني اعيش حتى احمد الله على فراق الاصدقاء، و
التكلم في مواقف الضراء، بما يتكلم به في مواقف السراء، ولقد اغرب على الدهر
وما كنت اظن بغريب علي ويزيد من بوادره على مالك، هذا ايد الله الحاكم وقد
بث الاعداء شباك الغدر، ونصبوا حبائل المكر، واستفرغوا في السعاية جهدهم
واخرجوا اقصى ما عندهم، فابى الله تعالى وله الحمد الا ان يقع في البر من جفي، وان
لا يحيق المكر السيء الا بمن مكر، وخرج الحاكم من غيابة تلك الاهوال
خروج المشمر في من الصقال، وقد فديت عنه عين الزمان، وقصرت

دون خطوة الحدثان اذا اذن الله في حاجة اتاك النجاح بما يرضى اذا الله سنى
عقد شيئ تيسرا والحمد لله الذي لم يبن في وجه الحق سودا ولا ناظر العدل و
التوحيد رمدا ولم يشمت الناقص بالفاضل ولم يضحك الحق من الباطل
ثم الحمد لله الذي جلى تلك الضبابة وقشع تلك السحابة وغسل عن جبين جمى و
عن وجه اهل الحق تلك الكابة ثم الحمد لله الذي ختم للحاكم بالمصير الى حضرة
تتوفر عليها الرجال وعليها تحوم الهمم والآمال واليها تنتهي الرغبة والسؤا
فلا مجاز لهمة خلفها كما لا منتهى لجاد دونها ولا غاية لطالب قبلها كما لا نهاية
له بعدها وارجو ان الدهر المحارب قد سالم وان البخت المعاند قد سلم وان
مدة الفترة قد تناهت وان غاية المحنة قد انتهت وان عسكر النحوس قد
عزم على القفول وان نجم الهمم قد اذن بالافول وانا بعد هذا كله اتعجب
من كثرة قولي الحمد لله ثم الحمد لله واقول هذا حمدك على فراق الاصدقاء
فكيف حمدك على اللقاء وهذا شكرى على المحنة فكيف به على المنحة
وقد كان مات لعبد الملك بن مروان ابن فقال الحمد لله يقتل ولا دنا
ونحبه وانا اقول الحمد لله الذي فرق عنا اخواننا ونحمده

وكتب الى وكيل الوزير ابن عباد باصفهان وقد ولي سوق الطعام بعناية وهو

كتابي وقد علم الله تعالى ان امرك مستول على افكاري وشاغل عن ساعات
ليلي ونهاري فانك بصدد شغل ان كفيته لم تشكر وان عجزت عنه لم تعذر
اذ اكان الاحسان في شروطك والاساءة غير مظنونة بك والذي اراه لك
ان تقسم لكل ساعة حقا من نفسك وتصرف الى كل وقت طائفة من شغلك
ولا تبيت ليلة الا وقد لقحت وظيفة يومها ولا تمر بك ساعة الا وقد توفرت عليها
بقسمها ولا تؤخر عمل اليوم الى الغد ولا تحمل نفسك في شغل السبت الى
الاحد فان الاشغال اذا تراحمت اعتت الناظر وشغلت القلب والخاطر
وبلدت الكافي والماهر وكيف مثلك وانت اعزل اليد من سلاح الكتابة
مصروف عن اعظم حظوظ الكفاية فاياك وتعريض ما عندي لنعمتي

للمنضوب

للمنضوب ووجهي للشحوب وعلي بن سعيد ذو القلمين والفضل بن سهل
ذو الرياستين واسحق بن كنداج ذو السيفين وصاعد بن مخلد ذو الوزارتين
وفي المتقدمين خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وقيس بن سعود ذو المجدين
وابن الشريد ذو السهمين والنعمان بن المنذر بن ماء السماء ذو القرنين و
كعب بن مامع ذو الكتابتين وجعفر ذو الجناحين وعثمان والنورين فلان
ذو اليدين وفلان والشمالين وفلان والبردين وعبد الله ذو النجادين و
ابو بكر الخوارزمي والغرامتين وذلك اني ثقلت على ولي نعمتي مرة في حوائجي
ثم اثقل عليه اخرى في حوائج ثانية على انه ايد الله تعالى واسع الحكمة
طويل المخطوة كثير التوسع والمسامحة في باب الاموال مع الكمال يسامح في
بدرة سائلا ويضايق في حبة عاملا وكذلك الكريم يتسع من حيث السخاء
ويضيق من حيث الوفاء ويبتذل ماله تخرجا ويحمي دينه تحرجا فلا يحملني
معه على خطة ان اجابني صنها الى مرادي ستوحش وان منعني اوحش
ولا تأمن السم باصفهان اذا كان دريا قه بخراسان وفي هذا القدر ذكر
لمن كان له قلب واغاثة على مرلب الاستاذ فلان ايد الله تعالى قد كثرت
كتبي اليه وطال وعرض صدلعي عليه ولذلك لم اكاتبه في هذه العلة التي
عظم موقعها مني وجل حظرها في قلبي وعيني ولقد عتل بعلته الكرم
وشكا شكاية السيف والقلم وكسفت به شمس الادب وتزعزعه عرش
العرب فانما علة مثله تغير عالم وفساد امم وخراب ممالك واضطراب
وكرة النقص على الفضل ودولت الجهل على العقل ووهن على العلم واهله
وفترة في الكرم وحزبه فالله تعالى يعيد بصحته الى الدنيا ضياءها ويرد
على السحب ماءها ويجعل ما يستأنفه من عمره ويقتبله من عيشه مصفى من
الغير منقى من الوضر وخالصا من كل خوف وخطر وصافيا من كل شوب و
كدر وليكون ما مضى كفارة وما بقي نعمة سيدي فلان قد فطمني عن عادته
الجميلة وارتجع ما كان عندي من عطيته الجزيلة وقطع عن كتبه التي اذا وردت
الى حسد على لمسها يدي وعلى لحظها عيني واحتسب على ما زاده الله تعالى

جلالة قدره وكمال بدره ولكن تلك الزيادة يحاسب عليها الاعداء لا
الاصدقاء فما من هو شريك فيها وآخذ بقسم منها فلا بل زيادة النعمة
توجب زيادة الصدقة وفضل المال يقتضي فضل النوال والتواضع في
الرياسة احد شبائك السياسة فاقرأ اعزك الله تعالى بسلامي عليه و
عوفه اني قد كنت رويت ابياتا والقلب غير مقسم الافكار والحفظ غير كليل
الفرار فلما سلبني الدهر ثوب الشباب ومزق على رداء الجمال والكمال نسيتها فلما
عاملني بسيئ فلان بما ذكرته وذكرتها ولقد احسن الي من حيث رددت روايتي
علي وان كان اساء بي من حيث ارتجعت مني بره وجانس في ذمره وقديت من
له اثناء كل مسائة منه مسرة وفي ضمن كل جفوة منه عبرة ومن اذا احسن
كان احسانه خالصا من كل شوب وصافيا من كل عيب وريب وان اساء
كانت اسائته بالاحسان مشوبة والى غير جمتها مقلوبة والابيات

كفى حزنا ان لا صديق ولا اخ	يفيد غناء لا يدا خله كبر
والا التوى وظن انك دونه	وتلك التي جلت فما عندها صبر
فلا نال فوق القوت مثقال ذرة	صديق ولا اوفى على غيره اليسر
وما ذاك الا رغبة في وصاله	والا حذرا ان يميل به الدهر

وكتب الى ابي القاسم الدواداري اول ما افتتح بمكاتبته

كتابي وعز علي ان يجمعني والفقيه بقعة او تشتمل علينا جملة والكتابة
فيما بيننا دارسة الاثر مهملة الورد والصدر واشد على من هذا ان افتتح
ذلك بسؤال حاجة او امزج ماءه وبهاءه بتكلف كلفة ولقد حاسبت على
هذا نفسي وعاتبت فيه قلبي فرايت ان جفاء يؤدي الى البر يرى وان ذنبا
ينتسب الى العذر عذر وان حاجة حملت على طي بساط الحشمة وعارة
طريق المكاتبة والمباسطة حاجة عظيمة البركة محمودة التفصيل والجملة فعذرت نفسي
اعزني الله تعالى قبل ان تعتذر وغفرت لها قبل ان تستغفر ونسيت قول الاول

وما حسن ان يعذر المرء نفسه	وليس له من بينا الناس عاذر

حتى كان هذا البيت لم يجر بين قلبي وكتبي ولم يسافر بين جنبي وقلبي و
حتى كاني لم ادرسه صغيرا ولم ادرسه الناس كبيرا وحتى كاني لم ار الديوان
الذي هو فيه والشعر الذي هو بعض قوافيه والعجب اني في هذا
الفصل بينا انا اعتذر اذ صرت افتخر وبينا انا اضع من نفسي لجنايتها
اذ صرت اعد لها لحفظها ورواياتها وهكذا من جمح به قلبه وبانه و
استنزله تبيينه وبيانه بل هكذا يكون من جرى في ميدان الكتابة وهو
راجل ورمى في هدف البلاغة وسهمه افوق ناصل ثم نرجع الى حديث
المكاتبة والله لو كان من الورق اعز من الوفاء واغرب من السخاء و
القلم اغلى من الماء في وسط الدهناء واقل من المغرب العنقاء واعوز
من الكمال في النساء ومن الصدق في الشعراء ومن توقي الرياء في القراء والحبر
والمداد اضيق من الانصاف في الاصدقاء وحسن العشرة في الندماء
بل اضيق من امانة الشركاء بل اضيق من خاطر ابي تمام حيث قال قد
اتئب فرطت في الغلواء حتى كانه لو لم يقع على احلى من هذا الابتداء
لما كان لي عذر في ترك مكاتبة الفقيه وبيني وبينه ثلث الخريطة ومسيرة سبع
للقافلة هذا في الظاهر فاما في الحقيقة فبيننا الفرسخ بذراع الميل وخطوة
الفيل فان الخطوة بين المتحابين فراسخ كثيرة ومراحل طويلة عريضة
مازلت ايد الله الفقيه اورد على قول عمرو بن ابي ربيعة المخزومي

يا اهل بابل ما نفست عليكم	من عيشكم الا ثلاث خصال
ماء الفرات وطيب ظل بارد	وسماع محسنتين لابن هلال

فاقول هلا احسد اهل العراق على المتصوفين او الرافدين او على الرطب السابري
والتين اللوزيري والعنب الرازقي او على فرضتهم من ماء الساج والعاج وطرائفهم
بنوع المخز والديباج بل هلا احسدهم على ان فيما بينهم مشهد سيد
المؤمنين سيد الاوصياء ومشهد الحسين سيد الشهداء وهلا احسدهم
على ان ارضهم واسطة العمارة في خط الاعتدال بين الجنوب والشمال وهلا
حسدهم على ان الرأي كوفي والاعتزال بصري والخط انباري والحساب سوادي

والتشيع عراقي وهما حسدهم على قراء الكوفة، وعباد البصرة، وابدال الابلة وعلى من هاجر اليهم من الصحابة، ونبغ فيهم من التابعين وابدال الامة، وما الذي خالف به الى ان حسدهم على ظل هو مشترك بين سائر البلدان، وعلى قيدتين كساني القيان بكل مكان في كل زمان حتى حدثت نفسي بمناقضته وحملت خاطري ولساني على معارضته، فاذا انا جالس تحت قول لطائي

تقضنا الخطيئة الف بيت	كذاك المحي يغلب الف ميت
اذا ما المحي هاجى حشو قبر	فذاكم ابن زانية بزنيت

وتذممت من ان اعارض بلسان خوارزمي وعقل طبري وخاطر اعجمي من لسانه عربي وعقله قرشي ونشوه مكي وظرفه مخزومي فعدلت عن المعارضة الى المناقلة، فقلت يا اهل هراة ما حسدتكم الا على ثلاث مشهد عبد الله بن معاوية الجعبري فيكم وكون ابي القاسم الدارمي منكم وحصول شراب الكشمش لكم وان بقعة خصت بالفقيه لوافرة القسم من الاقسام معلاة السهم من بين السهام غير عاتبة على المحظوظ والايام فلا زالت البقاع ببقائه تضيء وتتزهر والايام بجماله تتباهى وتتفخر، ولا زالت الفصاحة من لسانه في مسكن لا تريد منه بدلا ولا تبغي عنه حولا، ولا زال العلم يأوي منه الى ركن منيع وجناب مريع واطال الله تعالى للمحاسن بقاءه، ولا سلبه زينه وبهاءه، وجعل من يحسده فداءه

وله الى تلميذ له وكتب اليه رسالة وقصيدة

وصل كتابك المبشر بخبر افاقتك عن علتك، بشارة لو تصدقت لها بمالي وذبحت لها على وجه القربان اطفالي لكان ذلك صغيرا اجلالا، ومساحا مستدلا، وفي ضمنها القصيدة التي كبرت بل صغرت، وقلت بل كثرت اما كبرها وكثرها فلجلالة قدرها وعظم امرها، واما صغرها وقلتها، فلانها في جريدة الشعر وحدها، لا مثل لها قبلها ولا بعدها وفهمتها وتعجبت من اعتذارك بالعلة، وما ارى هذه العلة الا زادتك رجحانا، ولا نقصتك الا نقصانا ونقصان النقصان اول الرجحان، كثر مدحي ايدك الله تعالى المايد على

من

من نثرك وشعرك، بل درك وبحرك، حتى خشيت ان يحسب اني ازف مدحي الى كل خاطب وابتذل شهادتي لكل طالب وان يظن اني قارضك الثناء واصارفك الجزاء، ولا والله ما الى الدنيا استحسان الا والى جنبه احسان، واني لضيق ذرع التزكية والثناء، قصير خطى المدح والثناء، محاسب لقلبي اذا مال وللساني اذا قال، لا امدح الا ممدوحا بكل لسان ولا ارضى الا مرتضى بكل مكان ولا اقبل مدلس الفضل ولا اتبع مغشوش القول والفعل ولا يستفزني رعد كل سحاب ولا يستخفني طنين كل ذباب وسرعة الشهاب على توهم طوق الخفة، وابتذال المدح والتزكية باب من ابواب الزلة والملق والمجازفة بحساب القال اقبح من المجازفة بحساب المال لان الغلط في المال سماحة ويد والغلط في المقال حماقة وعياء، واقصى غايات فوات المال ان يكون من صاحبه فقيرا، وادنى غايات فوات الصواب ان يكون صاحبه سخيفا حقيرا، وبين الخسرانين نفس مديد وبون بعيد ومن لم يعرف صرف ما بين النقصانين، لم يعرف صرف ما بين الخسرانين ومن لم يحس بنقص ما عليه لم يحس بفضل ما له، ومن لم يحاسب نفسه سرا، حاسبه غيره جهرا، ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه بيد التأمل ولسان التبين جمحا به الى غاية اولها ندامة، وآخرها ملامة، جعلنا الله تعالى ممن اذا تكلم لم يضع زمام كلامه في يد هواه، واذا شهد لم يلق شهادته في عنق سخطه ورضاه، وحشرنا في زمرة من اذا تكلموا كانوا غانمين واذا سكتوا كانوا سالمين انه ارحم الراحمين، رجعنا الى حديث الرسالة والقصيدة نظمك ايدك الله تعالى احسن من نثرك ونثرك احسن من شعرك فكل واحد منهما عيار على صاحبه حسنا وجمالا ومثال له تماما وكمالا، فالحمد لله الذي جعل بيانك متكافئ الشرف متعادل الطرف والطرف، وجعل سماء محاسنك مقابلة لارضها وبعض فضائلك منعوتة ببعضها، ولو انصفتك لاحببتك بقلبين ومدحتك بلسانين كما انك تحسن الي من جانبين وتبري من لونين ولكن الى غايته ينتهي المدى، وعند طاقته يقف المجتهد فاما اعتذارك بالعلة من وقوفك دون الغاية، وجريك

في بعض الحلبة، فاحسن من المحسن استزادتك منه، واجمل من الجميل اعتذارك عنه، والكتاب مذ ورديد ورفي العيون والافهام، ويسافر دون الدوى والاقلام، وفهمت الفصل في حديث المصيبة، وانما كانت نازلة طرقت ثم مرت، وشقشقة هدرت ثم فرت، واذا قابلتا بين حسنات الدهر وسيئاته ووازنا بين طرفي ارتجاعه وهباته، خرج له علينا حاصل كثير، ولكن الانسان الى الشكاية اعجل، وطريقها عليه اسهل، ولقد اعطتني الايام حتى صرت لاحمدها اذا وهبت، واخذت مني حتى صرت لا اذمها اذا اخذت وسلبت

وفارقت حتى ما ابالي من انثوى	وان بان جيران علي كرام
فقد جعلت نفسي على النأي تنطوي	وعيني على فقد الصديق تنام

وكتب الى رئيس سرخس وقد ورد عليه بانه يعتذر من تقصيره اليه

كتابي وقد كنت اخرج الى اخواني من عهدة تقصيري، واقربهم بما في من عيب تفريطي وتعذيري، واعرفهم اني في تعدهم دون مقتضى حقوقهم واخرج مما اريده في بوهم الى عقوقهم، حتى اتفق الآن من ورود فلان، ما كشف عن غبي، وابرز من عبي، ونادى على باني صديق مقال لا صديق فعال، وان مودتي مجازية لا حقيقية، ولسانية لا قلبية، واقل ما يجب على وقد حضر مثلي في داري، ان انثر عليه صك عقاري، ثم اعتد اليه من قلة نثاري، وان اعبق على وجهه كل نسمة احتويها، واحل له كل عقدة اتصوف فيها، واصبح صائما، وابيت قائما ثم اعتد ذلك كله في جنب الواجب هباء منثورا، وقليلا محقورا، ولقد كنت تذكرت وروده على حين رجوته وتمنيته، ثم خفته واتقيته، اما رجائي له فحياء للقياه واما خوفي له فعلما بقصوري عن بلوغ رضاه وضعفي عن اقامة شروطه ما يقتضيه حبي اياه

وكتب كبكر تحب النكاح وتفوق من صولة الناكح

واما ولدك فلان فقد كشفته عن جوهرة كريمة، ودرة يتيمة، وقلبته عن

عقل كثير، وادب غزير، وشعر يحسده عليه الاعلاء، وتغبطه به الاصدقاء يلتقط بالابصار ويخزن في الافكار، وقريحة اصفى من ماء السماء، واصح من الوفاء، فهو بحمد الله على قرب اسناده، وحدوث ميلاده، شيخ قدر وهيبة، وان لم يكن شمط شيبة، ووالد من حيث الذكر والفخر، وان كان ولدا من حيث العرق والنجر، ومثل والده فلان خرج فاغرب وادب فهذب وولده فانجب، ان الاصول عليها ينبت الشجر، وليست النجابة في هذا البيت موروثة عن كلالة، ولا خارجة عن رسم وعادة، لمتعنا الله تعالى بهذا الولد الذي سبق الاولاد، واحيا الآباء والاجداد، وارغم الاعداء والحساد، وكتب اسمه في حسنات الايام، بل في حسنات الانام كما كتب شعره في محاسن الكلام، والهمنا من شكر نعمته به علينا ما هي تهن ببقائها، ونتمنى معه بها، فان النعم اذا ارتبطت بالشكر اقامت وسكنت واذا القيت بالكفران قامت فظعنت، واما ايام فلان عندنا فقد كانت اطيب من ليل المراد، ولكنها اقصر من ساعات الاعياد، ولكن لم استتم عناقه للقائه حتى ابتدأت عناقه لوداعه، وما كان قدومه الا تهييجا للشهوة، وتطرية للشوق والصبوة، وذكاء للقريحة التي كانت تفرقت بالصبر والسلوة، وسبحان من جعل فراقه بالمن الرازي ولقاءه بالمن البغدادي، وجعل مدة غيبته مشاهرة ومعاومة ومدة ايبته مسايعة ومياومة، ولو انصفنا الدهر لكانت مدة الفراق في اوزان مدة التلاق، وكان السم بازائه الترياق، سألت فلانا عن جسم سيدنا في صحته وعلته، وفي ضعفه وقوته، فعرفني عاسي فلانا زال صحيح الخلق كما هو صحيح الخلق، وقوي الجسم كما هو قوي الدين في العلم، وسليم الاعضاء كما هو سليم الود والوفاء، ولا زالت اوقاته تتنافس بهاء، وتتفاضل حسنا وضياء، يومها فوق مسهاه، ودون غدها، وقد كنت قبل لقاء فلان رطب اللسان بانشاد

متى يكون الذي ارجو وآمله	اما الذي كنت اخشاه فقد كانا

فلما فارقته صرت انشد

صلى الاله على امرء ودعته	وتم نعمته عليه وزادها

وكتب الى صاحب البريد بالرى كتبها من اصفهان

قد كنت احسب الفراق يسير الخطب هين الوقع، قليل العب والثقل خفيف الكل والظل، حتى دهيت بفراق سيدى فعلمت من مقدار الفراق ما كنت جهلته ووجدت من شخصه ما كنت اضللته وعلمته من طريق المطالعة والمعرفة وانما كنت اراه من طريق التخيل والصفة، وتذكرت قول جرير،

لو كنت اعلم ان آخر عهدكم	هذا الفراق فعلت ما لم افعل

ولكنى لو علمت انى قعد تحت اعباء الاشتياق، واتقسخ تحت ثقل الفراق لصحبت سيدى فراشا او ركابيا او طباخا او شاكريا، ولو وسعت اكثر من ذلك لقلت اصحبه كاتبا او حاجبا، او نديما او صاحبا، او مغنيا او ضاربا، ولكننى اخشى ان يتفضل سيدى بقبولى وينشط لحضورى، ويجلنى عند المشاهدة على شرائط المحبة، ويتقدم الى بالخروج من العهدة ويقول بها المبرز علينا نفسه فى معرض الدعوى العريضة، دونك فاكفف عما ادعيت او فاكفف عما حكيت، وعد واضرب عما اظهرت وابديت، فاذا بسيدى الى بكر اخجل من بخراء تكلمت ومن فوهاء تبسمت، قد جلس على قافية الدهش والتحير، وفتح جواب الخجل والتشور، وحك لحيه خجلا، وعبث بلحيته ارتيازا وذهلا، واخذ يتشاغل بالحديث عن السدى، وعن الحسن البصرى، وعامر الشعبى، وينشد

تقاتبك من ذكرى حبيب ومنزل	بسقط اللوى بين الدخول فحومل

اللهم انا نعوذ بك من مواقف الخذلان، ومن سقطات المقال، ومن دعاوى المحال، سبحان الله ليت شعرى ما الذى جمح بى الى كل هذا الهذيان، وما الذى حملنى على ان اركض فى عرض هذا الميدان، وما الذى مال بنا من ذكر الاشواق ومن حديث الفراق الى كل هذا الحديث الغث، والكلام الرث، وهكذا من يركب الجواد وليس بفارس، ويكاتب وليس بكاتب، ويقوم باب صناعة لم يستوف حقوقها، ولم يسلك طريقها ولم يختلف الى اهليها، ولم يعش قدمه فيها، فدخرجنا الامر من هذا الميدان، ورجعنا الى باب هذا اليوم

والغربان، واما والله اشوق الى سيدى منه الى احراز خصل المجد وتحصيل قصب الحمد بل اشوق منه الى الاحسان الذى هو اخوه وشقيقه، والافضال الذى هو شريكه ورفيقه، بل اشوق منه الى اصفهان والى فراق خراسان بعد ما عاين من تفاوت احوالها، وسخافة رجالها، وحقارة اعمالها بل عمالها، ولولم يهو سيدى فيها من طبقات التخلف غير كاتب هذا الكتاب، لكان كافيا فى هذا الباب المخلقون صانهم الله تعالى قد نفذت رسولى اليهم، وعرضت مالى قليل جاهى عليهم، فانقبضوا ولا لوم عليهم فى ذلك بعد ما رايت من انقباض سيدى عمن كان لا يبخل عليه بملك خراسان، وتاجر انوشيروان، وصرح هامان وطرازى قاشان وخورستان وبعد ما عوض عليه ما يملك عوضا غير سابرى وبذله بذلا غير مجازى والانقباض فى غير مكانه توكيد للحشمة، وظلم للود والثقة وقطع لعلائق المباسطة والمخالطة وكذلك الانبساط فى غير مكانه استهتاف للهوان، واكتساب للمقت والشنان، وفتح لباب الهجران، وتعرض لقطيعة الاخوان والسلام

وكتب الى ابن هلال وقد ورد عليه خبر علته

كان قد ورد على خبر علة الشيخ وبلغ منى عالم يبلغه شئ قبله، ولا يبلغه شئ بعده، واردت ان ارسل اليه فى ذلك رسولا، وافرد نحوه كتابا ثم رأيت فى قرائة الكتاب تعب ناظره، وفى وصول الرسول شغل خاطره، فابقيت عليه بقية تحتها جفاء، وداعيت حقه مراعاة فى اثنائها تغافل واغضاء، وقد ورد الان خبر افاقته من علته، جعل الله تعالى ذلك آخر محنته، واول نعمته فكان سرور بالاخرى فى وزان غمى بالاولى لا عدم الله فى الشيخ اقصد وحرس من الحوادث حوباؤه، ومن الغير فناؤه، ولا ارانى الزمان فيه ظفرا فان الزمان حديد الظفر، لئيم الظفر، دقيق النظر، حلو المورد، مر المصدر، معين اللئام على الكرام، والليالى على الايام، ميالا منه على الضوء للظلام، تفاطرت على كتب ثالثة وفلان يذكر ما وجد لكتابى عند الشيخ من ايجاب

ولحاجتي من اسعاف واطلاق حتى قلم عنهم اظافير الايام، وقشع لهم ضبابة الاهتمام، وارا هم من النجاح مالم يروه في المنام، وهذه نعمة احتاج لها الى الدهر واسع من دهري، والى عمر انفس من عمري، والى شكر ابلغ من شكري، فاما هذا الدهر وهو العمر النزر، فايسع ان اشكر فيه حرا، اللهم ارزقني زمانا اوسع من زماني، ولسانا افصح من لساني، وبنانا اجرى من بناني حتى اقضي بالشكر حقوق اخواني فلا بذل الا بجود، ولا جود الا عن موجود، ولكن الدعاء غاية من ضاق امكانه، ولم يساعده زمانه، وقطعت عن مسافة همته خطوة جدته، وبه يكافي من قلت بسطته، وعجزت مقدرته، وانا اسأل الله تعالى ان يجعل الشيخ غاية لسؤال كل سائل، ومثابة الامل كل آمل، ورحلة كل راحل، وان يجعل السن اصدقائه، مشغولة بشكر آلائه، كما جعل قلوبهم مشغولة بوجائه وانفسهم مرتهنة بنعمائه، ويجللهم بل يجمل زمانهم ببهائه والسلام

وكتب الى يزيد صاحب سمرقند

صدر عني الى حضرة سيدي كتابان احدهما عامي والآخر خاصي فلا جرم حرمت جواب الماضي، ولم ارزق جواب الثاني، وقد انتظر غير ما جائني به الزمان وعاضني به الحرمان، لان الزمان لا يستحق مني حسن ظن، ويستأهل ان اصيبه بعين معذنوبه الى التي اذا ذكرتها كانت غيبة سيدي اولاها، وانقطاعا اخباه عني وسطاها، ولكن لاني كنت اظن ان سيدي يغلب بكرمه لؤمه، ويهزم بيمينه يومه ويحولني عن شكايته الى شكره وينقلني عن حزبه الى صلحه فالحمد لله الذي جعل سيدي كاهل زمانه، وان قدمه عليهم بفضله لا قرانه، واخرجه من وحشة الوحدة الى انس الجماعة، ونقله في معاملته الى عرف قبح البدعة الى حسن السنة فخلطته بهم، وشكوته شكايتي لهم، وقلت فيه قولي فيهم، فيا سبحان الله في اي طالع ولدت، وعلى اي بخت رزقت، فحيثما اواصل اري صدا، واينما اتوجه لا ارى سعدا، قال عبد الله بن المعتز

قولا لمكتوم يا خير البساتين	الحمد لله حتى انت تجفوني

قد كنت منتظرا هذا فجئت به	وليس خلق على غدر بمأمون

وانا اقول

قولا لمولاي في الدنيا وفي الدين	الحمد لله حتى انت تجفوني

وصوت انا قضل ابن المعتز في شعره، طربا مني على مخاطبة سيدي وذكره، و الطرب هو حي العنان، ويبصر العميان، ويجري الجبان، ويجري اللسان والبنان، لا زال ذكر سيدي يطربنا خوانه حتى ينطقوا وهم بكم، ويعربوا وهم عجم، ويفصحوا وهم غتم، ولا زال اصدقاؤه يعاتبونه على كتاب يقطعه ويمنعه، ظلما منهم الى فائدة من فوائد كلامه، وحرصا على غريبة من غرائب لسانه واقلامه، واطال لهم بقاءه وصل ام صوم، اعطى ام حرم اهان ام كرم، انصف ام ظلم، فلا اخير في حب لا تحمل اقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه، وانما العشرة مجاملة، لا معاملة، والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف، ولا تحتمل الحساب والصرف، ولكني انما اعاتب سيدي لانوصل بذلك الى حلاوة اعتابه، واخاطبه بما لا ارضاه له لاتسبب به الى ما ارضاه من جوابه، وارجو ان الناس يغتفرون سواء الابتداء الحسن الجواب، ويعلمون ان الخطاء اذا سبب الصواب فهو ضرب من الصواب ليت شعري ما الذي ورد على سيدي من عمله، وهل رأى صيدا ام قيلا ووجد سعدا ام سعيدا، ويا ليت شعري ما الذي استفاده بعدنا من الاخوان ووجده في سؤال المودة والاخلصان، وعمد به يلتقط الاخوان التقاط الحب، وينتقيهم انتقاء اللب، ويدخرهم بين العين والقلب، ويعدهم الكنز الذي لا عدل فيه للزمان، والركاز الذي لا نصيب فيه الى السلطان،

وكتب الى الوزير ابن عباد الماوردباب جرجان لقتال الامير قابوس بن وشمكير

كتابي وانا بما يتوامى الي من اخبار نعم الله تعالى على الوزير في حله وترحاله وسائر متصرفاته واحواله قرير العين قوي الظهر شديد الازر، راض من افعال الدهر، اسمع كل يوم بشرى، واحتمل للايام نعمى، فاما احوالي

فتمامسكة ببقاء نعم الوزير علي وآثاره لدي فان فارقتني مطاوعة فاكثر تحمدانه
ماانصب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين
قد كانت كتبي انقطعت عن حضرة الوزير صيانة لسمعه عن ان اقرعه
بالكلام الوسط وشفقة على ناظره من ان اجيله في الخط السقط وعلما مني انى
اذا قطعته على هذه النية فقد وصلته واذا جفوته فقد بررته حتى ورد على
خبر حركته الى هذه الوجهة التي ركب اليها مطية الاقبال وجذب نحوها ازمة
الآمال واستظهر عليها بعساكر الايام والليالي فلم اجد بدا من الاذكاء
بنفسي التي انما ارتبطتها لتلك الخدمة وامسكت رمقها ببقاء تلك النعمة
ولعمري اني لاعوض منها ماء راكدا ومتاعا كاسدا ولكن الوزير بصدد حرب
وعارض خطب والحارب يحتاج الى الطبقات الناس فيجعل الخاصة منهم عدة
وعتادا والعامة حشوا وسوادا قد شمرت ايد الله الوزير ذيل المحارب
ورفعت رجل الراكب وفارقت خراسان عزما وان كنت بها جسما
اذا ورد علي اذن طفرت الى عسكره طفرة تطوي المراحل وتأكل
المناهل بعد ان حصلت من العتاد والعدة ومن الشوكة والشكة
ماينظم شوائط اوس بن حجر الكندي ومزرد بن ضرار الثعلبي قال اوس

واني مرؤ اعددت للحرب بعدما	رأيت لها نابا من الشر اعضلا
وقال مزرد	وعندي للحرب العوان مهند

هذا غير ما عندي من العدة التي يصنعها غير الله صانعه ولم يبعها غير
الايام بائع على ايد الله الوزير من انتماء اقبالي الى اقباله درع لا تصدعها
الايام ولا تنفذ فيها السهام وعلى رأسي من واقية دولته مغفر لا تعمل
فيه السيوف ولا تمر بطريقه الحتوف وبيدي من صنعة يمينه وبركته
قوس وترها الجد وسهمها السعد وفي عنقي من صقال نعمته سيف يقطع
الآجال لا الاوصال ويهزم الاقدار لا الرجال وتحتي من نتاج شوقي
اليه فرس اذا سرت به طار واذا وقفت به سار الشوق عنانه والايام
ميدانه والعجلة سرجه والسوط لجامه والعزيمة لبده وحزامه

فان اذن لي الوزير في ورود عسكره المحفوف بجناح النصرة المكنوف بجوانح
الدولة والكرة رأى مني بحمد الله تعالى فارسا ملأ العين كما سمع مني عالما
ملأ الاذن فيعلم حينئذ ان اقباله خرج له تلميذا انتظم فيه فروسية اللسان
وفروسية السيف والسنان ويكر في معركة الطعان كما يكر في معركة
البيان ويثبت اسمه في جريدة العلماء والفرسان فان الاقبال ربما التقى
طرفاه والكمال ربما اعتدل جانباه والاحسان ربما تكافأت يمناه ويسره
واذا كان الوزير وهو استاذ فارس الميدانين وسابق الوهانين وكانت يده
تجيل قدحي الشجاعة والكرم وتجمع بين السيف والقلم وتحذق آداب العرب
والعجم ولم يكن القباء الحق به من الطيلسان ولا الدفتر في يده اخلق من
السيف والسنان فلا بد لنا معاشر تلاميذه من ان نرقى على درجه ونمشي في منهجه واذا كانت حياته نفسها الله تعالى حيات امة ونفوسها
الله تعالى مقسمة من نفوس جمة فلا بد من ان تفديه تلك النفوس بنفوسهم
وان يلقوا دونه السيوف بوجوههم بل بروسهم ولن يخدموه في مواطن
المنايا كما خدموه في مواهب العطايا وان يبذلوا معه مجهودهم قتالا كما
بذلوا معهم مجهوده نوالا وان يبتذلوا فيه النفوس الكريمة كما ابتذل فيهم
النفايس العظيمة هذا واجب في قضية الكرم والمجد لازم في شريطة
الوفاء والعهد على اني اظن العدو اذا ظلته تلك الراية المنصورة يخطو
خطوة اولها جرجان وآخرها خراسان تقبلا اوليه وجريا على وتيرة ابيه
فانا عقل من ان يقذف امه ويخالف اباه ومن خالف والده فقد نفاه سيهزم
من جل طالما هزم وينهزم ابن رجل طالما انهزم ومن اشبه اباه فما ظلم

وكتب الى كثير بن احمد يعزيه عن ابنة له

نحن معاشر اولياء الشيخ ومتحملي اعباء نعمته والمتسمين بسمته جملته
اذا صدئت قرائحنا وفسدت اذهاننا جلوناها بمجالسته وغسلناها عنها
وضر التغير باتباع طريقته ونسنا انفسنا بما نراه ونتعلمه من سياسته

لبطانته ثم لرعيته، واذا كانت الحال هذه فمن المحال ان نبيع على الشيخ ما اشتريناه منه، وان نجلب اليه ما جلبناه عنه، وان نقيم انفسنا مقام المتعلمين، ثم نحمل اليه مواعظ بذله كلا ما منها ابدع، وبداية توقيعاته منها ابدع، ولكن لابد للمحب ان ينطق لسانه وقلمه، بما يترجم به عن دائم صدره، ويعبر عن نيته وسره، ولابد لمن شارك ربيبه في ايام الرخا والمواهب من ان يشاركه في ايام الغموم والمصائب ليكون قد خدمه في النوبتين، وتصرف معه في الحالتين، واثبت اسمه في جريدة الشركاء المساهمين مرتين، و بلغني خبر المصيبة فاغتممت بها غمين، ونفذت الى سهام الفجيعة من طريقين، اما احدهما فهي اني غار على هذه الجنبة الكريمة، وعلى هذه الدولة المستقيمة، من ان ينفذ فيها رمية الزمان، او تتناولها يد من ايدي النقصان، واما الثانية فهي اني علمت ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش البكاء ولم تقابل بالاذاعة والاشتكاء، تضاعفت اوصابها، وزادت اعباؤها، وانما الفم سم ترياقه المباثة، والموت خرق نحوه التسلية والتعزية قال ذو الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة	من الوجد او يشفي نجي البلابل

واذا كان لابد من عين تصيب طرفا من اطراف الكمال، ولابد من عوذة يعوذ بها وجه الجمال، فلان تكون الواقعة في الصغير، خير من ان تكون في الكبير، ولان يقع سهم الزمان على النسوان، امثل من ان يقع على الذكران فالحمد لله تعالى الذي جعل في طي المحنة منحة، ومزج الترحة بفرحة، فستر عورة من جيث سلب نساونهة، وكفى مؤونة من جيث جلب فجيعة، وابقى الكبير من جيث اخذ واحدة صغيرة، وجمل والدا من جيث اثكل والدة وهذا تكون مصائب المقبلين المجدودين، فان الدهر اذا ساءهم في القليل احسن اليهم في الجليل، واذا كاشفهم في الخفي المستور، صانهم في الجلي المشهور، والدا بهون مثالنا فانما تكون محنتهم صافية صرفا، ومخالصة بحتا والدهر يعلم اين الزبون، ومن المغبون، وانا اسئل الله تعالى ان يجعل المتوفاة لوالديها فرطا واجرا، وكنزا من كنوز الجنة وذخرا، وان يجمع بينها وبين

البتول السيدة فاطمة بنت الرسول، وبين خديجة الاسدية، وآسية الاسرائيلية، بنات الاكرمين، وازواج المرسلين صلوات الله تعالى عليهم اجمعين وان يحشرها شفيعا تقبل شفاعته، وتقضى في والديه واهل بيته حاجته، ويعوض عنها الشيخ اخاها سوى الخلق والخلق شريف الفعل والعرق ليستوفي الشيخ في يوم اجر الصابرين، وفي غده جزاء الشاكرين وليكون قد قضى لله تعالى حق الربوبية، من طرف العبودية، وان تكون هذه الحادثة خاتمة حوادث الزمان، وساقة عساكر النقصان، فلا يرى بعدها في تلك الدار الشريفة الا موهبة مستطرفة، وفائدة مستجدة مستأنفة حتى يشتغل بالتهاني عن التعازي، وبالمدائح عن المراثي والسلام

وكتب الى ابي محمد العلوي جوابا عن كتابه

ورد كتاب السيد بشراه من خبر سلامته بالبشرى التي تنسي كل بشرى، و بالنعمى التي تلغي كل نعمى، وبالفائدة التي تفطم فوائد الاولى والاخرى، وفهمته ولما بلغت منه الى ذكر الاعتذار عن تأخر كتابه عني، وشمول النعمة بامثاله للناس وفي امتلأت عجبا، ورأيت لي في كل جارحة قلبا، ورأيت السيد قد سلك بي من التواضع طريقا قد رفعه الله تعالى عنها، وجعله بنجوة منها وتكلف ما لو تكلفته له لكنت سالكا طريق الافراط، وراكبا مطية الغلو و الاشتطاط، وكيف به هو وانما كلامه لنا معشر شيعته كنز وذخر، وعز ومحمى ومال ووفر، وكبر وكثر، وحياة وعمر، فكيف كتابه الينا، وسلامه علينا والرئيس اذا اعطى المرؤس فوق حقه، فقد استرجع منه، واذا باسطه بما لا يسعه قدره فقد انقبض عنه، والاشياء اذا فرطت الى الرجحان عادت الى النقصان، ذكر السيد انه لا يرضى لمكاتبتي عفو كتابته، ولا ينزل فيها على حكم بلاغته، وهذا كلام لولا انه قد جرى به بنانه، ونطق به لسانه لقلت تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا، ولقد جئتم شيئا اذا، الكتابة ايد الله تعالى السيد صناعة مجانستها مجانسة النور للظلام، ومناسبتي لها

مناسبة الاوز للنعام، ولم اقرع بها، ولم اعلق باسبابها ولم اعاشر اربابها و
اصحابها، ولا ادعيتها بقلمي ولا بلساني ولا ادعاها لي صدقائي واخواني ولا
تمنيتها اذ كان المتمنى انما يتعلق بذنب لا امكان ويمشي في طريق الكيان، ولا
احتلت بها اذ كان الانسان انما يتوهم وهو وسنان ما يتفكر فيه وهو يقظان
ولا دعوت الله تعالى بها لانه امرنا ان نسأله ما لا ينقض العادة، ولا يفسد
التكليف والمصلحة، ولو كنت اجوز على نفسي شيئا منها لجوزته من طريق تصالي
بجانب السيد فان المواصلة رياضات مقاربة والمقاربة ربما جلبت مشاركة ومشاركة
وهب ان ذلك كان فكم وكم مقدار ما يتعلق بذيل المعاهير من دراهم الصيرفي،
وما عسى ان يعبق بثياب الجليس من طيب العطار والصيد لائق ولكم يخضخض
من الكتابة على مجالسة السيد في كل اسبوع ساعة، وعلى روايتي له في كل
شهر كتابة او رقعة، اللهم الا ان يكون السيد اراد بما ذكره رياضتي لا تهذيب
والتعرض لي بذكر الكتابة لكي اكاتب فان هذا من ابواب المحث والبعث وصنف
من اصناف الرقى والنفث، قد يقول الاستاذ لتلميذه احسنت يا سيد الادباء
واصبت يا واحد العلماء، ليلاظه طعم النقد، وليريه في ريحان العلم
بالتعلم، فان كان ذلك هذا السيد اراد، فقد بلغ المراد، وانا هو بعد اليوم
اقرع باب الكتابة، واتسلق على حيطان البلاغة، واجمع ما اقدر عليه من
رسائل السيد واحفظها صدرا، بل سطرا سطرا، واردد كل واحدة
منها خمس مرات بل عشرا فان خرجني ذلك فلحمد لله تعالى الذي رزقني، ثم
للسيد الذي حركني وان تكرر الاخرى فليغر نفسي عذرها مثل منجم ذكر السيد
ان اعتداده بي اعتداد العاقل بالشيعي والمعتزلي بالمعتزلي وانا اقول مكافيا لا
مباريا، ومنابعا لا موازيا اعتدادي بما رزقنيه الله من اعتداد السيد بي
اعتداد الصحابة بالنبي عليه السلام، واعتداد الشيعة بالوصي واعتداد
المعتزلة بالحسن البصري واعتداد الحجازيين بالشافعي واعتداد الزيدية
بزيد بن علي رضي الله تعالى عنه، واعتداد الامامية بالمهدي لا بل اعتداد
العاشق باللقاء، والظمآن بالري لا بل هو اعتداد محمد بن العباس الطبري

بالسيد

بالسيد بن محمد العلوي وهذا ميدان يحتمل الفرسان وفصل يتسع للتصرف
والجولان ولكني اكره ان اشق على السيد في الجواب وان اكلفه دخول هذا
الباب ذكر السيد ان اكفاءه الينا قد قربوا وان حجم الغيبة قد صغر وذرعها
قد قصر، وانا اسئل الله تعالى ان يصدق هذا المقال ويحقق هذا الفال، و
يريني تلك الطلعة التي اذا رايتها لم انغص بغيبة الغائبين واذا فقدتها لم
اتمنا بحضور الحاضرين، واذا نظرت اليها فيومي سعيد وفصلي مربع
بل ربيع واذا تصبحت بها تصبحت بالنظر الى النبي والوصي عليهما السلام والى البتول
ابنة الرسول والى السبطين الشهيدين الحسن والحسين والى السجاد زين العابدين
صلوات الله تعالى عليهم اجمعين، سألني السيد ان اسئله بعض هدايا تلك الناحية
لا والله ما اعوف نفيسة، ولا اطرفه خطيرة تعدل عنده وجهه فليهده الي وليخلع نظره
اليه علي وليعلم انه اذا فعل ذلك فقد زفني الى الدنيا في معرض الجمال واهدى الى
السعود بين طبق ومكبة من الاقبال ولم يدع لعين التمني بعد ذلك مطمحا
ولا لقوس الاقتراح والتحكم بعدها منتزعا، لا يكتب الي السيد بخط غيره
لاني اذا قرأت كلامه من آثار بنانه، فقد جنيت الورد من اغصانه، و
قليل لمن ادلى بمثل وسيلتي واتسم بمثل سمتي ان تنبعث له البنان و
الاقلام، وان ينثقب له الخط والكلام، وان ينزل على حكمه والسلام

وكتب الكاتب ه

اعتذر سيدي من صغر الكتاب واختصاره، فقد اغناه الله تعالى
عن تكلفه من اعتذاره، وانما الصغير ما صغر قدره، لا ما صغر حجمه، فاما
ما افاد، وجاوز المراد، فليس بصغير، بل اكبر من كبير، واما شكوه لي
على تفصيلي لكلامه، فاني من هذا بعد في ميدان عريض مديد وفي شوط
بعيد لم ابلغ عشر عشيره، ولم اقض منه ايسر يسيره، والحق اني وان
اجتهدت فاني غير بالغ منه ما في ضمن النية، ولا آت على ما في الهمة و
الامنية، ولكني ساقف عقلي انتهاء الطاقة، واحمل مجهودي اقصى الغاية

والتمادح بيننا بعد الحال التي عرفت، حتى اخلقت، وقدمت حتى هومت تصل
لا يحتاج اليه ولا يعرج عليه، واسأل الله تعالى ان يجعل اخوتنا متصلة في
الدنيا باخوتنا يوم الدين فان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين

وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة

عظم علي الشيخ ادلالي وكثر على قلبه اشغالي وفتح عليه كرمه من حواشي
بابا لا يسد ولا يرد، ولكني اذا قلبت سلعة الشكر، ونشرت طراز الاحسان
والبر، لم ار غيره يشتريه، او يرغب سواه فيه، وانا عرضت جوهرة الكرم، و
افضت قداح المساعي الى الهمم، جاء اسمه صدر الجوهرة، وقد حه معلى
القداح السبعة، فارجع اليه وعن يميني الرجاء يقربني منه، وعن يساري
الحياء يطردني عنه، وما احب ان يشرك الشيخ في لساني غيره، ولا ان يحتوي
على قلبي الا ذكره، فاني آنف لكرم المتاع، من لؤم المبتاع، واستحيي لنفاسة
هذه الملابس من خساسة اللابس، واغضب للمركب الكريم من المراكب اللئيم
واحب ان ازف ابكار المعاني وان اغرب في الثناء، لمن يغرب في السناء، وان
ازوج الشيخ من صنعة لساني كرائم لا تجليها الا عيناه، ولا تنظمها الا
يداه، قد علم الشيخ اني عقدت هذه الصيغة، ولفقت هذه المعيشة
لتكون صونا لوجهي عن ذل السؤال، وحجابا للعرض دون الابتذال، ولا
جعلها يدخل منها من الكفاف جسرا الى الصيانة والعفاف، فاجب نفسي
الى صدقائي، واخفف ثقلي على جلسائي، فان السائل ثقيل الطلعة كريه
الزورة، مشنوء اللحظة واللفظة، معرفته غرامة، ومنادمته ندامة
ومجانبته امان وسلامة، فمن اعانني على حفظ ما اعتقدته، وامسك
على جوانب ما استفدته، فقد كفى اهل المشرق كلهم، وخفف عن ظهورهم
ثقلي، وضرب بين لساني وبينهم سترا شخينا، ومد عليهم دون استبطائي
وعتابي كنا كثينا، ومن اخرجني من صيانة الدهقنة، واحوجني الى
ابتذال المسئلة، فقد عرضهم لخطبين، وعرضهم لحد السيف من جهتين

لانهم بين ان يعطوا فيحتسبوا مرارة العطاء، او يبخلوا فيصطلوا بحرارة
الذم والاستبطاء، وما من الخطتين صغيرة وما فيهما المختار خيرة، على
ان خروجي من خراسان الى غيرها، وضعه من اهلها، فلو ارتبط الجواد
حوارا ترتباطه لما عار، ولو احسن الى البازي لما طار، وان مقامي
حيث خيمت محنة، تدل على فهم الكرام الاجاود، ولو ملكت اعنة
الايام، وجاز حظي على الحظوظ والاقسام لكانت مدائحي الى اهلها مصروفة
ومعاتباتي على غيرهم موقوفة، ولما جلست تحت قول ابي عبادة البحتري

عذلتني في اهلها واستزلت	جيئتي في سواهم وذهابي
ورأت في سواهم من مديحي	مثل ما عند غيرهم من كتابي

هذا على اني ارى ريح الكرم هبت جنوبا وشمالا، وعساكر المجد
قد زحفت يمينا وشمالا، وسوق الادب قد قامت، واطراف المسالك قد
استقامت، وليل النقص والجهل قد جلاه فجر الفضل والعقل، والجود
قد اقبل بوجه الغالب والبخل قد ادبر يقفا الهارب، وارى الدهر قد افتر
عن يتيمته، وانجلى عن كريمته، وجاء بواحده الذي لم يزل لسان
محامده، وعنان مراشده، والذي لم يزل يرجف به لسان الاماني
وتتقاضاني فيه ايام زماني، وهو الشيخ الاجل بيبي الدولة وعقد النعمة
وسليل الكفاية والوزارة، وفرع السياسة والرياسة، وناشر بيت الآمال
وناقد قيم الرجال، وناشر الوية المقال والفعال، وقد علمت ان الدهر البخيل
لا يسمح الآن به الا ليكون للاحرار ركزه، وليدول للافاضل دولة، ولتهب
للخير ريح طالما ركدت، وتنفق للفضل سوق طالما كسدت، ورجوتان
اكون احد من ينتصف به من محنه، وينتزع في ايامه حقه من مخالب زمنه
فقد طال ما ضرب الزمان على رزقي وغصبتني ايامه وليالية حقي، اسأل
الشيخ ان يعرض كتابي عليه ويوصل كلمتي اليه، ولا يقول كيف يكون الرسول
اجل من ارسله، وكيف يكون السفير اعظم ممن سفوله، فان الكريم يعز
من حيث يهون، ويشتد بأس الرمحين يلين وهو ايده الله تعالى

الحكيم الذى لا يوصى والمشير الذى لا يعصى واذا سعى فى هذه الحاجة ففى امره سعيى وعن ماله نضحى ورمحى وعن عاتقه القى حملا، وطرح ثقلا، لانه ان حرم سهمى الاصابة، ولم توزق دعوتى الاجابة، فانى ملق كل خراجى عليه وراجع به عنه اليه، اذ كنت لا ارى الفرج الا لديه وانشد،

سبيلى ان اعطى الذى تسألونى	وحقى ان يجدى على ولا اجدى
وانتقيه	
اذا كنت لا انفك اغدو ومطالبا	فام انت عباد ولم انا شاعر

فلينظر الشيخ الى هذه الحاجة بعين من يعلم انه فيها سهيم، واصلحها قسيم، وانه يكدح كدحا له بعضه، ويجلب جلبالها شطره، وانى لاعلم انى قد هتكت ستر الحشمة، وخرقت حجاب الهيبة، وارهذا الكلام ترق عنه صفحة الاحتمال ولا تطلقه شرائط المهابة والاجلال، ولكن الثقة تطلق للسان، وتجرى الجنان

وكتب الى وزير صاحب خوارزم

وصل كتاب الشيخ وتصرفت من فصوله فى لؤلؤ منثور، وطراز منشور، و استمليت منه نسخة الود الصريح، والعهد الصحيح، والخلق السجيح، و وجدت الشيخ قد ستر قنى، قالا تخل عقدته، ولا تر دعهدته، وكفانى مهما لا يكفيه الامثله على ان ذكرى مثله ارجاف بالزمان وفعله، وكذب على الفلك واهله، وامنية من اكاذيب الامانى، وترهات من لسانى هيهات الدهر ابخل من ان يأتى بكريمته، ويجرع بمثل يتيمته، والكرم اقل متاعا واكسد متاعا، من ان ينازع الشيخ بهاه، او يسلبه رداه،

والجود اخشن بسا يا ابن مطر	من ان تبز كموه كف مستلب

اخبرنى الرسول بما عمله الشيخ من حيله الدقيقة، وفتله من اسبابه الوثيقة فى ذلك الحال حتى اخرجه من العدم الى الوجدان وصيره من الوهم الى العيان فحمدت الله الذى رزقنى صديقا يحفظ على ما اضيعه بيده، ويحسن بى من حيث تسيئ نفسى الى، وقد كنت خاطبت الشيخ فى امر هذا المال بكلام اجرأنى عليه

فصدق

فصدق ثقتى بسعة ساحة احتماله، فان شكانى فقد كافانى وان اسلفنى شكرا نعلى اداؤه وعلى الله جزاؤه، ولو انصفت الحال بيننا، والجهة الجامعة لنا لخرجت لهذا الوافد الاثير لديك والكريم على من مالى ولقاسمته ولدك وعيالك و لحملت العالم اليه بين طبق ومكبة والفلك بين دنيا وآخرة ولكنى نزلت على حكم طاقتى وانتهيت الى غاية وجدك وجدتى وعولت على عقدك ونيتى ونكست راس خجل منشور، وغضضت طرف قاصر مقصر، وانشدت

لو كنت اهدى على قدرى وقدركم	لكنت اهدى لك الدنيا وما فيها

الذى طلب الشيخ من الكتب ساحمله الى خزانته ولو على رحلى وانسخ ما ليس عندك ولو على خدى، ولو ددت لو كان دمى حبرا وجلدى ورقا واصابعى اقلاما، وذاك عندك يسير ينسى وصغير يلغى وقليل لا يسمع ولا يرى على انه لو باسطنى الشيخ فيما عدا الكتب من الفضة والذهب لكان آخر امره منظما باولا متثالى وطرف قوله متصلا بطرف فعالى فان الناس يتخذون الاصدقاء ليكسبوا بهم الثراء، وانا اكسب الثراء لاتخذ به الاصدقاء والصديق هو العقدة التى يحلها الدهر، والذخيرة التى لا يفسدها الخير والشر، والكنز الذى لا ينقص منه الغنى والفقر، وسائر الاعلاق تفقد من حيث توجد وتحل كما تعقد ويدب اليها الفناء كما يتفق لها البقاء ويتسلط عليها الاعداء، كما يحسد عليها الاصدقاء وتمسها النار فتحرقها او يصيبها الماء فيغرقها، فالذهب والفضة حجران يغنيان ان حركا، ويفسدان ان تركا والضياع والعقار جمادات وموات لا تحل مع صاحبها ان رحل ولا تنزل بنزوله ان نزل والعبيد والاماء حيوان يتحكم فيها الحدثان ويعبث فيها عمله الزمان فاذا حاربته الايام سقم، واذا سالمته هرم فهو معرض للحادثات اما بالحياة واما بالممات، والثياب والفرش ورق يخلق اذا استعمل ويخفى اذا اهمل والعتاد والسلاح رفيق ربما خان من حمله واعان على من قاتله وصار فى يد المحارب آفة على الصاحب والحلى والجواهر زجاج يسرع اليه الكسر ويبطئ عنه الجبر، اظهاره خطر، واخفاؤه حذر، خفيف المحمل على

من بهوقة ثقيل الوطأة على من فقده، والزرع خبز مخبوز فناؤه افتقار، وبقاؤه احتكار، من بذله عرضه للفناء، ومن بخل به عرضه للهجاء، والاثاث والشوار اجسامها مدة اذا ابتذلت تمحقت وتكسرت، واذا رفعت صدئت وتغيرت والفرع والماء غريم كفيله الارض والسماء، وهما كفيلان لا يعرمان، ولا يلزمان، ولا يلزمان والخيل والسوام زرع تجففه الريح والهواء، ويحكم فيه الصيف والشتاء ويتداوله الفناء، والكتب مالك جالس على قافية السرقة، موضوع على شبكة الخيانة، يسرقه كل امين، ويتهم عليه من ليس بخائن، وقد اكثرت ايها الشيخ في هذه يائي، ووضعت عنان قلبي بيدي لساني، فان يكن باجتث به مفيدا فقد بدعت واغربت، وان تكن الاخرى فقد اضحكت واعجبت فلم اخل ان جئت بفائدة، ان كنت ضحكة ونزهته زائدة

وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب

وصل كتاب سيدي المنتظر المؤتلف والمستبطأ المتشوف بعد ان عاتبت الدهر على تاخره ولمته، وبعد ان ذممت فيه البخت وشتمته، وبعد ان نظرت اليه وهو غائب مثالا، ورأيته في النوم خيالا، وبعد ان عدت له الليالي والايام عدا وحسبت فيه الاوقات والانفاس ضربا وعقدا، وبعد ان ظننت الظنون بسيدي وبوده وتوهمت الايام في وفائه وعهده، وحسبت وانا استغفر الله انه قد اثبت اسمه في جريدة الغدر، وجانس بناء الدهر، وبعد ان انشدته فيه

لم تزل تجهل الخيانة حتى	علمتك الايام كيف تخون

فويلي ان لم يعف سيدي عني، ولم يغفر لي ما بدر مني، ولم يجعلني في حل من سوء ظني وفهمته، ولم ازل اكرر قرائته حتى حفظته، ثم تزودت في ذلك حتى حفظت غاية بائاته وصارت روايته تقطع على صلاتي وتستهلك اكثر اوقاتي، ثم عرضته على اصدقائي واصدقاء ولائي فما منهم الا من سألنيه، ونافسني فيه، واستعارنيه، ونيته ان لا يرد العارية ولا يؤدي الامانة، ثم نسخوه ولو طلبته منهم لما اعادوه، ذكر سيدي

من شوقي اليه ما لم يتكلم فيه الاعرياني ولم يترجم الا عن شاني ولقد طويت بعده بساط المدام، ورفعت صحيفة المؤانسة والندام وطلقت الراح ثلاثا، وفارقت الغناء بتاتا، حتى جفت الاقداح واستخصتني الراح، ونسي بناني الاترج والتفاح، ولقد ترك سيدي بخروجه رسوم الطرب من اخوانه دارسة، وآثار الفرح والانبساط عامسة، وديار المنادمة والمجالسة مقفرة، واطلال المحادثة والمساعدة متنكرة، قد هبت عليها بغتة ريح الادبار، وطلع عليها نجم البلاء والاقتار، ونفذ فيها حكم الفناء، ولستها يد العفاء سألني سيدي عن ذكري له وكيف لا يذكره من يراه، وانكان لا يلقاه بل كيف يذكره من ليس ينساه، وكيف يسلو عنه من لا يرى عوضا منه، وكيف يغفي كره من لا يفتح عينيه، على اكرم منه عليه واحب منه اليه، وقد عرفته انا هجر بالشراب واغلقنا هذا الباب ثم ان شهر بناني كافية نبوة، او بيعة خلافة، فلا نقل الا تذكاره، ولا تحية الا ازكاره، ولا حديث الا انسنا به كان ووحشتنا له الآن، ولا اقتراح على المغني الا شعر في اوله ذكر غيبته، وفي آخره تمنى اوبته، ردالله تعالى سيدي الى اخوانه الذين انا اولهم في المحبة، وان كنت آخرهم في الرتبة، على حالة يقع الشكر وراء حقها، وتكل مطايا التعديد والبشر في مساقاة طرقها، والناس يقولون ردك الله سالما الى سالمين، وانا اقول ردك الله تعالى غانما الى غانمين، فان من سعد بلقياه فهو غانم كما ان من حرم النظر الى طلعته فهو غارم، وارجو ان يتقدم سيدي بوصوله عند الفطر فيجتمع لي عيدان وفطران، كما اجتمع على بغيبته صومان على ان صوم العين اشد من صوم البطن، فان مسافة صوم العين مجهولة الامد والعدد، مخوفة الزيادة والمدد، ومسافة صوم البطن يوم وشيك المهلة، قريب العشية من الغدوة، فحصتي من صوم هذه السنة المباركة حصتان، ويومي منه يومان، وتأبى صروف الدهر ان تأتيني الا مزدوجة في قرآن، وذلك اني صمت عن النظر الى طلعة سيدي شهر رجب وشعبان

وصمت عن الطعام والشراب شهر رمضان، وقد قال الخليع الشامي

سكران سكر هوى وسكر ملامة		فمتى يفيق فتى به سكران	
	وانا اقول		
صومان صوم نوى وصوم عباة		فمتى يعيش فتى له صومان	

وكتب الى ابى القسم وقد نهدمت داره عليه وسلم

بلغني خبر الهدة فالحمد لله الذي هدم الدار، ولم يهدم المقدار، وحين شامل المال لم يثلم الجمال، ولما سلط الحوادث على الخشب والخشب لم يسلطها على العرض والحسب، ولا على الدين والادب، ولا بد للنعمة من عوذة، ولا بد لعين الكمال من رقية، فالآن يكون ذلك في دار تبنى، ومال يجنى، وبنى خير من ان يكون في النفس التي لا جابر لكسرها، ولا شيء يغني بقدرها، وصادف ورود هذا الخبر على رمد في عيني قد حصرني في الظلمة، وحبسني بين الغم والغمة، وتركني ادرك بيدي، ما كنت ادرك بناظري كليل سلاح البصر، قصير خطوة النظر، قد ثكلت مصباح وجهي، وعدمت بعضي لانك هو آثر عندك من كلي، ابعد الاشخاص عني اقربها مني، فالبيض عندي سود، والقريب مني بعيد، قد خاط الوجع اجفاني، وقبض عن التصرف بناني، ففراغي شغل، ونهاري ليل، وطوال الحظي قصار وقصاراه وقاني طوال، فاناخري وان عددت في البصراء، واما وان كنت في جملة الكتاب والقراء قد قصرت العلة خطوتي قلمي وبناني، وقامت بيني وبين يدي ولساني، وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات تتماثل هجائيها، وتتكافأ مقاطعها ومبادئها، فتقول العلة زلة والواحة وحشة والغلب سلب واللحظة لفظة، والهوى هوان، والاقارب عقارب، وانا اقول المرض حرض، والرمد كمد، والعلة قلة، والقاعد مقعد،

وكتب الى ابى احمد الرازي ببلد نيسابور

ورد

ورد على كتاب الشيخ بعد ما كدت اتطفل عليه بخطبته، واسبقه الى المكرمة في الابتداء بمثله، ثم الى الله تعالى ان يكون الفضل الاهله، وان ينبت الكرم الا على اصله، وفهمته وافادني من خبر سلامته فائدة هي الغنى بل المنى بل الكنوز والقناء بل المراد والهوى، بل السناء والعلى، بل العالم والدنيا، بل خير الآخرة والاولى، وهي السلامة التي لا يتضور بها الشيخ عني، ولا يختص عزيتها دوني، ان كانت الاحوال بيننا متقاسمة، وسائر اسباب السراء والضراء بيننا مقسمة، وسالت الله تعالى اولا، والآن اسأله ثانيا، ان يجري على الشيخ نعمته، ويديم غبوته، ويعجل اوبته، ويبصره رشده، في الرجوع الى بلده، الذي هو بحضوره مصر مياه الامصار، وبغيبته عنه مفاوز بل قفار، كما ان اهله اذا كان فيهم ناس، واذا غاب عنهم نساس والله يلهمه قول النابغة

فحلي في ديارك ان قومي		متى يد عوا ديارهم يهونوا	

وان اكرم الخيل اشدها حنينا الى وطنه، واعتق الابل اكثرها نزاعا نحو عطنه والدنيا رستاق نيسابور قصبته، وعقد نيسابور واسطته، ولو علمت الى اي دفع من غيبة الشيخ الهذا الامد البعيد، والنفس المديد، وانه اذا فارق قوما طلقهم، واذا القى آخرين عشقهم، لاخذت من الزمان الف كفيل، ووضعت الارصاد بكل سبيل، ولورده، على لوكلت بحفظه عيني بل عيني

شدت باعناق النوى بعد هذه		مرانوان جاذبتها لم تقطع	

والآن فقد دنا الشيخ ببعده، فمن رايه ان يعفو عنا بقربه فيكون قد رانا قد رتبه، ثم اسبغ علينا نعمته، وجمع بين تعريفنا مقدار النعمة اذا آب ومقدار المحنة اذا غاب كان كتاب الشيخ الطف من عتبه، واقصر من وقاني بقربه، واظنه اشفق علي من التعب فيه اذا طال، وظن بي الكسل والملال، فما زلت اعرفه مشفقا علي حميدا لاثمي لدي، وان استعفيه من هذه الصدقة، واشتهي ان لا يبرني بهذه الشفقة، وان تكون كتبه الي اطول من يده علي وابسط من لساني في شكري حميد آثاره لدي، فاني اذا رتعت في رياض قوله، واجلت عيني وخاطري في ميدان فضله وطوله

تقلبت فى روضة وغدير، وادرت يدى فى جنة وحرير، ولم اعدم معنى يلقى الذهن، ولفظا يمتع العين والاذن، وفقرة استفيدها، ونكتة افراها ثم اعيدها، وان كان تذكر الايام الماضية لا يفرغ قلبى لاستيفاء العائد

فلا يبعد زمان منك عشنا	بنصرته ورونقه العجاب
ليالية ليالى الوصل تمت	باياما مكاياما الشباب

وكان اتمام لم يقل هذين البيتين الا ليقتل نفسى، ويميت نفسى، وقد استسلمت للفراق فليمض فى حكمه لا بل فلينفذ فى سهمه، وكتاب الشيخ يزيل بعض مابى ويشفينى من اوصابى فليهده الشيخ الى فان اهداء السرور به الى مثل قلبى صدقة مبرورة، وصنيعة مشكورة، وكلما قرب منى الداء فترا تأخر عنى الداء عشرا

وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان

لو لم يتم الشيخ من الانقباض عن الهدايا جلت او قلت وانكان ليس مع عطاياه جليل كانه ليس مع تواضعه قليل لا فنيت فى هدية تحملها الاعلاق والجواهر ولا تعبت فى حملها اليه المخدة والحافر ولسبقت فى ذلك الاولين ولتعبت فيه المتأخرين عرف الله تعالى الشيخ بركة هذا المهرجان وافرده بذلك عربا من ايام الزمان ولا زال يلبس الايام قشيبها وهو جديد ويقطع مسافاة سعدها ونحسها وهو حديد والسلام

وكتب الى ابى سعد احمد بن شبيب

ما اقرب ما كانت المسافة بين لقاء صاحب الجيش وبين فراقه وما اكثر ما انشدت بيت كشاجم فى وداعه وعناقه

لما استتم عناقه لقدومه	حتى ابتدات عناقه لوداعه

كانه كان ذلك الرجل قائما معناه، او كانه قاله هذا البيت لنا ولقد كانت الايام بلقاء صاحب الجيش طويلة الوعد قصيرة الرفد فانها مطلتنى بلقائه سنين طويلة ثم اسعفتنى به ساعات قصار فبينا انا اشكو مطلها اذ صرت اشكو بخلها وبينا انا استدرك عليها الماضى اذا صبحت اطلب اليها الباقى وبينا انا انشد

اياليلة الوصل لا تنفدى	ويا ليلة البعد لا تنقضى

غدوت انشد، هذا الذى قيل له اطيب ما كان فنى ولعمرى انى موسى من الصبر، قوى بنية القلب والصدر، حيث ابيت ببلدة وصاحب الجيش باخرى وليس بينى وبينه بعد الخافقين ولا سد ذى القرنين ولا جبل قافة ولا سورة الاعراف، ولقد رضيت من الشوق بالدعوى ومن اللقاء بالمنى وغششت فيما بعته من الهوى والله اسأل ان يجمع بينى وبينه على ما يثلج صدرى ويقر عينى وان يرى بنى الدهر وهو وافد من جشمه والسعد وهو خادم من خدمه، والايام وهى رسله فى ولايته واعدائه والمنايا وهى سهامه فى صباحه ومسائه، والاقبال وهو خليط من خلطائه والسرور وهو نديم من ندمائه والعز وهو مستدرك بافيائه والشرف وهو مطنب بفنائه، وهذا الدعاء منى نجل قطعت به الحديث لما توجهت به المسئلة على، وخرج الجواب من يدى ولو صدقت فيما ادعيته، وكنت من الشوق على ما حكيته، قلت للشوق اذ دعانى لبيك وللحادين كر المطايا ولا نضيت الركاب وفارقت الاحباب وركبت كاهل الخطر، واعروريت ظهر السفر حتى انيخ بحضرة طال ما حضيتها العلى، وانزل على سدة طال ما سدت زوايا الندى وانظر الى طلعة عليها للكرم ديباجة خسروانية، وفيها للطلاقة روضة ربيعة رجعت من حضرة الوزير بعد ان افرغ على من سجاله، واسبغ على من نواله ما خفف ظهرى بل اثقله، وانطق لسانى بل اخرسه، وارخص شكرى بل اغلاه، وابقى هديحى بل افناه، وانى حين امدح البحر بانه عزيز، والبدر بانه منير، واعلم الناس ان الدهر كبير وان الرمل كثير، كنت كاحد عباد الله المكلفين الذين تولاهم هباء، وعلم جفاء، ابقى الله تعالى ذلك السيد لتفضح به اللئام، وتفخر به الكرام وتجمل به الايام والانام، واقام به سوق الكرام وقد اقام، وادام بسلا متعزز المجد والمجد وقد ادام، ولیت المكارم كانت جواهر لا اعراضا، وخلقا لا اخلاقا، فنتمكن من رؤيته العين ويأتى عليها الوزن والكيل، فيدركها الجاهل بحاسة بصرة كما يدركها

العاقل بحاسة فكره، فاستريح من الدلالة على معرفتها، ومن اقامة البينة على صفتها، وصلت الجارية ودد تمالاني رأيت موصلها شابا واذا اجتمع الشابان فقد اجتمعت النار والحلفاء، بل اجتمع الظمآن والماء، وهذا صيدان لا بليس فيه مجال، وزاوية له فيهما افعال، وان النساء لحم على وضم، وصيد في غير حرم، الا ان تلاحظ بعين غيور، وتلازم بنفس يقظ حذور

وكتب الى تلميذ ورد له كتاب ترتفع الفاظه عن كتابة مثله وطلب نسخة شعره

نسخة شعري التي طلبتها يا ولدي سائرة اليك، وغير مضنون بها عليك، و لكني ذا امتعتك بها الآن اعنتك على طول غيبتك، وصرت بعض آفات اويتك، فارجع فديتك، وانتجز ما وعدته واسمعه ممن قاله تزدد به عجبا فحسن الورد في اغصانه، رأيتك يا ولدي تخاطبني في كتابك بالفاظ ان كنت انت اباعذرتها لقد اختصرت طريق الكلام، وصرت بعض محاسن الايام، و ان كنت اخذتها من غيرك لقد سوقت سرقة لا يلزم صاحبها رد، ولا يجب عليه فيها حد ولا يعاقبه السلطان، ولا تتبرأ منه الاقوام، واغرت غارة لا يلزمك منها قود القتلى ولا اوشال الجرحى ولا تتبعك فيها دعوات اليتامى والايامى وغصبت غصبا لا تطالب بتبعته ورثتك، ولا يثلم الدين امانتك، فيا ايها المغير النظيف الغارة، والسارق البري الساحة اشركنا رحمك الله في بعض ما رزقت واجعل لنا سهما مما سوقت واعطنا قليلا مما اخذت ولا تبخل علينا بما ليس من ملك يديك ولا من ميراث ابويك

وكتب اليه ايضا

كتبك يا ولدي عندي تحف وشمامات، وانوار وباكورات، افرح باولها وانتظر وروده ثانيها، واشكرك على ماضيها، واعد الايام والليالي على باقيها، فكثر على سوادها، ووفر على اعدادها، واعلم اني احبك حبا مستكنا وباديا

احبك ما لوكان بين معاشر	من الناس اعداء لجر التصافيا

واني

واني آنس بك حاضرا واشتاق اليك غائبا شفقا لو عرفته لتكبرت على البوري، ولم تضمر زنا لاهل الدنيا، وكنت لا تنظر اليهم الا بموخر عينيك ولا تكلمهم الا بعض شفتيك

وكتب الى حاجب ركن الدولة بالري

الكتاب الذي عظم الحاجب باصداره شاني واعانني به على زماني واهل زماني، وردد ثمرة الفؤاد منه بعد في اكمامها لم تزهر فتغنم، ولم تدرك فتطعم، واذا انتجت الشفاعة من حيث لقحت، وزكت اغراس المعونة من حيث زرعت، ولاحت على صفحات احوالي اثار الزيادة وظهرت فيها مخايل السعادة، القت رهج الحمد والشكر، وانطقت بهما لسان الدهر، وقلت ما يتعب الراوي، ويحير السامع والرائي، وبوقع للخواطر شغلا طويلا، وللسان الاقلام عملا ثقيلا، والى ان تيسر من ذلك ما هو في ضمان الايام، وفي ودائع المحظوظ والاقسام، فاني اسأل الله تعالى ان يطيل بقاء الحاجب مصونا عن لحظات الغير محروسا من عثرات القدر اقباله وسعده مقبل، وبابه مستقبل، وبنانه بلكمه بل تراب مجلسه مقبل

وكتب الى ابي عبد الله النحوي الخطيب بالري

ان تكلفت للشيخ ذكر ما اسلفني له فراقه من الملمة واهداه الي من انواع الغم والجزع، جوبت معه في ميدان الاعتداد، واستقبلت بكلامي قبلة الشكر والاحماد، و رايتني اشكر نفسي على ان اؤدي فرضا، واحمد جوانحي على ان يجيب بعضها بعضا وان سكت بقيت في نفسي حاجة، واستولت على قلبي حسرة، ورأيتني ابخل على نفسي بشكاية المضرور، وانفث عليها نفثة المصدور، فلا ادري اقول على ان القول كلفة، ام اسكت على ان السكوت غصة، ولكني انشد قول المولد

	واشهد الله وحسبي به		انى الى وجهك مشتاق

ما زال قلبي مقبلا لذكرك ليالينا تلك الطوال القصار، اللواتي كانت ظلماتها انوارا، وساعاتها كلها اسحارا، حاربنا فيها النعاس بجيش السمر

وسهرنا هاولم نجد مس السهر، فكلما مال بنا النعاس الى شقة، وكاد يستعبدنا الملال برقة، نفضنا عنا غبار الكسل، وجلونا عن اعيننا بل انفسنا صدأ الفتور والملل، بحديث مطرز بالادب، موضع باخبار العجم والعرب يسكر من سمعه وان لم يشرب، ويشهد على بهيمية من شهده ان لم يطرب، بالفاظ انيقة النظم، وثيقة النثر، ومنطق رخيم الحواشي لاهراء ولانزر، فيعود النشاط امضى ماكان حدا، واصفى ماكان فرندا، واثقب ماكان زندا، ولوعا وضنى دهري، واشتري جميع عمري، وباقي عصري، وردالى تلك الليالي الزهر، المجللة الغر، لكان قد احسن الى واربحني وخسر علي، وهيهات الدهر تاجر لايغبن في تجارته، وامير لايغلب على امارته، ولكنا نقطع الدهر قالا وقيلا، ونعلل فيه قلبا عليلا، يسر الله لنا حالة يعود بها الانس في احسن زينته، واتم بهجته، وادالنا على الفراق الذي وجدناه لئيم الظفر، قبيح المنظر والمخبر، واعادلي تلك الاوقات المسعودة المحمودة التي سرقتها من دهري، ورأيتها غرة عمري، وصلقت فيها بلقاء الشيخ ذهني وفكري، وانشدت فيها من شعري وشعر غيري

وفرحة الاديب بالاديب	كفرحة الطبيب بالطبيب

ولوطلبت من الشيخ عوضا لكنت قد اغنت الزمان، واستحققت بطلبتي المحال والحرمان والفضل اليوم اقل طالبا واعز صاحبا، واجذب جانبا واخيب كاسبا، من ان يعظم غير الشيخ بين عارفيه او يضم عليه كلتا يديه، سقى الله ايامنا بيد الشيخ الجليل، فاني لاعرف سحابة تتدنى بذلها، ولا تسقي سقياها، وانا طلبت الغاية في الدعاء، وسموت الى اقصى مراتب الاستسقاء، وقد قال ابوالطيب المتنبي

سقى الله ايام الصبا ما يسرها	ويفعل فعل الباء بلى المعتق

وكانه قال سقى الله ايام الصبى خمرا فانما فرحها ساعة، وطيبها مجاز لاحقيقة له مع بشاعة طعمها اولا وثقل خمارها ثانيا، والذكر عونه به من السقيا يبقى ولا يفنى، ولا يشتبشع بل يستحلى، ويستطاب ويستمرى، بلغني ان فلانا زعم ان سمعه لايسعه لاستماع كلامي، وانه يستعظم ما يروى عليه الناس

من اعظائي والذنب للعين العشواء في محبة الظلماء، وكراهية الضياء، وفم المريض يستثقل وقع الغذاء، وليست طعم الماء، والجعل يتغذى بالسرقين، ويموت من الورد والنسرين، ومن الريحان والياسمين، ومن طلس عين الشمس، فقد نطق في الحين ومرجارب جيش العقل، وخلع ربقة العدل، ورضي لنفسه بمجانسة الجهل، فقد كفى خصومة مؤنة عتابه وعقابه، وقد من زيادة المحنة لتمام ما به كتبت هذه الاحرف ولم يبق مني الحر الشديد، والسفر المديد، قلبا يدري ولا بنانا يجري، فاني قد ذبت غير حشاشة ودماء، ما بين حر هوى و حر هواء، فاما حر الهواء فشاهده حاضر، ودليله ظاهر، واما حر الهوى فان هواي مقصور على مولاي، وقلبي حمالا يحله غيره، ولا يعمره الا ذكره، وارجو ان لا اعدم على ما قلته من قلبه شاهدا، ومن علمي به دائدا،

وكتب الى قاضي الري ابي الحسن بن شادان

كتابي ايد الله تعالى القاضي من قم وانا فيها بمكة حرسها الله، وبعمان هواء لاماء، بل كتابي وانا في سلامة الامن الحر الذي يذيب دماغ الضب ويشبه قلب الصب وهذه سرقة من مسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس باول اغارة الكردي على الحاجي ولا باول اخذ للطرار، مال التجار، ولا باول تجمل المتكاتب بكلام الكاتب وهل عبرنا منذ عرفناه الا عن بيانه، وهل اجرينا اقلامنا الا على آثار قلمه وبنانه، وهل اغترفنا الا من بحوره، وهل نطقنا الا بنظمه ونثره وهل على الارض عار ان تطلب سقيا السماء، وهل بالفقراء نقصان ياخذوا صدقات الاغنياء، وهل يعاب النهران يستمد من البحر، وهل يضع من السماء ان يستمنح من البدر، لابل كتابي عن سلامة الاعين مبانية الجمال، ومن عشرة الجمال على ان الجمال حمل، وهو ينطق بلسان، وتشبه خلقته خلقة الانسان لابل كتابي عن سلامة الامن سبعي من كل حضرة بعد تلك الحضرة البهيمة، ومن كل نفس بعد تلك النفس الزكية، فاني هند لقيتها وزنت العالم باخف صنجة، وقومت الدنيا باوكس قيمة، على اني ما خرجت منها الا طريد حياء،

ووقيذ عطاء، وفدت على الوزير ابن عباد وحقيبتي مملوة رجاء، وصدرت عنه وهي مملوة مدحا وثناء، ولقد غاص في معناي على دقائق من الكرم اختبر عبابها ونوادر من المجد ابتدع عبابها، لو كانت ابياتا لكانت اوابد، ولو كانت قصائد لكانت قلائد، ولو كانت الوانا لكانت غرا، ولو كانت حليا لكانت درا، فلما رأيت ان لا ازداد في صنائعه طبقة، ولا ارتقي في نعمه درجة، الا ازددت عنها تبلدا وبحقها تقاعدا، هربت لا كون اوحد في الهزيمة من الجميل كما انا اوحد في بذل الجزيل، ولا غرب في الهرب على الشعراء، كما اغرب في العطاء على الرؤساء، ويجمع بيننا ظاهر اسم الاختراع وفحواه، وان فرقت بيننا حقيقته ومعناه، خلفت على القاضي من دقائق اشغالي ما اذا تفكرت فيه قرعت له سني، وتعجبت منه ومني، ورأيتني قد ابتذلت الكبير للصغير، ونطت الحقير بالخطير، ولكن الكريم اذا رأى المكارم لم يجل عن دقيقها، ولم يدق عن جليلها، وقد يتواضع الاسد لصيد الارنب وافتراس الثعلب، وان كان يفترس الفيل، ويصطاد الزنبيل، فاما انا فاني اخترت لغرس مودتي من تزكو تربته، وتصح صحبته، وانزلت حاجتي من داره مفيض حوائج الاحرار وبابه مثابة الشكر من الاقطار، ومن نظر الى ندماء الوزير واصحابه، والى حجابه وكتابه، علم انه لم يلقطهم الا بوائد الفراسة، ولم يغض عليهم الا بمعونة من التوفيق والهداية، وانه طالع ما وراء العواقب بمرآة من التجارب، واند الرجل اذا قدح بالظن اثقب، واذا ولد بالرجاء انجب، واذا نظر الى الناس عرف النقاية فلفظها، والنقاية فالتقاها، وعلى هذه الجملة كان اخي القاضي فصادف صنعه مصطنعا، وافق بذره مزدرعا ووقع الجميل منه موقعا، ليت القاضي لا يقول هذه الحاجة لا تساوي كل هذا الملق، وكل هذا السجع الملفق فاني لم يبق في قلبي سجعة الا نثرتها، ولا في لساني فضله الا احضرتها والسلام

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة

كان صدر عني الى حضرة الشيخ كتاب انشأه الشوق اليه وكثرة التلهف عليه،

عليه، وكتبته يد الحمد والشكر، واملاه لسان الحديث والذكر، وعزيز علي اني في هذا الفصل الذي هو شباب الزمان، ومقدمة الورد والريحان غائب عن مجلسه الذي حضوره شرف دهر، واستئناف عمر، ورفعة قدر لا بل عن وجهه الذي اذا القيته لقيت به السعد طالعا، والنجح مطالعا، وفارقته ففارقت شخص البركة واليمن، وهيكل الاحسان والحسن والدهر غريمي في استئناف تلك الحالة القديمة، ومراجعة تلك الحضرة الكريمة، وانا راجع، فهل الشيخ مراجع، وانا تائب، فهل رضى الشيخ الى آب، وسالقي اليه ربقتي واوقف عليه طاعتي فان صفح فطالما انكسرت المودة ثم انجبرت، واقبلت الاحوال بعد ما ادبرت، وطالما تقدم عتاب وتاخر اعتاب، وطالما زجى لساعي بالضرب فخاب ورمى بين الاحرار سهمه فاصاب، وطالما كان قليل الهفوة، يسير النبوة وعارض الجفوة، سبب الحميد الرضي، وكريم العتبي، وكثير الرجعى لا بل الصلة خلف القطيعة ابقى، والمودة بعد النفرة اخلص وابقى، لان العتاب قد صفى ماءها، وجلا اقذاءها، وابرز عن غش مفسديها، ودل على كذب من سعى بالنمائم فيها، وان دام الشيخ على حقده، ولم ينحل عن عقده، لم يجد في بحمد الله كاسدا لشعر، رخيص المهر، قوي الجزع ضعيف الصبر، ولم اسقط عليه سقوط الذباب في القدر، وانما الادب سلعة تتفق على الكرام والشيخ منهم، وتكسد على اللئام وهو بنجوة عنهم، ولقد خصني من بين الازمان زمن لئيم، ووقع في قسمي من النحوت بخت ذميم حيث صرت الزم خراجا التزم بنو المدبر اضعافه للبحتري واضايق في ضيعة وهب امثالها محمد بن الهيثم الخنوي لابي تمام الطائي حيث قال البحتري

ولم لا اغالي بالضياع وقد درت	على بدلها واستقام اعوجاجها
اذا كان لي تربيعها واغتلالها	وكان عليكم عشره وخراجها

وقال ابو تمام الطائي

فدع ذكر الضياع فبي شماس	اذا ذكرت وبي عنها نفار

وبالى ضيعة غير المطايا	وشعر لا يباع ولا يعار

فان كان اولئك رؤساء فليس رؤساؤنا برؤساء، وانكان هؤلاء شعراء فلسنا نحن شعراء، وقد عرفني الشيخ انى لا اقيم على الخسف ولا احل الا خطة النصف، فان رأى ان لا يفجع خراسان بلسانها، ولا يخليها من سيفها وسنانها، فعل

ولهرحمه الله تعالى

ورد على كتاب من ورائى، من اسرتى وكلائى، يذكرون فيه ان الشيخ قد ترك لهم خراج هذه السنة، وكفى عن تلك السيئة بهذه المحسنة، ومثل من عقب الفساد بالصلاح، وعفى بالمراهم على آثار الجراح، وانا اعلم ان ما كان منه من الاولى كانت نادرة وفلتة، وان ما كان منه من الاخرى كانت قصد و عمد وفطرة، فان الكريم اذا اساء فعن خطية، واذا احسن فعن عمد ونية والحر اذا جرح اساء، واذا خرق رفاء، واذا اضر من جانب نفع من جانب وان يكن الفعل الذى ساء واحدا، فافعاله اللاتى سرين الوف والله تعالى يطيل بقاء الشيخ لمتحن يخلصه، ولفاضل يستخلصه ولعارفة يسديها، وصنيعة يوليها، ورغبة يعطيها، ومعال يوشيها، و كريمة يحليها، ومهمة يكفيها، وملمة يداويها، وايام كايامنا هذه يداريها، ودولة سامية يليها، وجنية من جنيات الكرم يجنيها، ومعاة من مساعى الشرف يبنيها، وذخيرة من ذخائر الشكر يقتنيها، وغاية من غايات الفضل يحوزها ومسبق اليها اهاليها، وصفوة من المعالى يصطفيها، وحسنة يرغب فيها وفى ذويها، اسئل الله تعالى ان يعيننى على شكره، وان يزيدنى من بره

وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه وهو باصفهان وتوفيت اخت الوزير

كتابى طال الله بقاء الوزير من حضرته الى حضرته، ومن مستقر عزه الى مستقر عزه، فانا بما تبغى من عنايته، وشيعنى من عساكر حياطته ورعايته، ونسبت اليه من خدمته، ولاح على صفحات احوالى

من مواسم نعمته، صالح الحال، بل ناعم البال، راض من الايام والليال والحمد لله ذى الجلال وصلى الله على محمد وآله الخير آل، قد كنت احسب ايد الله تعالى الوزير انى توصل الى بره، واكرع من بحوره، وارد شريعة نواله، واضرب عطفى بين جاهه وماله، اذا وردت حضرة البهية، وطالعت طلعته الزكية، فاذا فارقتها انخسمت على مواد المواهب، ولم تصافحنى يد الى لرغباث والرغائب، فاذا انا بنعمته يشيعنى غائبا كما تتلقانى حاضرا، وتمشى على عقبى ظاعنا، كما تنزل بى قاطنا، كالغيب يستقبل الطالب ويتبع الهارب وكالشمس تطلع على المسافر، طلوعها على الحاضر وذلك انى وردت هذه الناحية المغمورة ببركات نعمته، المكنوفة بافضاله و فضله، فرأيت بها من غرائب الاكرام والاعظام، ومن دقائق الافضال و الانعام، ما ترك مطايا الشكر محسورة مبهورة، وجعل ايدى التعديد قاصرة مقصورة، وقدمت من خليفته فلان على رجل عجن من طينة الحرية وضرب فى قالب الفتوة والانسانية، وسخرت له المكارم يضرب فيها بسهام الاقتدار، و يصرفها على حكم الاختيار، وله ثناء جميل، وآخره عطاء جزيل، وفيما بينهما ترحيب وتأميل، وتعظيم وتبجيل، بر حتى بر، وعظم حتى فخم، وافضل حتى افضل، وتركنى اتردد بين محاسن قوله وافعاله، واجيل طرفى بين طرفى نخوته ونواله، وانى لاذكر به اخلاق الوزير التى ما رايت كريما الا ذكرنيها لاستيفائه منها، ولا لئيما الا مثلها الى لتخليه عنها يذكرنيه كل خير رأيته وشر فانتفك منه على ذكر، وكيف اتعجب من علق الوزير واتخذه، ومن سيف بنانه شحذه، ومن جواد هو ضمرة للرهان، ومن حر هو علم نسخة المحسن الاحسان، ومن تلميذ استفاد منه، وخريج صدر عنه، فهيهات ان السيوف على مقاديرها الاعضاء تفرى، وان الخيل على حسب فرسانها تجرى وحق لنهر انشعب من بحر ان يكون عزيزا، ولنجم استضاء من بدر ان يكون منيرا، على انه بالآباء تقتدى الاولاد، وعلى اعراقها تجرى الجياد،

والسيف ما لم يلف فيه صيقل	من سنخه لم ينتفع بصقال

وقد ذكرني ما رأيته قول من سئل عن ابوها ثم عبد الله بن محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنهم فقال له السائل اني لم استكثر منه فصفه لي فقال انظر الى اثره على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فاذا اقول في جسم هذا شره، وفي سيف هذا اثره، و في كريم هذا نتائجه سؤدده، وآثاريه، فسبحان من جعل نعم الوزير تكتنفني في الحضور والغيبة وتحيط بي من جوانب الستة، فاذا حضرته طالعني، واذا فارقته تبعني

نفى كل نجد في البلاد وغائر	مواهب ليست منه وهي موهبه

المصيبة التي قرعت صفاة الوزير في المتوفاة رحمها الله عليها وحقق في مغفرتها املها وان كانت نالت كلا من جده، ومتحملي اعباء نعمه، بالغم الذي لا تنجلي كربته، والجرح الذي لم تؤسى ضربته، وخصصني من بينهم بالنصيب الاوفر، والقسم الاكثر فاني غار لجنبة الوزير من ذكر النساء اولا، واتطير لنعمته ان تتجللها الغوائل والمراثي ثانيا، وآنف له من ان اقيم مقام من يوعظ وينبه ثالثا، والا فالقريحة بحمد الله تعالى متدفقة، والخواطر مجيبة، والشعر ليس بعازب، و الشيطان ليس بغائب، والطريق الذي نهجه الوزير لنا في الادب عامر ومسلوك لا متروك وقد كان ابو الطيب عزى سيف الدولة عن اخت له فقال

يعلل جنين تحيي حسن بسمها	وليس يعلم الا الله بالشنب

ولو عزاني انسان عن اخت لي بمثل هذا لاحقته بها، وضربت رقبته على قبرها ولا مجال للهم والغم بين عزاء الوزير وبمائه، ولا مرتع للبكاء والفجعة بين بقاء النعمة عليه وبقائه، وانا اكتب للزمان سجلا بانه اذا تخطأ فناه واخطأت حوادثه حوباه، فسأتي ما ياتيه صغير محتقر، ومنسي مغتفر، وباطل وهدر وسيرد على الوزير شعر غلامه ليعلم انه لم يجهل مقتضى النعمة، ولم يخلد الى الغيبة، ولم يدخر شعره، ولم يخبئ بعده عمر وسر عطره، ووالله ما انصفنا ولي نعمتنا، ومالك رقنا، وجالب رزقنا، فيما نشاركه في نعمائه، ولا نشاركه في بكائه، ونساهمه في احوال الرخاء، ولا نقاسمه احوال البلاء ولا نساعده على البكاء، ونتحمل اعباء منته، ولا نتحمل اعباء محنه، قضية والله سدمية، وسنة حدوبية، لا زالت الحوادث عن فنائه ناكبة

والخطوب

والخطوب عن نفسه وانفس اعزته عازبة، وصروف الايام عن مستتر عزه مصروفة، والحاظها دون تطرف نعمته مطروفة، ولا زال يتعرف من الله تعالى صنعا يكوطريفه على تليده، ويقع عتيقه وراء جديده وارانا الله جماعة اوليائه فيه، ما تضيق ساحة رجائنا عن بغيته، ويأتي على صالح دعائنا بحمته، فلان خادم الوزير قد وقف على نفسه صانها الله وماله ثمره الله، وقلدني نعمة صارت الى نعم الوزير مضافة اذ كان في طريقه ذهبه وعلى قالبه ضربه وكأن خدم الوزير كثرهم الله في تشابه افعالهم، وتكافؤ احوالهم، حلقة مفرغة، لا يدري ما طرفاها، وسبيكة ذهب لا يعلم اسفلها افضل ام اعلاها، وكلما فقدت منهم درهما وجدت دينارا، وكلما فقدت دينارا وجدت قنطارا، والوزير اوسع لمكافات خدمه، فانما يتقارضون من فضلات ما عندهم ماء نعمه، ويعير بعضهم بعضا ما يتقلب فيه من بقايا مواهبه وقسمه، ثم مرجع الشكر بعد هذا اليه، ومدار الاحسان والاستحسان عليه، وما عسى اقول في مدح الوزير ونعمه، الا ان استعير لسان طفيل الغنوي فاقول

جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت	بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امنا	نلاقي الذي يلقون منا لملت

وكتب ايضا الى بندرنيسابور من الري لما رجعت الوزارة الى الوزير ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد

كتابي اطال الله بقاء سيدي من حضرة الوزير عن بسلامته مشتبكة، و حال بجميع احواله متمسكة، والحمد لله تعالى على النعمة عليه اولا، وعلينا به آخرا وقد صدر كتابي الى سيدي مشحونا بجد رجوت انه بعجره وهزل لم اشك انه يطربه والجد في غير وقته كثافة كان الهزل في غير موضعه سخافة، وخير الكلام ما انتزع من ضده الى ضده، ورتع بين هزله وجده، واستوفى صفة القائل رحمها الله تعالى وكلام كأنه قطع الروض وفيه الصفراء والحمراء، ورد ايد الله سيدي من حضرة الوزير على رجل ازرت الرفعة تواضعا، والصيانة تبذلا،

حتى كان الايام كتبت له وثيقة بان يستبقى جميل عهدها بجميل عهده، ويستديم جزيل رفدها بجزيل رفده، وكان صروف الدهر شارطته انما لا تفى له حتى يفى لاخوانه، ولا توافقه حتى يخالف اهل زمانه، وما ظن سيدك برجل نفذ توقيعه فى البر والبحر، وجاز حكمه فى اهل نجد والغور، وخدمه اعيان العرب والعجم وقبل يده ملوك الجبل والديلم، وصارت لحظته منه تغنى، ولفظة منه تفنى، وسطر من سطوره يحيى املا، ويقرب جلا، وخلوة من خلواته تزيل نقما، وتخل نعما، وهو مع ذلك بين سكر الدولة وسكر الشبيبة، ثم هو بعد هذا كله على عهده القديم تواضعا وتقربا، وعلى سجيته المعروفة المالوفة تودد او تحببا، يصل بشره، قبل ان يصل ببره، ويحيى القلوب بلقائه، قبل ان يميت الفقر بعطائه، اكرم الناس عليه، اكثرهم حوائج اليه، وابعدهم منه، اشدهم انقباضا عنه، حتى كان الله تعالى لم يبلغه ما بلغه، ولم يسبغ عليه ما اسبغه، الا ليكذب الفرزدق فى قوله

	قل لنصر والمرء فى دولة السلـ	ـطان اعمى ما دام يدعى اميرا	
	فاذا زالت الولاية عنه	واستوى بالرجال عاد بصيرا	
	وليصدق زيادة الاعجم فى قوله		
	فتى زاده السلطان فى الحمد رغبة	اذا غير السلطان كل خليل	

وانا من بين الجماعة قد حضت به بحر الغنى، وركضت به فى ميدان المنى ورايت يقضان، ما لم اكن احتلم به وسنان، ووفت لى الايام بمشاهدته من ابكار النعم ما اتقاعد عن نشره، واصغر عن قدره، ولست امسح من البياض بالمقدار الذى يسع تفصيل هذه الرغائب، ويستوى فى قسام هذه المواهب، ولكنى اقتصرت بالمكاتبة على الجملة واكل التفصيل الى المشاهدة فلسان العيان، انطق من لسان البيان، وشاهد الاحوال اعدل من شاهد الاقوال، وسيكون الالتقاء قريبا فان الشاعر اذا استغنى حن الى اهله ورجع الى اصله، واحب ان يرى عليه عنوان اليسار، ويجلو نفسه على عدوه وصديقه فى معرض الاستظهار، ويعلم الناس انه زرع رجاء فحصد

عطاء، واسلف من الكلام عوضا زاهقا، فاخذ من المال جوهرا ناقصا، وفرح الشاعر اذا قبل شعره، ونفق سعره، كفرح التاجر صاحب الجواهر اذا اشتريت يتيمته، والشيخ ابى البنت اذا خطبت كريمته، وجدت فلانا وفلانا ندعاء ابن العميد رحمه الله وقد لبسهم الخذلان ثيابه، ونفض عليهم الادبار ترابه، ونبذهم الاقبال وراء ظهره، ونظر اليهم الزمان بمؤخر عينه، فهم ارخص من الثمر بكرمان، واضيع من الورد فى شهر رمضان، واثقل من الفرو فى حيوان، واكسد من ابى بكر الخوارزمى بخراسان، وكذلك تكون مصارع البغى والعدوان، وحقائد البهت والبهتان ولقد جلسوا على قارعة الامصار، واعترضوا ايدى التحكم والاقتدار، واستهدفوا لسهام الايام والاقدار، لولا ان امورهم افضت الى رجل عليه من التوحيد العدل مانع، ولديه من الحلم والحياء وسيلة وشافع، هذا وقد ولغوا فى دمه، ورتعوا فى لحمه، وخبوا واعنقوا فى ذمه، بل فى شتمه، فلم يبقوا فى القوس منزعا، ولم يتركوا للصلح موضعا، فلما دفع الاقبال دبقتهم اليه، وصارت حياتهم وموتهم فى يديه، اسبل عليهم ستر العفو والمغفرة، واسبغ فيهم حكم الصحيح بعد المقدرة وقلم عنهم اظافير الحدثان، وقام دونهم فى وجه الزمان، وما قللهم الا يوم احياهم ولا افناهم الا حيث استبقاهم، ولو كانوا يرجعون الى نفس مرة، والى اعراق حرة لكانوا الى نظر عين الشمس اقوى عينا من نظرها الى طلعته، ولكان المقام فى القفر بل فى القبر اهون عليهم من المقام فى حضرته، ولئن غرهم الكرم والتكرم وطردهم الحياء والتندم، فلعمر الله تعالى من لا يعرف الالم الا فى جسمه، ولا النقصان الا فى ماله، ومن لا يقتله العفو ولا ياسره الانطلاق، ومن لا يعد الا حفظ اللغة و الاعراب ورواية اشعار الاعراب هذا جسم الادب فاين روحه، وقشر الفهم فاين لبه، ولو كانت المروءة رجلا لكان كريم الطرفين، شريف الجانبين، مهذب العرق، حسن الخلق والخلق، ولو كانت المروءة امرأة لكانت غضيضة الطرف ناصعة الظرف، وفيه جميلة العشرة للاهل ولو كان كفران النعمة طعاما لكان قذرا ووضرا، او شرابا لكان عكرا كدرا ولكن كل انسان ينحى الى عرقه وليه وكل اناء بما فيه، وما اذكر المتوفى رحمه الله تعالى الا بخير، ولا اقابل نعمه

الا بشكر ولكني احب لرئيس مثلك ان يختار ندماءه، وان يشترط على المجالس جلساءه، وان يكون اختصاصه لهم من حيث شرائط الاختصاص والاكرام لا من حيث حظوظ الجد والاقسام، وان يكون افضاله عليهم على مقدار ما يجده من الفضل اليهم، ليكون قد اصاب بمعارفه مظنة الاستحقاق، ولم يلقها على طريق الاتفاق، وليكون قد ارتاد فاحسن الارتياد، وانتقد فلم يظلم الانتقاد فاما ان تكون الندماء يتقربون الى الملوك بمتك الاسرار من الاستار ويأكلون خبزهم بلحوم الاحرار، فذلك مما يضيق عنه مسالك الحرية، وينطق بحضوته لسان الانسانية، ولقد كشفت الايام من حلم هذا الصدر عن غاية لم تطمح اليها عين، ولم تقرع بها اذن، ولم يعثر بها ظن، فصارت صلاته من الاجال كصلاته من الاموال، وتصدق بعرضه على اعدائه، كما تصدق باموله على اوليائه، ليكون الجود متكافئ الطرفين، و السؤدد متعادل الوصفين، ولئلا يبقى في الكريم غاية الا انتهى اليها، ولا لمدح جليلة ولا دقيقة الا غاص عليها، فلان قد بطأ على فليت شعري الريح قلعته، ام الارض ابتلعته، ام الافعى نهشته، ام السباع افترسته، ام الغول اغوته ام الشياطين استهوته، ام اصابته بائقة، ام احرقته صاعقة ام رفسته الجمال، ام اغتاله الجمال، انتكس على ظهر جمل، ام تدحرج من رأس جبل، ام وقع في بئر، ام انهار عليه جرف شفير، ام جفت يداه، ام قعدت رجلاه، ام ضربه الجذام، ام اصابه البرسام، ام جمش غلاما فقتله الغلام، ام تاه في البوادي، اغرق في البحر، ام مات من الحمر، ام سال به سيل راغب، ام وقع فيه سهم من سهام الاجال صائب، ام عمل عمل لوط فارسلت عليه حجارة من طين منضود، مسومة عند ربك وما هو من الظالمين ببعيد، وكاني به وقد سمع هذا الفصل فغضب علي و شتم طرفي، وما اردت بما قلته غير الشفقة، ولا نطقت الا بلسان المقة وانما اتبعت فيه السنة، فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة، وهذه مزحة خفيفة، وان كانت ثقيلة عليه

وظريفة،

وظريفة وان كانت سخيفة لديه، ومحببة الى سامعها وان كانت بغيضة اليه، وقد اعتذرت والعذر وان قل، دواء كل ذنب وان جل، والسلام

وله الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور

كتبت وقد اذن الدهر بالعتبى بعد العتب، وبالصلح بعد الحرب، ورد الله تعالى علي من الاقبال ما كان غصبنيه البخت الغائر، والحظ الغادر، ورد كيد الساعي في نحره، ورد غصته في صدره، والحمد لله تعالى على نعائم علينا بما ليس له عندنا شكر، ودفع عنا ما ليس لنا عليه صبر، فما اعظم النعم على غير الشاكر، وما اعجب زوال المحنة عمن ليس بصابر، ذكر سيدي حال تلك الضيعة الضائعة، التي اول عهدك بها آخر عهدي بالوجه المصون، والعرض المخزون، والمخطب يدل الله تعالى سيدي في تلك الضيعة جليل، والحديث فيها طويل، لا اسعد له حتى اعقد لعجائبها حسابا، واصنف فيه كتابا، واستحي لتفصيل ذلك وشرحه كتابا، يربو نربابا بابا، ويجعلون له رؤسا واذنابا هذا بعد ان اشتري كاغد سمرقند كله، وابري قصب الدنيا دقه وجله، و يكون مدادي ماء البحر، وعمري عمر النسر بل الدهر، وما ظن سيدي بضيعة الزمتني الجزية بعد ان كنت الزمها الصغير والكبير، واستأدبها الرعية والامير واخرجتني من غرز السلاطين الى ذل الدهاقين، وجمعت على فتون الاغنياء وغم المساكين، وشغلني صدها عما عن اشغال الدنيا والدين، يستغل الناس الغلة، وانا استغل القلة والذلة، ويزرعون في الارض جاه، فيحصدون حبوبا، وانا ازرع في قلبي كروبا، واحصد كروبا، وقد صرت من اجلها اخدم قوما كنت استخدمهم، واسلم على اناس كنت اذا كلموني لا اكلمهم، ويحجبني من لو حضر بابي من قبل حجبته، ويعرض عني من لو سألني فيما مضى ما اجبته، قد كنت ابغض الهوان انام ببابي، فاليوم قد دخلته داري وبين ثيابي، والى من يشكو المفعول به وهو الفاعل، ومن يطلب بالقتيل وهو القاتل والسلام

وكتب اليه ايضا

كان الحاكم قدم فى امر ضياعى وانا حاضر ما قوى حسن ظنى به وانا غائب وحفظ الصديق حاضرا وده، وحفظه غائبا عهده، ومن احسن مشاهدة فقد حفظ الاخاء، ومن حفظ على ظهر الغيب فقد رعى الوفاء، فلما غبت عن الناحية اصابت تلك الناحية عين الغير، ودبا الى الحاكم حوادث البشر، و وقعت فى تلك الضيعة من الصنيعة، وفى تلك الغلة من القلة، ما بغض الى المال وحبب الى الفقر والاختلال، وتركنى كلما سمعت بذكر ضيعة قرأت المعوذتين وانهزمت فرسخين، واقمت ديدبانين على مرقبين، وانما يكره الفقر لما فيه من الهوان، ويحب الغنى لما فيه من الصوان، فانابغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر، واليسر هو العسر، لا بل الفقر على هذه الصفة والحالة والقضية اجمل من الغنى حالا، واقل منه اشتغالا، لان الفقير خفيف الظهر من كل حق منفك الرقبة من كل دق لا يلزمه اداء الزكاة، ولا تتوجه اليه غوائل النائبات، ولا يستبطئه اخوانه، ولا تطمع فيه جيرانه، ولا يتظنى فى الفطر صدقته، ولا فى النحر اضحيته، ولا فى شهر رمضان مائدته، ولا فى الربيع باكورته، ولا فى الخريف فاكهته، ولا فى وقت الغلة شعيره وبره، ولا فى وقت الجباية خراجه وعشره، فانما هو مسجد يحمل اليه، ولا يحمل عليه، وعلوى يؤخذ بيديه ولا يؤخذ من يديه، يتجنبه الشرطى بالنهار، ويتوقاه العسس بالليل وفى الاسحار، فهو اما غانم او سالم والغنى انما هو كالغنم غنيمة كل يد سالبه، وصيد كل نفس طالبه، وطبق موضوع على شارعة النوائب، ومنصوب على مدرجة المطالب، تطمع فيه الاخوان ويأخذ منه السلطان، ويتطرق اليه الحدثان، وتخيف حاله النقصان فاذا كانت حاله حالى فوقع عليه اسم الاغنياء، واصابه من الضرر ما يلحق بالفقراء فقد نظم له بين المختين، وخرج عليه الزمان من كمينين لان حقوق الاغنياء ترهقه من جانب، وتبذل الفقراء ومهانتهم تلحقه من جانب، فلا هو غنى فيتسلى بوفره، ولا هو فقير فيستريح الى فقره، فهو كالمؤدى الخراج و ليس له غلة، وكالراهب المعذب نفسه بالعبادة والخلوة وليست له ملة، فقد جمع المشقة والمضرة الحاضرة وخسر الدنيا والآخرة، ولولا ان تضييع

المال

المال ضرب من العجز والاخلال، وخصلة من خصال النساء لا الرجال لكنت اترك تلك الضيعة نسيا منسيا، واجعل حديثها بساطا مطويا، ولكنى لا اغبن عن الصغير كالاغبن بالكبير، ولا اغالط فى القليل من حيث لا اضايق فى الجليل، ولقد كسدت بخراسان لانى بها موجود والموجود مملول كما ان المعدوم مسئول وبها رخص الماء اذا وجد واغلاه اذا فقد وربما غلا الشئ الرخيص والله تعالى يسأل ان يهب ريح الكرم ويطلع نجم الهمم، ويجلو عن خلقه صدأ هذه الاخلاق والشيم بمنه وكرمه

وله الى فقيه بلاد قومس وقد ورد عليه بنية القراءة

ورد على كتاب الفقيه بعد نزاع كان اليه، وحرص كان عليه، وبعد ان اقترحته على الدهر، وخلعت فيه ربقة العزاء والصبر، ولم ادر بايهما انا اشد سرورا بالكتاب وهو ايسر واصل، ام بحامله وهو اجل حامل، فلان ولدى قد اقتطعت له من فراغى فلذة على انى لو درسته حتى تحفى الاقلام ويفنى الكلام، وتحصر الافهام والاوهام، ثم لقمته العلم لقمة، وسبكت له الادب فقرة، والهمته جوامع الكلم وافرغت فى خاطره اداب العرب والعجم، و خرجت له من حد الافهام الى حد الالهام لكنت فيه عن قضاء حق من حقوق الفقيه قاصرا، ولكان وقوعى دون ادنى مواجبه على ظاهرا، ولكن الاقرار عذر قوى كما ان الانكار ذنب طوى وقد كان هذا الولد اديبا مجملا، فصار بحمد الله تعالى اديبا مفصلا، وكان اغر فصار اغر محجلا، وارجو ان الله تعالى يحيى به مآثر سلفه الصالحين، ويعلى به منازل آبائه الاولين، وان يكون اولهم علما وادبا، وان كان آخرهم ميلادا ونسبا

وله الى خلف بن احمد

ورد كتاب الامير متضمنا المواعظ التى تفلق الصخر، والحكم التى تشرح الصدر، يأمرنى فيه التأدب بادب الله تعالى والتنجز لموعوده ويشير

على بان اندرع درعا من التماسك، ترد عنى داعية التهالك، وفهمته ولعمرى ان الزرية بفلان رحمه الله تعالى وان كانت عظيمة تنسى العظائم، وتوهى العزائم، فان عظة الامير مما يهون الخطب ويكشف الكرب ويدوى القلب ولقد ضربنى الزمان بحد حسامه، ورمانى بانفذ سهامه، فان اجر على سبيلى الاولى فى المجزع، وادرع داعية الوجد والهلع، فلعظم خطب الزرية، ولثقل وطاة البلية، ونفوذ السهام النبلية، ولئن استسلمت للقضاء، واستقبلت قبلة الصبر والعزاء، فلبلاغة العظة، وللزوم الحجة، ولما وفق الامير له من ملاواة القرحة، وردضالة السلوة، على انى واثر الاخرة على الاولى واحمل التأسى على الاسى لاكتسب بذلك مرضى الله تعالى فى الاجل ذخرا، ومرضاة الامير فى العاجل فخرا، فاكون قد نسقت بين الطاعتين، واستوجبت بهما الثواب فى الدارين، ولا اكون قد صبت بمصيبة احاط بها اجران وابتليت بعسر اكتنفه يسران، فاذا المحنة فرادا، واذا النعمة مثنى والله تعالى يرحم الماضى رحمة تضيئ قبره، وتحط وزره، وتضاعف اجره، وتلحقه بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وعترته، وبموالية وشيعته، ليرتع معه فى روضه، ويشرب بيده من حوضه، وليحشر فى اعلام اهل دينه، ويعطى كتابه بيمينه، ويطيل عمر الامير حتى تصير خدمه من ابنائه، ويعز نصره حتى يكون خدمه وحشمه من ولاد اعدائه، ان رأى الامير فى هذه المخاطبة لفظة ينبو عن قبولها طبعه، ويتجافى عن استماعها سمعه، صرف ذلك الى دهش الروعة وشغل القلب بالفجعة، على انا ان اصبنا فبدولته، وان اخطأنا فلهيبته،

وكتب الى ابى القاسم بن ابى الفرج كاتب كن الدولة لما عزل

انا اهنئ الدنيا يوم عزلك، كما كنت عزيتها يوم ولايتك، فلئن عد اقبالك فى مثالبها لقد ذكرا دبارك فى مناقبها، ولئن كانت عوتبت يوم رفعتك، لقد عتبت يوم وضعتك، وانت والله الجليل يسر بفراقه والخليل اهنئ بطلاقه، ولقد كان معرض النعمة فيحا عليك

مستغنيا

مستغنيا من يديك، كانك ابا القاسم لم تتول الا لتصديق الاول

وكل ولاية لابد يوما		مغيرة الصديق على الصديق	
ولم تعزل الا لتترجم عن قول الاخر			
ستعزل ان عزلت ولا يساوى		صنيعك فى صديقك نصف فلس	

لابل كانك ما قلدت الا ليشتد غيظ الاحرار، ويقوى طمع الاشرار، ولتصل زيادة فى ذنوب الايام الى الكرام، وحجة عليها اللئام، ولقد خالفت قول الحجاف

نحن الذين اذا علوا لم يفخروا		يوم الهياج وان علوا لم يضجروا	

فلقد ظفرت فلم تضبط نفسك نشاطا، ونكبت فلم تملك استك ضراطا فضقت عن احتمال الفرحة، كما عجزت عن احتمال الترحة فلم توجد يوم سعدك شاكرا، ولا يوم نحسك صابرا، فالحمد لله الذى جعل امسك لنا عبرة، ويومك لنا نعمة، ولا غد منا فلكا دار بردك الى قيمتك، وصيرالتك فى وزان آلتك فلا زلت بعدها غضيض الطرف راغم الانف صديقك يرحمك، وعدوك يظلمك ويتهضمك، اقرب الناس اليك اكثرهم بكاء عليك، وادناهم منك، اشدهم هربا عنك، والسلام على من قال آمين

وكتب الى ابى على البلعمى بعد ابيات استنبط اجوابها

قد حملت الى حضرة الشيخ ابياتا عاتبته بها، بل اعتبته فيها، وهى عرو وسكسوتها القوافى، وحليتها المعانى، ولعمرى لقد رفقتها الى كفؤ كريم، وعرضتها من كرمه على قيم عظيم، فان كانت حطيت ورضيت فبالرفاء والبنين، مائة سنة على مئين، وان كانت الاخرى فقد يصبر الكريم على من لا يحبه، ولا يميل اليه قلبه، والعاقل اذا ابغض انصف واذا احب الطف وعلى كل حال ان وجد الشيخ حرة فليسق الى مهرها وان لم تكن حرة فليوفر على خدرها، وليعلم انى غرمه فيها، وخصمه عنها، والسلام

وكتب الى تلميذ له من فقهاء نيسابور لما هرب من محمد بن ابراهيم

قد كنت ايها الفقيه عزمت ان اوافيك عليك كتبي وابدئك فيها بحربي وافضي
اليك بحربي وبحري واستأمنك في جل احوالي ودقها وفي باطل اشغالي
وحقها ولكني عورضت من المحن بما لم يترك لي قلبا يعقل ولا بنانا يعمل
واقل ما الحقني غضب الامير علي وهذه حالة يفقد بها العقل ويشيب لها الطفل
ويتوقع معها الموت بل القتل ولقد نشبت بين اظفار الخوف وعقلت
بحبالة الحتف فلا انا الما ورأى آمن ولا لما امامي آمل وما كنت احسب اني انظر الى
قبري قبل انقضاء عمري ولا اني ارى شخص ملك الموت في حياتي قبل ان يجيء
وقت وفاتي ولعمري لقد رأى الحاسد ما كفاه وشفاه واضحكه مني مثل ما ابكاه
فلئن كان وشى بي الواشي لقد بلغ ولئن كان قد تعنى في افناء اجلي لقد فرغ
ولقد كنت ارجو ان يسعني ما يسع الاحمر والاسود ويشملني ما شمل الادنى والابعد
ولقد عذرت فان عذرت فاليوم قبرت ثم نشرت وان تكن الاخرى فهذه
عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها قد تاه في البلد فالى اين المهرب من الفلك
الدوار ومن القدر الجبار ومن خط الليل الذي هو مدركي وان خلت ان
المنأى عنه واسع ومن المجير من جل الانام داخل تحت ملكه والايام منخرطة
في سلكه وهل الهارب من المجدود الا كالهارب اليه وهل الصادر عنه الا
كالوارد عليه ومن ذا يزاحم ركن الزمان ومن ذا يبيت على ساد الثعبان ومن ذا
يرجو الدواء والموت داؤه ويثق بالاصدقاء والايام اعداؤه فلان قد
احسن المحضر وحارب عني القضاء والقدر وليس الكرم عن مثله ببديع
ولا الجميل من اهل بيته بنزيع فانما يجري على عرق جاذب ويعمل على قياس
واجب واني لا تلهف عليه تلهف آدم على الجنة واحبه حب الصحابة للسنة
واشتاق اليه شوق الى فجر سؤاله واعشقه عشق لبذل نواله والسلام

وكتب الى ابي علي البلعمي لما بلغه منه عتبه فخرج توقيعه بالتقريع

ذكر الشيخ اني تنقلت بعرضه المصون وتمندلت بقدره المكنون
المخزون وقد كنت احسب الشيخ امنع على السعاة جانبا من ان يقرعوا

صفاة حملة ويختر قوا باباطيلهم طريق عزمه ومزيره ولقد هدم على الوشاة
حصنا كنت اعددته وحلوا عقدا وثيقا كنت عقدته وسليوني علقا
نفيسا اشتريته بنفسي لا بمالي وحاربوني بعدة كنت احسبها انمالي ولقد
كنت ارى البعيد بمرقريبا مني واسعى في الظلماء بضوء رضاه عني

فمن لي بالعين التي كنت مرة	الي بها في سالف الدهر تنظر

وها انا هارب من نفسي فانها ان غضب الشيخ علي كانت اقرب
اعدائي الي ومتهم لاعضائي فانها عيونه وجواسيسه لدي ومن
عاداه الشيخ حاربته نفسه وزحف اليه نحسه وصار خير لوصرامسه

ولا وساد على يم الاساود لي	ولا قرار على زار من الاسد

لعن الله من يفسد ذات البين ويسعى بالنميمة بين الحبين فلقد
حارب بسلاح كليل الا انه قطع وضرب بعضه واهية الا
انه اوجع وانما التائم من سلاح النساء ومن حصون الضعفاء

وكتب اليه لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه

او بغير الماء حلقي شرق	كنت كالغصان بالماء اعتصاري

كيف يقدر ابقى الله الشيخ على الدواء من لا يهتدي الى وجه الداء وكيف
يدري اعداءه من لا يعرف الاصدقاء من الاعداء وكيف يعالج علة القرحة
العياء ام كيف يسري بلا دليل في الظلماء ام يخرج الهارب من بين
الارض والسماء الكريم ايد الله تعالى الشيخ اذا قدر غفر واذا وثق
اطلق واذا اسي اعتق ولقد هربت من الشيخ اليه وتسلحت بعفوه
عليه والقيت ربقة حياتي ومماتي بيديه فليفن فني حلاوة رضاه
عني كما اذا قضى مرارة انتقامه مني وليتلطف على حالي غرة عفوه كما لاحت
عليها مواسب غضبه وسطوه وليعلم ان الحر كريم الظفر اذا نال اقال
وان العبد لئيم الظفر اذا نال استطال وليغتنم التجاوز عن عثرات الاحرار
ولينتهز فرص الاقدار ولله الحمد تعالى الذي قامه مقام من يرجى ويخشى

وركب نصابه فى رتبة شاب الزمان ومجدها فتى واخلق العالم وذكرها طرى فجعله فى الميلاد ذكرها وسليلها، وفى الرتبة قدوتها وجليلها، وليعتقد انه قدها به من ستر، ولم يذنب اليه من اعتذر، وان من دعليه عذره فقد خرج الى الشجاعة بعلا لجبن، واخرج ذنبه الى صحن اليقين من سترة الظن ونق الله تعالى الشيخ لما يحفظ عليه قلوب وليائه، وعصمه بما يزيد به فى جاجم اعدائه، وليس بين الموالاة والمعاداة الا لقية بشعره، او لفظة قذعه

وكتب الى ابن بسمكة القمى وقد اهدى اليه كتابه هدية

لما وردت الناحية تسالبونى تسالب الطرفة، وتمادونى تمادى السمامة، وزنونى بمعيار الامتحان، واجرونى فى ميدان الرجحان والنقصان فوجدونى بحمد الله تعالى جوادا يجرى ما وجد مذهبا، وهزوا سيفا يقطع ما صادف مضربا، ولقد عاينوا رجلا هون عليهم من قبله، وبغض اليهم من بعده واجلت الغبرة عن المزور وهو جامد، وعن المزائم وهو شاكر، حملت الى سيدى كذا غير طامع فى قضاء حق من حقوقه على، ولا شوق بما رجسنة من حسناته لدى ولو اهديت اليه تاج كسرى، وخراج الدنيا، وخاتم سليمان، وذخيرة الهرمزان، وصدفة البصرة، وجوهر الشمسرة، وكسوة الكعبة، مع الدرة اليتيمة، مع جواهر الخلافة، نعم ولو تحفته بمال قارون الاسرائيلى، وكنز النطف بن حبر التميمى، ومال عمرو بن حريث المخزومى، ولو كسوته البردة النبوية، واعطيته الشطر بخ الكسروية، ولو غرست شجرة طوبى فى داره واجريت نهر الكوثر على بابه، وجعلت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فى قبضته، ولو قلت فيه ما قال حسان بن ثابت فى آل جفنة، ومدحته بما مدح به زهير هرم بن سنان بن ابى حارثة، وشهدت له بما شهدت به الخنساء لاخويها صخر ومعوية، وصنفت فيه ما صنفه الجاحظ فى محاسن احمد بن ابى داود الايادى، واغرقت اغراق الامامية فى المهدى وفضلته تفضيل الشيعة للوصى عليه السلام، واعتقدت فيه اعتقاد النصارى

فى المسيح اولا، واعتقاد المانوية فيها فى ثانيا، وانقطعت اليه انقطاع الاخطل الى بنى مروان، واعتذرت اليه فى تقصيرى عن مدحته اعتذار النابغة الى النعمان، ثم لم ادع بيتا نادرا، ولا مثلا سائرا، الا جعلته سلكا انظم به محاسنه، وقيدا اقيد به مناقبه، حتى افنى فى ذلك بياض سمرقند واحفى اقلام مصر وواسط واشغل فيه وراقى الكوفة وكتاب السواد فانهم منبع هذه الصنعة، ومعدن هذه الحرفة، لا بل لو تجردت لمدحه تجرد السيف الحميرى للطالبين، وتجرد مروان بن ابى حفصة للعباسيين، واتعبت فى ذلك الكرام الكاتبين، حتى تركتهم محسود بن لاعبين، لما كانت الا مقصرا ولكنى اذا قررت عذرى، واقررت بتقصيرى سيرى، وقصور قدرى، فقد جاوزت عقب الاستزادة وسيدى اعلم بخفايا عقدى، واعرف بحاله عندى والسلام

وكتب الى تلميذ له لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم

كتابى قد خرجت من البلاء، خروج السيف من الجلاء، وبروز البدر من الظلماء، وقد فارقتنى المحنة وهى مفارق لا يشتاق اليه، ودعتنى وهى مودع لا يبكى عليه، والحمد لله تعالى على محنة يجليها، ونعمة ينيلها ويوليها، كنت اتوقع امس كتاب الشيخ بالتسلية، واليوم بالتهنئة، فلم يكاتبنى فى ايام البرحاء بانما غمته، ولا فى ايام الرخاء بانما سرته، وقد اعتذرت عنه الى نفسى وجادلت عنه قلبى فقلت اما اخلاله بالاولى فلانه شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها، واما تغافله عن الاخرى فلانه احب ان يوفر على مرتبة السابق الى الابتداء، ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء، لتكون نعم الله تعالى موقوفة من كل جهة، ومحتوفة من كل رتبة، فان كنت احسنت الاعتذار عن سيدى فليعرف لى حق الاحسان وليكتب الى بالاستحسان وان كنت اسأت فليخبرنى بعذره، فانى اعرف منى بسره، وليرض منى بانى جاريت عنه قلبى واعتذرت عن نبه حتى كانه ذنبى وقلت يا نفس اعذرى اخاك، وخذى منه ما اعطاك، نع اليوم غدا، والعود احمد

وكتب الى احمد بن شبيب

ورد كتاب صاحب الجيش مكتوبا بيد خلقت للسيف والقلم، بل خلقت لبذل الدينار والدرهم بل خلقت لامساك العنان والعلم، بل خلقت للنعم والنقم، بل خلقت لجميع آداب العرب والعجم، فرويته لما رأيته، وحفظته لما لحظته، ولو انطقته لجعلت الفلك صحيفته، والدهر راويته، ولما اجلت فكرى فيه، و احطت علما بمعانيه، ورتعت بطرفى وخاطرى فى مقاطعه ومبادية، وتفكرت فى رتبة صاحب الجيش فى الرتب، وفى رتبة كتابه فى الكتب، انشدت

ولما رايت الناس دون محله	تيقنت ان الناس للناس ناقد

ولو انصفت هذا الكتاب لما فرغت منه، الى الجواب عنه، ولكن بعض الاجوبة خدمه، كما ان بعض الابتداآت نعمه،

وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم

كتبت ايد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال، خروج المشرق من الصقال، الا بل خروج البدر من خلل السحاب، وحالى الآن بين الوجاء والقناعة ستماسكة والحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله صفوة الله، وصل كتاب صاحب الجيش وافادنى من خبر سلامته ما غفرت له ذنوب الايام الى وجنايته على و فهمته فوجدت صاحب الجيش فى غضبه على رقيق صفحة الاحتمال، قريب غور الصفح والاجمال، مضايقا من حيث تتوسع الكرام، مخالفا لما توجبه الاحلام، يفطن للذنب الخفى ويتغاضى عن العذر الجلى، لا ينزل فى المكافاة الا على حكم الاعداء، ولا يستقبل بالمعاملة الا قبلة الاستيفاء، ولا يعلم العبيد على الموالى ذمة وان كان عليهم حق، وان للمماليك من طريق العشرة احرارا وان لزمهم رق، هذه حالة المملوك فكيف بالحر الذى يأخذ مثل ما اعطى، ويستوفى على قدر ما اوفى واما انا فانما ادللت على صاحب الجيش لا طرق له على الى الاحتمال، ولا وفر

له نصيبه من الفضل والادلال على انه يحمل التواضع على الكبر، ويميل مع المحاباة على القدر، فاذا اخذنا فى طريق المؤاخذة، وعاشرنا على المكايلة والموازنة، فما له عندك الا السكوت حتى يرضى والسكوت بعد الرضى حتى يرضى الدهر فانى اظن ان الدهر لا يرضى عنى الا بقتلى، ولا يتوفر من اعنائى، الا عند وفاتى، وهلا حاربنى الدهر بسلاح غير صاحب الجيش فيعلم كيف قراعى للاقران، وكيف صبرى عند الضراب والطعان، ولقد رمانى الادبار بهم على انى لم البس له جنة ولم اعد لوقعه عدة، فانى والله لست بالصبور على مس العتاب ولا بالقلب على وحشة الاحباب، ولانى لست على هجرك جلد القوى ولا على عتبك شاكى السلاح ومن غرائب القضاء، ونوادر اخبار السماء، انى ما قرأت لصاحب الجيش كتابا اطول من هذا طولا، ولا اضفى منه ذيولا، فليت شعرى لم طول هذا التطويل، وجاء بهذا الكلام العريض الطويل، الا انه لم يشف قلبه الابلوغ النهاية فى الشكاية ام لانه ما وضعنى تحت القلم الا درت على اخلاف كتابته وانما رمت قوافى اجراف خطابته، ام لانه اراد ان يعرفنى انه طويل المد العريدة مديد نفس المذمة والمحمدة، اذا شاء قال، واذا قال اطال، واذا غضب كان عقابه جليلا، واذا رضى كان ثوابه جزيلا، ولم يبق الى الآن شىء اعلل به قلبى العليل، واداوى به همى الدخيل الا فرحى بما اسمعه من خبر سلامته فى نفسه نفس الله تعالى مدتها، وفى اسبابها حرس الله تعالى جنبتها، ولقد رضيت بالقليل ونزلت على الريح الطفيف ولكن كل اللباس يلبس العريان، وكل الطعام ياكل الغرثان، واستغفر الله ليس لى سلامة صاحب الجيش بالطفيف ولا تؤذن الموهبة فيه بالخفيف ولكن خوفى غضبه قد حيرنى حتى سلبنى عقلى وحتى صيرنى لا املك قياد قولى وما اعتذر من هيبتى فى مثل هذا المقام الهائل، ولا الام على دهشتى لهذا الخطب النازل، والشجاعة فى غير مكانها خرق، والجلادة على ما لا يقضى الحال حمق،

وكتب الى كاتب خوارزمشاه وقد تخلص من المصادرة يشكو اليه ويعرض

قرات كتاب الشيخ فكاد سروري بسلامته لا يفي بندمتي على مفارقته، وذكر الشيخ
ما فتحه الله تعالى عليه من ابواب المنن، واغلقه عليه من ابواب المحن، فسبحان
من اذا اغلق بابا، فتح ابوابا، واذا قطع سببا او صل اسبابا، واذا بخل عباده
فخزائنه مفتوحة، واذا قبض ايديهم بالرزق فيده مبسوطة، وانا الى الشيخ
مشتاق شوقا لو قسم على القلوب لملأها صبوة، ولم يدع فيها سلوة، وما اشكر
نفسي على ان تشتاق الى من لا ترى منه بديلا، ولا تحتال الى السلو عنه سبيلا
ويحسب الشيخ ان طرفي بطرفه معقود، وان باب نسيانه وتناسيه على مسدود،
واني ان اصدرت كتابي اليه بالسلامة معان قلبي غير سليم من الالم، ولا صحيح
من الوان السقم، فانما اريد بذلك التفاؤل للكتاب واتباع رسوم الكتاب فلان
قد بلغني اطنابه في ذكري، وتفضيله لي على ابناء عصري، وهذا اسلف
اسلفنيه، وانا بمعونة الله تعالى اؤديه، وما ازن نفسي بالصنجة التي بها يزن شيء
ولا ازينها بالفضل الذي به يزين شيء فان كان كما قال فلعل الفضل ديني وحجر
من الكمين علي لاني عاشرته فاعداني فضلا، وهذبني قولا وفعلا، وانا
في ذلك جنيبته ان قبلني جنيبه، وخليفته ان قبلني خليفه، ولقد اغرب
ذلك الحر على اهل دهره، وخالف طريقة غيره، حين ذكرنا ونحن اصدقاء العسرة
واخوان الفترة، فلم يغيره السلطان ولم يطغه الشيطان، ولقد شهد له وحده
بانه كريم، ومن اللؤم واللوم سليم، على قضيته قول ابي تمام

وان اولى البرايا ان تؤاسيه	عند اسيء ورلمن آساك في الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا	من كان يألفهم في المنزل الخشن

وشهادة ابي تمام في الكرم تقوم مقام شهادة امة بل امم، ولئن كان خزيمة بن ثابت ذا
الشهادتين عند الانبياء والحكام، فان ابا تمام ذو الشهادتين عند الاحرار والكرام
ولي على ذلك الولد حق الابوة كما ان له على حق النبوة، والآباء ابوان ابو ولادة، وابو
افادة فالاول سبب الحياة الجسمانية، والآخر سبب الحياة الروحانية والسلام

وله الى وزير خوارزمشاه المانكبرتي

قد امتدت مدة هذا البلاء، وادهمنا ان الدار دار البقاء، لا دار الفناء،
وصار المخطب فيها سببا من اسباب سوء الظن بالانام، وداعية الى
قلة الاستنامة الى الايام، ونصرة لفعال اللئام على الكرام ولقد عجبت من
ذلك الا يرى كيف ستبدل العبيد بالاحرار، وكيف تحول من ظهر الفرس الى ظهر
الحمار، كانه لم يسمع في الخبر، بدل الاعور، اريد بذلك قول الشاعر

افنيت مذ قلنا غداة اتيتنا	بدل لعمرك من يزيد الاعور

ولما سمعت ايد الله الشيخ بهذه النادرة التي تضحك الثكلى وتترك العقول حيرى
قلت لا اله الا الله وما اعرف لها فائدة الا انما انطقت الناس بالتوحيد وان كان
على وجه التعجب لا على وجه التهليل والتحميد، اللهم اجعلنا ممن يتعجب اذا رأى
العجائب، ويتغرب اذا سمع الغرائب فانا ذا اكثر العجب زال التعجب كما قيل

على انها الايام قد صرن كلها	عجائب حتى ليس فيها عجائب

فاما الآن فقد كان ما كان فاني رأى الشيخ ان يلبس للدهر ثوبا من الصبى
ثخينا، ويولي حوادثه ركنا من التماسك ركينا، وان تجده الايام حرا، وان
تصفيه الحوادث اذا اذاقته مرا، وان يلاري مع زمانه سلطانه، و
يصغر بلسانه اسانته، ويكبر احسانه، ويروض لسانه في الخلق
على شكره، لئلا يجمح به في الجفوة الى غيره، فانما ايام المحنة موج من
تطأطأ له تخطاه، ومن وقف على طريقه ارداه، ومن قابل ايام الادبار
بوجهه صدمته، ومن قاتل عساكر الاقبال في ايام كرها هزمته، ومن
طالب السلطان بالنصفة طلب عسيرا، ومن حاسب على قليل من العتب
لقي كثيرا، وآفة الناصح آلته، وعيب الكامل في وقت المحنة دالته، لانه يطالب
بثمن نصيحته، ويدل على صاحبه بكفايته، ويعتقد ان طول الخدمة آكد
حرمة، وان تأكد الحرمة عنده قرابة ولحمة، ولعمري ان ذلك كذلك ولكن
الغضب ينسي الحرمات، ويدفن الحسنات، ويخلق للدهر جنايات

وان اسير المؤمنين وفعله	لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وكتب الى ابى محمد العلوى

لولا انى لا احب ان افتتح كتابى الى سيد بعتاب وان اكلفه الى تكلف حجة و جواب لوجد سهامى فى الملام مسددة، وسيوفى فى التقريع مجردة، وعلم انى اذا غوبت بلسانى لم نقم ضريبتى، واذا رميت لم تنج رميتى، ورد كتاب الشريف ايده الله تعالى وهو الكتاب الشريف كاتبا، السعيد حاملا، المغبوط ناسخا المحسود راويا، وفيه الكلام الذى لا يبليه الزمان، ولا تجحه الاذان، وقد فرد السيد فيه كل واحد من اوليائه وشيعته بلطف وتناول من البر والتحفى بطرف غيرى وما كنت اعلم انى سكيت الحلبة، ولا انى ساقة الكتيبة، ولا ان اسمى آخر الجريدة، ولعمرى ان شيعة السيد لكبار ولكنى لا اصغر عنهم وانهم لكثير ولكن مثلى لا يضيع فيهم واعوذ بالله تعالى من الكساد، فانه اخو الفساد، واستجيره من اكون مجاعا غير محبوب فان المحبة شجرة لا تثمر الا على عرقين، وبقف لا يبقى الا على عمادين وصفقة لا تتم الا ببيعتين، وان قوما انا اصغيرهم لكبار، وان امة ابوذر شرها لخيار، خرج السيد فخبا نجم العلم وافلت شمس الادب انهدم ركن السحاب وفل سيف العطاء وغارت عين الارجية، وانثلم جانب الانسانية وانهزمت عساكر الكرم، واغبر وجه السيف والقلم، ونضب ماء الحياء، وركدت ريح البهاء، وخرب بنيان العقل، وتضعضع جبل التوحيد والعدل، واخلقت ثياب الافضال والفضل، وتمافت نظم القول والفعل، ودك جبل السخاء و البذل، وانشد كل من وجد من فقده، ونظر الى ثكل المكارم من بعده ما حال من كان له واحد، يؤخذ منه ذلك الواحد، وانا من بين الجماعة كالوالة الثكلى، وكالفاقد الحرى، اقلب طرفى لا ارى من احبه، وفى الدار من لا احب كثير، اذا نظرت الى عرصات المكارم والمجد خالية، والى بروج الفضل عافية، والى سدة الشرف وقد خلا جنابها، واصطفقت ابوابها، انشدت

واصبح بطن مكة مقشعرا	كان الارض ليس بها هشام

وقد رحل السيد الى حضرة رجل هو للكرام انشى نفسا، وللفضل امثل

شخصا، اذا ناظره العربى صار اعجميا، واذا ناظره الاعجمى صار عربيا، واذا رآه العجب بنفسه طلق كبره، وفارق فخره، فهو رفيق الجود وخليله، وزميل الكرم ونزيله، وغرة الدهر وتجيله، حضوته حضرة الاجال والاموال لا بل حضرة الاقوال والافعال لا بل حضرة الرجال والكمال، تنصب اليها مواد الرغبات، وتنشد فيها خيول الطلبات من تأمله علم ان الله تعالى فرق المحاسن على اهل كل زمان وجمعها فى زماننا هذا فى انسان، فسبحان من اذا شاء خص بعض عباده بالفضل، ورفع بعض بلاده على بعض بالاهل من غير ان يكون ظلم احدا او حابى احدا وصف عراقى خراسان فقال نوانا كرجالنا ورجالها كجبالنا، ورايت انا اصفهان فقلت صبيها كرجلنا، ورجلها ككهلنا وكهلها كشيخنا، وشيخها كنبينا، ولم لا تخرج اهل تلك البلدة فى قالب الكمال ولا يستوفون شرائط الرجال، ولا ينظمون فى سلك القول والفعال، وهم يردون كل يوم واردا، ويشهدون وافدا، ويسمعون نغمة، ويطالعون نعمة، لان فيهم مثابة الجود، وقرارة الوفود، وكعبة الآمال، ومحط رحال الرجال، وهم يلتقون على باب الوزير مع كل كاتب وحاسب، ويجلسون فى سدته مع كل ناثر وشاعر، ولا يعدمهم ان ينظروا الى ذى صناعة معاشية او معادية، والى ذى آلة رياضية او عقلية، فتروق السنتهم وتصفو اذهانهم وتتنزه ابصارهم، وتدق افكارهم لاقتباسهم علم كل مكان، واستماعهم تبيان كل لسان، ولتردهم بين اللغات المختلفة، وبين اخلاق المتمايزة، فهم يبصرون و يستبصرون، ويرون فيروون، ويسمعون فيحفظون، وابن بهم عن ذلك وهم يترددون فى مغيض العلم والادب، وينزلون فى هوسهم العجم والعرب، وهنا الى ما يسمعونه من كلام الوزير الذى لو سمعته الوحش لانست، ولو خوطبت به الخرس لنطقت، او استدعيت به الطير لنزلت، ومن جالس صاحب صناعة حذقها، ومن طال استماعه الحكم نطقها ونعم المعلم الجوار، ونعم الوسول الاسماع والابصار، كتاب كذا يجب ان يجعل المنع منه صوانه، والعين بل القلب مكانه، فان الغيرة على الكتب من المكارم، لا بل هى اخت الغيرة

على المحارم، والبخل بالعلم على غير اهله، قضاء لحقه ومعرفة لفضله، و
اني لاحسد على الورقة من لا احسده على البدرة، وانا فس في خرق وخرفين
مالا انافس في دينار وألفين، واغار على الادب الكريم، من المتأدب اللئيم

وانني لمن موقف السوء عنده	لكرثيتي للطرف والعلج راكبه

ولوددت لوان يكون الادب في جبهة الاسد، ولو اصبحت الدفاتر في انياب
الاساود ووددت لوان كتب ورقة بدينار، اوكتب دفتر بقنطار، فلا يتادب
الاشجاع مكي، ولا يحرز الدفاتر الاجواد سخي، طولت على السيد واكثرت
وهذبت فيما حررت واضجرت ولسان الهذر ناطق بالضجر، والسلام

وكتب الى ابي العباس كاتب محمد بن ابراهيم قد طلب منه نسخة رسائله

قد سلفت الشيخ من شكري ما اوجب عليه صلاح امري والسفارة بيني
وبين دهري والسلف في الدراهم محظور مستقبح، وفي الشكر مباح مستملح
وحاجتي هذه من صغار الحوائج ولكن كرم الشيخ يسعد جلائل الامور
ودقائقها وكنت طويت مسألة الشيخ في ادراج المتاركة، ودخلت في باب
المساكتة، ثم ردني اليه، اني لم ار معدن الكرم الا عليه، ولا ارى منبع الارزاق
الا من يديه، طلب الشيخ شيئا من رسائلي فرحبا بانجح طالب واكرم خاطب
ومن سعادة الصهر كرم اختانه، ومن اقبال الكاتب والشاعر شرف
من نظر في ديوانه، ولو قدرت بجعلت الورق من جلدي بل من صحن
خدي والقلم من بناني، والمداد من اجفاني، ولا مليت هذه النسخة
على السفرة البررة ليكتبوه بيد العصمة، ويجلدوه في بيت الحكمة، بل لو علمت
ان مثل الشيخ يطلبه، وان مثل يد الشيخ بسطها الله تعالى بالخيرات تكتبه،
لحاسبت عليه قلبي ولساني ادق حساب، وطالبت شيطاني بتنقيحه
وتهذيبه اشد طلاب، ولقلت لخاطري دقق طرزك، وجود بزك، فان المبتاع كريم، والثمن عظيم، وقد قيل الراوية احد
الشاعرين، وانا اقول الراوية احد الشعرين،

وكتب

وكتب الى ابي الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل

كتابي عن سلامة لا اتهنأ بها الا بسلامة الشيخ والحمد لله تعالى على سلامته
وعلى سلامتي في حملته، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبي وعلى عترته
لما وردت هذه الناحية وجدت النجاح تقدمني اليها، وانتظرني لديها،
فنزلت منه في اوسع منزل، وعلى اكرم متنزل، اكرمني الشيخ نازلا،
وشيعني راحلا، وقضى حقي عاجلا وآجلا، وفي الجملة ان الشيخ وجد
امري ميتا فاحياه، ورأى النجاح مني بعيدا فادناه، وصادف اقبالي
مريضا فداواه، ولقد اراحني الشيخ ببره، بل اتعبني بشكره، وفرغني
بصادق قيامه، لا بل شغلني بتعديد احسانه وانعامه، وخفف ظهري من ثقل
المحن لا بل اثقله باعباء المنن، واحياني بتحقيق الرجاء، لا بل ماتني بفرط
الحياء، فانا له بعد اليوم عتيق، واسير بل طليق، ومن انقذ انسانا من
الفقر، وانتاشه من مخالب الدهر، وفكه من اسار العصر، فقد اعتقه
من الرق الاكبر، ونجاه من الموت الاحمر، والرق رقان، رق الملك ورق
الهوان، والاسر اسران، اسر العدو واسر الزمان، ولست ارضى
لشكر السيد لساني ولا بناني، ولا استصلح لذكر مآثره وآثاره كلامي
فاني ولا كفران لله كليل شفرة الكلام، سليم وقعة الاقلام، قصير رشاء
اللسان، قريب غور البيان، ولكني استعين في ذلك بالسنة اصدقائي
واقلام معارفي واودائي فنجتمع عليه، ونهدي ما نلفقه بيننا اليه،
لا زال الشيخ للاحرار عضدا، ولسانا ويدا، وعمادا معتمدا ولا نالت
الالسن عليه بالثناء ناطقة، والقلوب على مودته متطابقة، والشهادات
بالفضل له متناسقة، ولا زالت اولياؤه مستدرين بافيائه منيخين بافنائه
وعفائه، مستعلين به على اعدائه وجعلني الله فداه انكنت صلح لفدائه، او
احسن عني جزاه اذا كان اوسع لجزائه، واطال بقاءه اذ كان بقاء المكارم في بقائه

وكتب الى ابي سعيد المتوفى بناحية محمد بن ابراهيم من همراة

وردت الناحية بعد ما قاسيت السير والسرى، وخضت غمار المهالك والورى، ونظرت الى الآخرة وانا فى الدنيا واول ما مر بى سوء الدخول على ظهر الحمار، ومعاشرة الحمار، على ان الحمار ايضا حمار، الا انه قصير الاذنين، يمشى على رجلين وكأنى كنت بين حمارين، الا انى كنت بين جنسين غير انى ادركت المراد، وحمدت المراد، وساعدنى الزمان وما كاد، ومن تعلق بذيل المقبل اقبل، ومن جعل مثل الشيخ سلما فقد وصل، فها انا ذا الشيخ ضيعه ولا مره تابع وجنيبه وظيفتى فى الملاء شكره، وفى الخلاء ذكره، والسلام

وله اليه

قضيت بهذه الناحية حاجتى، وعمرت بعد الخراب حالتى، اذ سرت اليها ممتطيا عناية الشيخ بى، ومرافقا نظره لى، ولولا سكون قلبى الى حفظه على ما ورائى، وقيامه دونى فى وجوه اعدائى، لما تقدمت الا وقلبى متأخر، ولا اقبلت الى مقصدى الا وعينى متذبذبة، فان القلب اذا اشتغل بما وراءه لم ينفذ رأيه فيما امامه، والرجل اذا قيدها عقال الوجل، لم تنطلق نحو مظنة الامل، فسبحان من نخر لى كنزا ووهب لى من جانبه شرفا وعزا، وجعلنى اطير فى بجناحيه، واتناول ما اريد من يديه، واذا مات ملكى احياه، واذا تبلد بختى امضاه، واذا سخط على دهرى ارضاه، فلاجرم لقد ملكنى ملكا لا تنحل عقدته، ولا تخاف عهدته، لا سلبنى الله تعالى النعمة ببقائه، ولا نزع عنى ثوب الجمال ببهائه

وكتب الى فقيه هراة بعد ان خرج منها عليلا

تأخرت كتبى عن حضرة الفقيه لشواغل كثيرة القلة صغراها، والعقلة وسطاها، والغيبة كبراها، ومالى عذر فى واحدة منهن ولا منهن كلهن ولكن المحجوج بكل شىء ينطق، والغريق بكل حبل يتعلق، ولقد عققت الود، وظلمت العهد، ونصبت جنبى للهلام، واستهدفت لسهام الكلام، وكأنى بعساكر العتاب وقد زحفت الى، وحملت على، والتقريع على

مقدمته، والتوبيخ على ساقته، والهجر الصرف على مجنبته، فارقت تلك الناحية والحمى رفيقى وزميلى، والنافض عديلى ونزيلى، وقد ودعت الدنيا، وحصلت فى مخالب ابى يحيى، حمى اليأس والوسواس، ميت النفس والانفاس، لا نطاوعنى يد ورجل، ولا يساعدنى لسان وعقل، ابعد شىء عنى الحياة، واقرب شىء الى الوفاة، ولا اظن عمرى الا حسوة طائر اولفتة ناظر، ثم ساق الله تعالى الى عافية اخرجت من الكمين، ولم تمجس لى فى الظنون، فجاءت اسمى من جوية الموتى، ورجعت الى الاولى من الاخرى، وعاش الامل، ومات الوجل، ولولا انى معتزلى لقلت تأخر الاجل، فالحمد لله تعالى الذى قرب الاجل ثم اخره، واورده حوض المنية ثم اصدره الا بلاغا ته ثم النشوره، وحقيق ان يشكر ربا اذا ابتلى عوض الاجر، واذا غفر عوض المزيد بالشكر، حمدا يتصل مداده، ولا يفنى اعداده

وكتب الى تلميذ له ورد عليه كتابه بانه عليل

وصل كتابك يا سيدى فسرنى نظرى اليه، ثم غمنى اطلاعى عليه، لما تضمنه من ذكر علتك، جعل الله تعالى ولها كفارة وآخرها عافية ولا اعدمك على الاولى اجرا، وعلى الاخرى شكرا، وبودى لو قرب على تناول عيادتك، فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض اعباء علتك فلقد خصصت من هذه العلة قسم كقسمك، ومرض قلبى لمرض جسمك واظن انى لو لقيتك عليلا لانصرفت عنك وانا اعل منك فانى بحمد الله تعالى جلد على وجاع اعضائى، غير جلد على وجاع اصدقائى ينبو عنى سهام الدهر اذا رمانى وينفذ فى ذا رمى اخوانى فاقرب سهامه منى ابعد سهامه عنى كما ان ابعدها عنى اقربها منى شفاك الله وعافاك، وكفانى فيك المحذور وكفاك، ورفع جنبك، وغفر ذنبك، وشرح قلبك، واعلى كعبك

وكتب اليه وقد ورد كتابه بافاقته وحمل اليه تفاحا

وصل التفاح فى طيب نشرك، وحلاوة تفلك ونثرك، وحسن ذكرك، وكان اعبق من كل طيب غير خلقك، واحسن من كل حسن غير خلقك، وعدتنى بهجة افكاتك وذكرت افراقك من ذاتك، فما ادرى على اى الخبرين كان شكرى لله تعالى اكثر عدادا، واكشف مدادا، وباية البشارتين كانت نفسى امرء وعينى اقرء صدق الله هذه البشرى واتم عليك هذه النعمة وها انا قد مددت الى الطريق عينى واخذت اعد الخطى بينك وبينى احسب كل انسان رسولا، وكل شخص كتابا الى محمولا، فجعل الله تعالى اتحافنا بنفسك، ولا احرمنا حظنا من انسك

وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة

تأخر عنى كتاب شيخى حتى نسيت ايام المراسلة، وصرت ارى فى المنام اوقات المكاتبة والمواصلة، وحتى ظننت ان الاقلام قد جفيت، وان القراطير قد فنيت، وان الكتابة قد نسيت، وان المطالعة والمفاوضة قد طويت، وان المداد قد صار فى جبهة الاسد او بجلب من السوبين الابعد، وان الدواة قد اصبحت تامية، وان الدولة قد عادت اعجمية، ثم راجعت فناظرت نفسى فوجدت الذنب مقسوما بينه وبينى فتحملت حصته منه، وانفردت بجميعه عنه، وذلك انى خرجت وسافرت هذه السفرة فوقعت فى المحال فترة، والغائب ملقى ملقى، ومنسى ومتناسى فلان كان افقر من الانبياء، فان فقراءهم اكثر من الاغنياء، واعرى من الحية، وانقى كيسا من الراحة، يده صفر، ومنزله قفر، وعذاوه الخوى، وعشاؤه الطوى، ووطاؤه الارض، وغطاؤه السماء، وادامه التشهى، وطعامه التمنى، وراحته زوجته، ورجله مطيته، لا يرى الدرهم الا فى المنام، ولا يحس الدينار الا بالاوهام، ولا يشبع الا فى ضغاث احلام، بابه مجلس الغرماء وذيله متعلق الخصماء، قد ضرب عليه الخذلان رواقا، وبنى فوقه الادبار طاقا، ونثر عليه الرزق وحرمه الخالق والخلق، واسع المنى ضيق الغنى افرغ دارا من فؤاد موسى عليه السلام لو مرت به الريح لاخذ منها، ولو

زار

زار الذباب لطمع فيها، خصيب العين جديب البطن لان العين تشبع بنظاره ولا يشبع البطن الا عن حقيقة، كان الارزاق قسمت ورزقه غائب، وكان البخوت وضعت وبخته هارب، وكان الفلك بعاديه، والدهر بناويه، وكأنه انكل الرزق ولدا، او كسر له رجلا ويدا، فعمدت اليه فجبرت كسره، وطردت عنه فقره، وحاربت دهره، وزففته زف الهدى الى منى، وعللته تعليل الصبى بالمنى، ورايت حاله قد انحرفت انحرافا لا يتدارك، وانحلت انحلالا لا يتماسك، فلم ازل ارفوخرقها، وارتق فتقها، واجلو عنها صدأ الادبار، واغسل عن اطرافها وضر العسر والاقتار، فما هو الا ان رأى بيده الدرهم والدينار، وطوى مراحل العسر الى اليسار، حتى نسى نفسه، وجحد مسه، وتطاول بيد قصيرة، وتعظم بنفس حقيرة، وقلب على محسن غادر، وصافح نعمتى عليه بيد كافر، وقبح لقائى وكان حسنا وخشن مسى وكان لينا، فلما رأيت سوء جواره لنعمة الله تعالى وتركه التأدب بادب الله تبارك وجميله حق رزق الله تقدس رددته الى قيمته، وجعلت نقمته فى وزن نعمته، ونزعت عنه قميص عافية اساء لبسه واستعماله، ولم يعرف له بهاؤه وجماله، وتعلقت بذيل ذلك المال وقد كاد يفوت، ورددت اليه روحه وقد ابتدأ يموت، فمن رآنى فليتهم على الدهر يديه، وليجعل به عينيه، وليجعل وكيله نفسه، وقهرمانه كيسه، وشريكه فعله، وحارسه عقله، وخادمه خاتمه وصديقه صناديقه، وليعلم ان درهمه اذا فارقه لم يرجع اليه، واذا صالح يد غيره لم يصالح يديه، واذا اعطى اباه او اخاه فقد زاد فى عدد اعدائه كما نقص من عدد اصدقائه، ومن اراد ان يشترى الاعداء بماله، و ان يحارب يمينه بشماله، فليخالف طريقتى ولا يقبل نصيحتى

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة

كتابى الى الشيخ من الديوان، وانا فيه ملتحف بالحرمان، مشتمل بالذل والهوان، قاعد بين النقصان والخسران، عن يمينى مستخرجان وعن

يارى وكيلان، والحمد لله على تصاريف الدهر واحواله، وصلى الله تعالى
على سيدنا محمد وآله، فلما جفيت قلمى يدك فى كتبى الى الشيخ اخطب نظره لى
وانشد ما اضللته من عنايته بى فلم يعطف على عطفه، ولم يشغل بجانبى طرفه،
واذا ادبارى مصمت لا يسمع الدعوى ولا يقبل الرقى، وما اشكو الا نحسى
ولا اهجو الا نفسى، وما خصصنى غير حرمانى ولا قرنى الا زمانى، ورد علينا فلان
ونحن نيام نوم الامنه، وسكارى سكر الثروة، ومتكئون على فراش العدل
والنصفة، فما زال يفتح علينا ابواب المظالم، ويحتلب فينا ضروع الدنانير و
الدراهم، ويسير فى بلادنا سيرة لا يسيرها السنور فى الغار، ولا يستجيزها
المسلمون فى الكفار، حتى افتقر الاغنياء، وانكشف الفقراء، وحتى ترك الدهقان
ضيعته، وجحد صاحب الغلة غلته، وحتى اخرب البلاد، بل اخرب العباد، وحتى
شوق الى الآخرة اهل الدنيا، وحبب الفقر الى اهل الغنى، وحتى نشف الزرع
والضرع، واهلك الحرث والنسل، وحتى لقب بالجواد، وكنى بابا الفساد، و
صار الدرهم فى ايامه اقل من الصدق فى كلامه، وصار الامن فى اعماله اعز من
السلاد فى افعاله، فليته اذ اوحش الرجال حصل المال، وليته اذ ضيع المال
ارضى الرجال، ولكنه حرم الاثنين، فافلس من الجهتين، والله ما الذئب
فى الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين، ولا السوس فى المخزن فى الصيف
عنده الا من المحسنين، ولا الحجاج بن يوسف الثقفى فى اهل العراق الا اول
العادلين، ولا يحسب الاثيم فى اهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين
والصديقين، ولا فرعون فى بنى اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين
فان كتابه معاقبين فقد تنقضى مدة العقاب، وتختم صفحة العذاب، وان
كان الفلك غلط به، والزمان اخطأ فيه، فقد يراجع الغالط حسه، و
يحاسب المخطئ نفسه فيجبر ما كسر، ويتلافى ما بدر، والسلام

وكتب الى ابى الوفا صاحب جيش عضد الدولة

كتابى وانا بما يبلغنى من صالح اعمال الشيخ مغتبط ومسرور، وبما يعرفه

الزمان واهله من اعتضادى به مصون موفور، والله تعالى على الاولى محمود وعلى
الاخرى مشكور، التطفل وان كان محظورا فى غير مواطنه فانه مباح فى مامنه، وان
كان فى بعض الاحوال يجمع عارا ووزرا، فانه فى بعضها يجمع فخرا وذخرا، و
رب فعل يصاب به وقته فيكون سنة، وهو فى غير وقته بدعة، وقد تطفلت
على الشيخ بهذه الاحرف فخطب بما مودتى عليه واساله ان يرسم لى فى لسانى
وقلبى رسما، ويختم عليهما ختما، وصرت وكيله فيهما فيما على غيره حتى لا
يقرب وبحيرة لا تحلب ولا تركب، ولما نظرت الى آثار الشيخ على الاحوان ونشرت
طراز محاسنه فى ايدى القاصدين والزوار، واقيمت له عندى بالفضل شهادة
الاخبار والاشعار، وهما شاهدا عدل، بكل نقص وفضل، ثم لما رأيت
نفسى غفلا من سمة مودته، وعطلا من جمال عشرته، حميت لها من
ان يحمى عليها ورد مورود، ويحسر عنها ظل على الجميع ممدود، وعجبت
من سحاب اخطأنى جوده وهو صيب وبحر عدانى سيله وهو مفعم

وبدا ضاء الافق شرقا ومغربا	وموضع رجلى منه اسود مظلم

وله الى ابى الحارث من ولدها بن ماسجور وهو ملك الجبل وقد ارسله يستدعى كتابه

مكاتبة مثلى للامير سوء ادب وردعة، وقلة حياء ومسكة، وتركى مكاتبته
بعد ما امكنتنى وقرب متناولها منى تضييع لفرصة من فرص العز، ونمرة
من نمر الفوز، والعاقل يختار خير الشرين، ويميل مع اعدل الشقين، لم ازل
ايد الله تعالى الامير اقترح على هوى ان يسعدنى وعلى عمى ان يسعفنى
فاتعلق من تلك الخدمة بطرف، واتوصل الى تلك الحضرة بسبب و
يأبى الدهر الا ان يحلئنى عن ورد احوم عليه برجائى، ويغلق على بابا
استفتحه بدعائى، فلما غلبنى الدهر على مرادى وخالف بين طريق صدرى
وايرادى رضيت من المائدة باللقمة، ومن الفضل بالبلغة، وسلكت مع
بختى طريق المصانعة، اذ كان قد سد على طريق المصادقة، وقلت لا اقل

من ان ادس اسمي في اسماء خدم تلك الحضرة الجليلة، واترب يدك بغبار تلك الصنائع الجميلة، واخدم ذلك السيد قولا، وان كنت لم ارزق خدمته فعلا، واكاتبه غائبا، اذ كنت لا اصل اليه حاضرا، فكتبت هذه الاحرف فاصل جميل بجمله، واعرض بما نفسي لفضله، وانا اخرج الى الامير من عهدة هذه السلعة، واشهد لي وسط في هذه الصنعة، فان الهيبة تحصر بنان الكاتب وتعقل لسان الخاطب فكيف حالها مع المكاتب، وانا شاكر للامير وان كنت لم ارد بحره، ولم احتلب درره لما سمعته من شكر الشاكرين لفضله، ومن اطباق الجميع على ذكر محاسن قوله وفعله، لا بل شكري له عن غيري اعظم، والحق لي فيه الزم، لاني لو شكرته عن نفسي شكرته عن انسان، واحتجت في ذلك الى لسان، واذا شكرته عن الناس شكر عن امة، واحتجت الى السنة جمة، على انني اطرى الحسام اذا مضى، وان كان يوم الروع غيري حامله، جزى الله تعالى الامير عن الجود خيرا فقد قام له سوقا كانت كاسدة، واهبت ريحا كانت راكدة، واحيى هذه ارضا كانت هامدة، ولقد سلك الامير من الكرم طريقا يستوحش فيها القلة سالكها، وعمر المعروف دارا الا يستأنس بها العدم ساكنها وبيتة في قفارها، لدروس آثارها، وانهدام منارها، اعانه الله تعالى على صعوبة الطريق، وقلة الرفيق، والهمه صبرا يهون عليه احتمال المغارم، ويقرب عليه مصافاة المكارم، فبالصبر تنال العلى، وعند الصباح يحمد القوم السرى

وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة

تأخر كتابي عنك يا ولدك لاني كرهت ان اكاتبك عن فكر متشعب، وقلب متقلب واردت ان اخلي لها طرى لجوابك، وان اقضي بذلك حق كتابك فمن صيانة صاحب الكتاب ان لا يتجوز له في الجواب على ان مصون كلامي عند مثلك غير مبتذل، ومدخري عندك ليس بمستعمل، ولا لوم على الفقير اذا حمل ما عنده من اليسير الى المياسير، وقد بذلت جهدي، واني قصى ما عنده

وله الى كاتب بعض الامراء وقد ورد عليه كتاب به يشكو فيه الجرب

وقفت على ما شكاه سيدي من العلة شفاه الله تعالى منها، وعوضه الصحة عنها، ووددت لو قبلتني العلة فداءه، وامكنني ان اقرض سيدي شفاءه فكنت انقل اليه الصحة نقلا، وابذل له ما عندي من العافية بذلا، الجرب حكة عافى الله تعالى سيدي منها ما دامت مايبوسة وحرارة ووقود والتهاب زندها الذي يقتبسان منه طعام وشراب وفضلة فدفتها الطبيعة الى الظاهر، ودفع الله تعالى شرها عن الباطن وعسكر من عساكر البلاء، تمده القذارة وتمده الطهارة، وتنقص منه البرودة والرطوبة، كما تزيد فيه اليبوسة والحرارة، ومن داوى ظاهره، وترك باطنه، فانما يبل حائطا ورائه النار الموقدة ويرش على سطح بيت فيه الشرار المشوشة، ويقعد تحت قول الاول

خليلي دوايتما ظاهرا		فمن ذا يداوي جوى باطنا	

وكيف تقطع مادة نار تطفى عن ظاهر الجسد، وهي تتوقد في باطن الكبد، وكيف يزول داء سمه مكايله، وتريا قه موازينه، وكيف يصح جسم حميته دواؤه، وغذاؤه داؤه، وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم، او يفي صغير البناء بكبير الهدم، وكيف يرجو الشفاء من لا يضبط شهوته، ولا يملك يده ولا يما جر حبيبه وطعامه وشرابه، حتى لا يراها الا خلسة، ولا يذوق منها الا بلغة، اترى لسيدك ان يصبر على الجوع مع مرارته، وعلى العطش مع حرارته، وان يقتصر من الطعام على ما يكون في اوسط طبقات الرطوبة وفي اعدل موازين البرودة، ولا بد من هجر اللحم والفاكهة ولا سبيل الى اطرافه فاما البقول فيجب ان لا ترى ولو في المنام، ولا تمس ولو بالاوهام، والسمك وما ناسبه بلية، واللبن وما خرج منه منية حتى اذا حس في معدته بالخلاء، ووقف من طبيعته على الصفاء، ومن اخلاط جسمه بالاعتدال والاستواء، استخار الله تعالى وشرب شربة قوية تكنس فضول السوداء، وتخرج خبايا الصفراء، وتقمع سلطان البلغم، وتصفي كدورة الدم، فاذا انجلى عنه خمار ضعفها، وتقشعت غيابة سكرها امدها بفصاد يختص به الاكحل فانه نهر العروق، والطريق الذي يفضي منه الى

كل طريق تصعد اليه السفلى وتنزل عليه العلياء وتلقى عليه الاولى والاخرى
فاذا فرغ منه، وخرج باذن الله تعالى سليما عنه، وعلم انه لم يبق من العارض
الا هباؤه، ومن الخوف الا زبده وجفاؤه، يعالج حينئذ باللطوخ التى تغسل
ظاهر الجسم، ويجلو صدأ السقم، ولا ينسين الاستكثار من الغسل و
الاغتسال، ومباشرة الماء الحار على كل حال فان الجرب فى حيز الحرارة، كما
ان الماء فى حيز البرودة، والبارد اذا القى الحار اطفى بعضه، وان لم يقطع
اصله، والضد اذا زاحم الضد وهن سلطانه، وان لم يهدم اركانه، وملاك
الامر الحمية فانه لا يكون قوى الحمية الا من كان قوى الحمية، ومن غلبت شهوته
على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية، وانخلع عن ربقة الانسانية، وحق على
العاقل ان يأكل ليعيش لا يعيش ليأكل، وكفى بالمرء عارا ان يكون صريع ما كله
وقتيل انامله، وان يجنى ببعضه على كله، ويعين فرعه على اصله، فكم من
لقمة اتلفت نفس حر، وكم من اكلة منعت اكلات دهر، وكم من حلاوة تحتها
مرارة الموت، وكم من عذوبة خلفها بشاعة الفوت وكم من شهوة ذهبت
بنفس لا تقوى لها العساكر، وقطعت جسدا كانت تنبو عنه السيوف البواتر،
وهدمت عمرا هدمت بناء، وخربت بخرابه بيوت بل امصارا، والعلل
كلها وان لم يشملها اسم، ويجمعها حكم، فهى متباينة الاقدار، متفاوتة المقدار
متخالفة الطبقات فى باب النقيصة والعيار، فعلة العشق دليل على لطف الغريزة
والتوحم عن الرقة الروحانية، وعن النفس الخاصة الانسانية، وعلة النقرس
على المنع والقعود، وعلى قلة تجشم الهبوط والصعود، وعلى ارصاحبها مخدوم
مكفى او ملك حظى، وعلة الجرب دليل على تضييع واجب النفس من التعهد
وعلى التفريط فى العلاج والتفقد تنطق بان صاحبها ضعيف المنة فى التوقى
اسير فى يد الحرص والتشهى غاش لنفسه، قليل البقيا على روحه، و
كيف يحفظ اصدقائه، من لا يحفظ اعضائه، وكيف يبقى على غيره، من لا يبقى
على نفسه، وكيف يؤتمن على من لا يتمارين عنه من لا يؤتمن على بعض منه، وهذه
علة تكسب صاحبها خزيا وحياء، وتورثه خجلا واسترخاء، ينظر الى

الناس بعين المريب، ويستر عنهم كتسر المعيب تنفر عنه الطباع وتستقذره
النفوس، وتنبو عن مواكلته العيون، واقل ما يصيبه انه يحرم آلة المطاعم وهى بداءة
والة اللقاء والزيارة وهى رجلاه ولو لم يكن من قوائم قوائم، ومن عجيب هباتها
الا انها تشيخ الفتيان، وتمسخ الانسان، وتجعله اميا بعد ان كان غير امى، و
اعجميا وليس بالعجمى، تنفر عن نفسه نفسه، وتهرب من فراشه عرسه، ويتباعد
عنه اقرب الناس منه لقد كانت جديرة ان يحتشد لدوائها، وتبذل الرغائب فى اقتنائها
ثم هى ربع من رباع الخذلان، وقسم من اقسام الحرمان، قال الشاعر

اعاذك الله من اشياء اربعة	الموت والعشق والافلاس والجرب

وما ظن سيدى بداء قد سارت به الامثال، وقيلت فيه دون تسابى الادواء
الاقوال، قال رؤبة وقد ذكر علة، هى اعدى من الجرب، عند العرب

وقال ابو تمام

لما رأيت اختها بالامس قد خربت	كان الخراب لها اعدى من الجرب

وقال لبيد

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم	وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فجعله راس الادواء، ووصفه بانه غاية البلاء، وانما ذكرت فيه ما
ذكرت لازيد سيدى فيه فى الهرب منه رغبة، وفى الصبر عليه زهادة،
من الله تعالى على سيدنا بالشفاء، وجعل عهده بهذا الداء، آخر عهده بالادواء
انه طبيب الاطباء، وخالق الداء والدواء، وكاشف البلاء

وله الى قاضى الرى ابى الحسن الهمدانى

قد بلات مسمع قاضى القضاة ايده الله تعالى بكتبى اليه فى الحاجات وانى لاعلم
انى قد دللت عليه حتى املك، واوجفت حتى احفت، ولكنى اتطير بنعمة الله
تعالى عليه من ان اعرضها لليأس منها، وانسى جوابها بورود النار عنها، والسلام

وله الى ابى المعالى وزير صاحب الجبل

وصل كتاب الشيخ بعد ان احتلمت به وسنان، وهذيت بذكره يقظان، فلما رايته خررت له ساجدا، وشكرت الله تعالى باديا وعائدا، والحمد لله تعالى الذى اراني محنة الشيخ قد ادبرت بقفا مبتور، ودولته قد اقبلت بوجه مسرور، واذا ايام سعده على ايام نحسه، وابعد ما بين الحوادث وبين نفسه، وجعل يومه خيرا من امسه، وشيء من المحنة كثرة الشامتين وخير من انكشافها كثرة الشاكرين، فان الذى يثمت بالناس في وقت الرحمة لئيم، وان الذى يثبت الناس على وده بعد العزل لكريم، والشيخ بحمد الله تعالى ومنه لما امتحن انطق الله تعالى بالدعاء له السنة، وابكى بالشفقة عليه اعينا، لا زال البكاء بعد هذا مقصورا على عيون اعداءه فان اعداء الفاضل اعداء فضله واضداده اضداد فعله، وكل امرئ صديق مثاله وشكله

وله الى سعيد بن سمكة

نظرت الى ذنبي الذى استحققت به الهجران، وتقصيت طرق افعالي لاقف منها على الفعل الذى اوجب الحرمان، فوجدت نفسي قد كلفت الشيخ حوائج وحملت اليه بالغرائر الرسائل والسفاتج، ولو تركت مكاتبتي الى الشيخ نقية الاطراف من ضار السؤال خفيفة الاكتاف من ثقل الادلال لما تجلى على بالمقال من لا يبخل على بالمال، وضايقني في العرض اليسير من لا يضايق في الجوهر الكثير، لينوني الشيخ ايده الله تعالى من قلبه حيث انزلتني الثقة به وليضعني من نفسه بحيث وضعني الود منه، وليعلم اني سيف الذى لا يفله طول الضرب ولا يمله مراس الحرب ولسانه الذى يذب عنه في الملا، ويدعوله في الخلا، واخوه الذى ان لم تصرفه اخوة الولاد، صرفته اخوة الوداد، ويجاوز ذلك الى الممازجة والاتحاد، فلان قد استشارني في مشايخ تلك الحضرة فعرفته انهم بساط الشيخ صدره وافق هو بدره، وان ما تفرق فيهم من الفضل ففيه متجمع، وعنه متفرع

وله الى ابي نصر الميكالي يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته

	ابلغ قتادة غير سائله		جزل العطاء وعاجل الشكم
	انى شكرتك للعشيرة اذ		جائت اليك بوقه العظم

الحمد لله تعالى بقاء الشيخ لذاتها حسنة، كما ان المذمة لنفسها قبيحة منقصة، والمحسن الى الناس كلهم حبيب، ومن القلوب كلها قريب يمدحونه وان لم يحسن اليهم، ويشكرونه وان لم يفضل عليهم، كما ان المسيء في النفوس صغير وان كثر مالا وحالا، وقبيح وان حسن زينا وجمالا، على هذا اسست البنية، وعليه وضعت الفطرة، وفيه اتفقت الخاصة والعامة، ثم ان الاحسان وان كان كله حسنا على طبقات، كما ان الاساءة سيئة وان كانت كلها على درجات، فمن صاب بالاحسان بقعة لا يخلف شجرها، ولا يمر ثمرها واسداه الى كريم يرب الصنيعة بلسانه، ويخرج الاحسان في موضع استحسانه فقد سددت رميته، واصيبت رميته، وزكا صنعه، ونما ريعه، وما اعرفنا هل بيت احسن لموضع الصنائع ارتيادا، واجود لاهلها انتقادا، واصوب لها اصدارا وايرادا، من اهل بيت الشيخ ابقى الله تعالى مشايخهم وشبانهم وجمل بهم مكانهم وزمانهم، والشيخ بحمد الله تعالى على سبيلهم نهج وعلى منوالهم نسج، فصنائعه في قوالب الحمد والشكر، وعلى طريق الاجر والذخر، لا يقع الا بين الشرف والثواب، ولا يوجد الا بين العلوم والآداب فهو كالفل الكريمة لا يمزوجها حتى يستكرم صهرا، او يحكم مهرا، او كباقع الجوهرة النفيسة لا يبزرها حتى يرى ثمنا، او يأمن غبنا، والجواد محتكر، لا محتكر، والكريم تاجر جمال، وان لم يكن تاجر مال والحر وقاية الحر من قفره، وسلاحه على دهره ولله تعالى بقايا من عباده في بلاده، خلقهم ليعيش بهم العاسر، ويشد بازرهم الفاقر، ويحيي بحياتهم المعالي والمآثر، فهم ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت، ومعرض الايام والليالي اذا احشدت، بلغني ما صنعه الشيخ مع فلان فما استكثرته قياسا على قدره العظيم وبره الجسيم ولم اتعجب من ولد تقبل قبلة الوالد، ومن طريف نازع التالد ومن غصن من اغصان الشرف، نما على عرقه في السلف، ومن نفس رضعت ثدي المكارم

وربيت فى حجر الاكارم فجرت على سنن اوائلها، واحيت فضائلهم بفضائلها، وانما تعجبت من حسن ما تحرى الشيخ لمعروفه وارتاد، ومن صواب ما عزا واراد فما اكثر من اخطأ بصنعه طريق المصنع، وخالف بزرعه موضع المزرع، وما اكثر من يلد معروفه فلا ينجب مما ولد، ولا يبلغ به صاحب المقصد، وهذا الفقيه بين نفس مقبلة، ودولة مقتبلة، يرمى به كماله ورآه ميلاده، ويسبق فضله غايات آبائه وجداده، وللدهر فيه مقاصد وللايام فيه مواعد والله تعالى لطائف سيبلغ الكتاب منها اجله، ويكمل الاقبال فى تمامها عمله، والحمد لله تعالى الذى جعل الشيخ من ابى عذره اصطناعه، واول من بسطت يده ومد باعه والحمد لله تعالى الذى جعلهم الشبان مصروفة الى افتراع ابكار الجوارى وهمة الشيخ مقصورة على افتراع ابكار المعالى فالمصطنع فى الرؤساء والامراء كالمصطنع فى العلماء والفقهاء فسبحان من وفق بين الشكلين، وزاوج بين المثلين، وجعل الصنيعة غضة طرية من جانبين، وصيرها شابة من النشأتين هذا وقد نسج الشيخ الفقيه من شكر الشيخ طرازا لا يبلى، واوقد من ذكره شهابا لا يخفى، فلأ بقوله الاسماع والنواظر بل القلوب والخواطر، بل الكتب والدفاتر، حتى لم يبق رئيس الا تمنى لو انه كان المصطنع، كما لم يبق فقيه الا تمنى انه كان المصطنع، وحتى قلنا

ما لقينا من احمد بن على		ترك الناس كلهم فقهاء	
ما لقينا من جود فضل بن يحيى		ترك الناس كلهم شعراء	

لا زال الشيخ يستولى على امد كل غاية بفعله وقوله، وينفرد بجمى كل مكرمة بفضله وطوله، ولا زال يستبضع اليه الشكر من البلدان فيثنى به اغلى الاثمان

وكتب الى حاكم سرخس وقد اهدى اليه كتابا طلبه منه

تأخرت حاجة الحاكم وختم الله تعالى دولته الحمد بقضائها، ونبت عن طالبها فى اقتضائها، فكنت الخصم والحاكم، والمحاكم والمحاكم، وما ابطأ من اجدى ولا اسرع من اكدى ولو ثبت نسخة مقروءة قد عمل فيها القلم

والبنان، واثر فيها التبيين والبيان، وسودت حواشيها، ولاحت مياسم التصحيح فيها، ولم تكن فى حسن خط كاتبها، ولا جودة تجليد صاحبها، ولا استقامة حروفها، ولا تساوى جوانبها وحروفها، بعد ان سلمت من التحريف والتصحيف، ومن سقم الاشكال والحروف فانما الكتاب لحسن ظاهر السقيم باطنا مثل المرأة الحسناء العاهرة يسرك خلقها، ويسوءك خلقها، ومثل الروضة الغناء الوبيئة تحمدها العين ويذمها البطن وكانت تقع بيدى النسخة الاولى التى هى مائدة منقوشة ليس عليها دسم، وكيس مصرور ليس فيه درهم، وتقع الثانية خلافها كالعجوز المنتقبة، وكالقفل على الخربة، فانما هى كسوة عامى عجفى او مقبرة يمودى غنى، وتقع فى يدى الثالثة وهى اسم ولا جسم، ودعوى ولا علم، قد قرئت على متعالم غير عالم لا يدرى، ولا يدرى انه لا يدرى فراؤها زاء، وميمها حاء، وطاؤها طاء، والنظر فيها يعمى، والاستدلال بها يعمى، ومن آفة العلم خيانة الوارقين، وتخلف المعلمين كما ان من آفات الدين فسق المتكلمين وجمل المتعبدين، وكما ان من آفات الدنيا كثرة العامة وقلة الخاصة، وكما ان من آفات الكرم ان الجود ضد المنع، والبخل سبب الجمع، وان المال فى يدى البخلاء دون يدى الاسخياء، وكما ان من آفات الحلم ان الحليم مامون الجنبة، وان السفيه منيع الحوزة، قاعد فى خفارة البذاء والسفاهة وكما ان من آفات المال اذا صنته فقد عرضته للفساد، واذا ابرزته عرضته للنفاد، وكما ان من آفات الشكر انك اذا قصرت عن غايته ذممت من اصطنعك، واذا بلغتها وابلغت فيها وهمت من يسمعك، وكما ان من آفات الشراب انك اذا اقللت منه حاربت شهوتك، ولم تقض نهمتك، واذا استكثرت اعترضت للاثم والعار، وابرزت صفحتك للالم والخمار، وكما ان من آفات المماليك انك ان اباسطتهم افسدت آدابهم واذهانهم، واذا قبضتهم افسدت وجوههم والوانهم، وكما ان من آفات الاصدقاء انك اذا استكثرت منهم لزمتك مواجبهم وثقلت عليك نوائبهم، وكسبت الاعداء من الاصدقاء كما يكتسب الداء من الغذاء، وكما ان من آفات المغنين ان الوسط منهم يميت الطرب والحاذق ينسى الادب

وكما ان من آفات النساء انهن اذا اكرمن قبحن خلقهن واذا اهن فسد خلقهن
فلما تمادت مدة الاكداء ولم اصل الى ما يظلم حلمي في موادي بهبة ولا شراء
نزلت على حكم الامكان وجريت في التجوز على رسم الزمان وحملت نسختان لم
تكن بتلك السليمة فليست بتلك السقيمة وانا اعتذر اليوم منها قولا و
غدا فعلا واحصل اخرى ولو هو وحي ومهجتي وبدنياي وآخرتي

وكتب الى ابي بكر بن سمرد

انا مترجح بين ان اقر للشيخ بذنبي واخبره بعيبي وبين ان اسكت سكتة
متجاهل واصفح صفحة متغافل وان كنت اعلم ان العفو الى المقر اسرع منه
الى المصر وان وضع الذنوب لا يغسله الا الاقرار ولا يزيله الا الاعتذار و
قد كان في حكم ما اولانيه من نعمه التي يفنى الابد ولا تفنى ويخفى الصباح ولا
تخفى ويبلى الجديدان ولا تبلى وينسى القوم ولا تنسى ان يكون لي عنده
كل يوم فتح قاصد بل رسول وارد بل كان ينبغي ان اجعل رسولي اليه
الريح فانها اسرع واكتب اليه في الفلك فانه اوسع ولا تطلع شمس الا وجنبها
مني اليه كتاب اما ابتداء واما جواب ولكن ابن آدم للنعمة كفور وبالعهد غدور
غافل عن غده ناس لامسه من تهن بيومه وانى لاحسد كتابي اذا ورد ذلك الباب
ونزل ذلك الجناب واود لو كنت سطرا فيه او حاشية من حواشيه وللايام عندك
اذا وصلتني بالشيخ نعمة لا اسع عنها الثواب ولها على اذا ابعدتني جناية لا
اقدر على كفائها من العقاب وقد كنت اعيب من الشعراء من مدح انسانا
ثم هجاه وانسبه الى ضعف المسكة والى وهن الغريزة وانحلال العقدة حتى
بليت الآن بهجاء الدهر وطالما مدحته ودفعت الحر به وطالما صالحته
قد تعرفت للشيخ عوارف حيرتني بين طيها ونشرها وزحمت بين تركها و
ذكرها فان ذكرتها قصر عنان الطاقة عن مقتضى حكم النية وان تركت
ذكرها لاحت على فعلي بسمة الكفران وعرفت بسوء مجازاة الاحسان وحرمت
نفسي ثمرة اللسان فقد اسكت الشيخ لساني من حيث انطقه وحصر

بناني من حيث اطلقه وعلى ذلك فقد اسمعت شكري كل من له اذن و
اريت اثر صنيعته كل من له عين حتى لقد حسدني عليه الاقارب وتعرف
الي فيه الاجانب وهابني ورجاني منذ عرفته الحاضر والغائب ثم لم
يرض ان احسن الي حتى احسن الي من يرسل اليه بكتبي فاضاف النعمة
الاخرى الى الاولى وعقب الصنيعة الكبرى بالصغرى على ان اصغر صنائعه كبير
كما ان اكبر شكري له صغير ولكن الكبير من الكبير يصغر كما ان الصغير من
الصغير يكبر فكيف هلا مني الشيخ لاحسانه ثانيا ولم اقض حق احسانه باديا
وكيف حملني النقل وقد تقاعدت عن اداء الفرض وجمع على الكل وقد ضعفت
عن البعض وكيف نبع على يده من كل منبع وطلع الى السعد به من كل مطلع
ودب الى احسانه من كل مكمن وكان سبيلي ان يستوفي على قبل ان اوفي وان
احاسب على المحاصل الاول قبل ان يثني وان اعامل على قول الاول

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن	قضاء ولكن كان عزما على عزم

وكتب الى تلميذ له عن كتاب وقصيدة

وردت القصيدة الغراء بل الدرة العذراء بل الهدية العظيمة بل الشمسة
الكريمة بل اليا قوتة اليتيمة بل فريدة الدر بل غرة الغر بل شمس الكرام
وغريبة الايام بل الخطاب المجزل والمنطق الفصل بل الحسن والاحسان بل
التبيين والبيان بل واحدة القصائد وخاتمة القلائد وآبدة الاوابد بل اميرة
النظم والنثر بل ملكة الرجز والشعر بل حسنة الالسن ونزهة القلوب والاعين
بل بستان الافكار وجلاء الابصار بل روح المعاني والمباني وهيكل الاوزان
والقوافي بل عقيلة الدهر ونادرة العصر وثمرة العمر وبيضة العقر و
ترياق القلب بل ملبسي تاج الفخر ومورثي كنز الذخر لا بل ليلة القدر
فانها خير من الف شهر وهذه خير من الف بيت شعر ولم اعن بيت الموزون
انما اردت البيت المسكون ففتحت كتابها عن النور المنثور وعن الديباج المنشور
وفليت معانيها عن روح البديع وقلبه ومبانيها والفاظها عن جيب الفصيح

ولبه، وددت طرفي منها في روضة سقاها اللسان وحماها البنان ونافس عليها زمانها الازمان، ولم يبق فيها بيت الا رويته، ولا فضل الا حكيته، ولا لفظ الا كررته وثنيته، ووددت لو كانت اعضائي كلها للنظر اجفانا، ولاستماعها آذانا، ولثاتها ولها وجسمها ايديا وبنانا، بل لو كان الحرف منها سطراء والكلمة من كلماتها عشراء فيمتد نفس استيفائها رويةً ورواية، ويعظم حجم استقصائها فهما ودرايه، وغرت عليها من هذا الزمان الذي لا يستحق ان يكون له ولد نجيب ولا يقتضي ان ينبغ فيه عالم ولا اديب ثم رجعت الى الحقائق فعلمت ان الانسان ابن امه وابيه، لا ابن ايامه ولياليه، وان قول الناس ابناء الدهر لفظ مجازي ومعنى اصطلاحي، وقد تخلفني فيها من هذا الفضل ما ان طولبت بجدواه، لم اخرج من عهدة دعواه، فان نكن تلك شهادة منك اسلفتنيها، وسلعة جازفت لي فيها، فقد يسامح الكريم اخاه، ويحابي الحر من بايعه وشاراه، وان كنت تظن في هذا الفضل فاسال الله تعالى ان لا يجمع بيننا فانك ان شاهدتني رجعت عن ظنك، وددت بعينك حكم اذنك، وانا المعيد وان لم يكن لي في العرب نسب ولا بيني وبين معد قرابة ولا سبب

وكتب الى ابي الفرج خليفة الوزير بنيسابور

فهمت ما ذكره الشيخ في كتابه، وجعلت قبولي عظته بدلا من جوابه، ذكر الشيخ اني لو اقتصرت على خدمة الامير، وعلى مصادمة الوزير، لمالت الصروف عن جانبي ناكبة، وولت الخطوب عني هاربة، ولو لم انتجع غير نيسابور بلدا ولا غير من بها احدا لعشت معهم عيشة رغدا، وجواب الشيخ تحت قول الاول

فما لخيري الا بالشر فاطلب مودتي	واي فتى يقتال منه الترهب

مثلي ايد الله تعالى الشيخ لا يحمل على المخدمة بالتقريع والتثريب ولا بالتهديد والترهيب ولا تحتلب اخلاف مودته بالازلال، ولا يدرك مصون ما عنده بالامتهان والابتذال، وانما يجلس مثلي بالرغبة، ويقيد بقيد من الذهب والفضة ويرضى منه بالحياء والوفاء كفيلين، وبالشكر والتذمم ضمينين، وانما الخوز جاجر يقيق

ثمين اذا رفق به واستعمل في موضع مثله زين المجالس وامتع المجالس، وكان غاليا الا انه جمال وجمالا الا انه مال واذا خرق به انكسر فعقر الكاسر، واتعب الجابر، وغم السامع والناظر، وكان ينبغي لاصحابنا ان يقتنصوني بحبالة الاحسان والبر، ويتبطوني بحبال الحفاظ والشكر، ويعلموا ان البازي العتيق لا يصبر على الاضاعة، ولا يقيم في بيت المجاعة، ومن اصطنع اليوم شكر غدا، ومن وجد الاحسان قيدا تقيد، ولكن كيف يصون الادب غرم، ولم يؤد عنه الى المؤدب درهم، وكيف يخالف الانسان مقتضى نسبته ويطيب الثمر مع خبث تربته هيهات ان الفرس الجواد يجري على عتقه، وان الفرع ينزع الى عرقه

وان مقامي حيث خيمت محنة	تدل على فهم الكرام الاجاود

ولكن جزى الله اصحابنا عن تعليمهم خيرا، فقد تحولت شكايتي لهم شكرا وذلك انهم عرفوني مقادير الكرام وقاموا في تاديبي مقام تصاريف الايام ودبغتني بهم التجارب وراضتني بايديهم النوائب، ولاحت لي ببركاتهم الغيوب العواقب فانا تلميذهم في اثمام الايام، وخريجهم في معرفة احوال الانام، والمستفيد فيهم وبهم معرفة سياقة ما بين الفعل والكلام فكيف لا اشكر قوما افادوني عقلا، وان لم يفيدوني نيلا، وزادوني دربا، وان لم يزيدوني شبابا، وعهدي وانا بالعراق مفيد، فاصبحت وانا بخراسان مستفيد، وهذه الزيارة من عطايا هذه الحضرة وهذه النادرة التي توجهت الى من بركات هذه الدولة والسلك

وكتب الى كثير بن احمد الماهر بالري

ورد على كتاب الشيخ وفهمته، والمواعيد التي اراد الشيخ ان يسحرني بوقاها، ويخدعني عن بواطن عيوبها بظواهر حلاها فقد طلبت عنها ثوابا، ولها جوابا، فلم اجد غير قول عبيد

الا اعرفنك بعد الموت تندبني	وفي حياتي ما زودتني زادا

انا ايد الله الشيخ رجل قد اخترت نيسابور دارا، واخترت سلطانها من الملوك جارا حتى جعلتها بيتا اعمره، والدنيا جسرا اعبره، لا من بما على مالي

وولدى بعد مماتى ولا اخاف بهما على روحى وعرضى فى حياتى ولو علمت انى سام خدمة من ليس له اثر علىّ واصادر على نعمة لم تصل الىّ نفادقت دار الهوان، ولكان جناحى وافر الطيران، ذكرانه تلطف بالامير حتى سل منه السخيمة، وحمله على ان اغفر الجريمة، وباعرفت لى جرما يحتمل معذرة، او ذنبا يستوجب مغفرة، فان كان الامير غفر لى ما سأجنيه من السيئات فلا شكرنى على ما سآتيه من الحسنات وكيف استخار السلف فيما يتعلق بالعقوبة ولم يستخره فيما يتعلق بالمثوبة، فان كان مراده ان اقر على نفسى بذنب ما آتيته والتزم بشكر جميل ما اوتيته، فهذه صدقة قد سامنيها والصدقة لا تحل من الفقراء الى الاغنياء، ولا يحسن بالامراء قبولها من الشعراء، وان كان يريد ان يتوصل بهذا الى اجتناء ثمرات اللسان، ويجبان يسير ذكره فى اثناء هذه المعانى الحسان

فالناس اكيس من ان يحمدوا رجلا	ما لم يروا عنده آثار احسان

وانما لسانى خادم من خدم فؤادى، ومتصرف من متصرفى مرادى فكيف يفتات على بشكر غيره، وكيف يجود بما هو متصرف فيه لغيره، وانما لسان الشاعر روضة لا تسلف الزهر، حتى تستسلف المطر، ولا تضحك فى وجه السماء الا بعد ان تستوفى حقها من الانداء وان كان الشيخ يرضى بعد هذا كله بظاهر اعتذارى فقد خرجت اليه من عهدة اضمارى وانا اقود بذنوب العالمين حتى بذنب بليس فى الاولين وحتى بذنب هاروت وماروت فى المتقدمين والتزم كل المعايب حتى معايب بنى اميه ومعايب بغلة ابى لامه واقول قد بنى الليل والنهار، وثقفتنى الاحوال الاطوار، فابصرت قصدك وتبينت رشدك فليلبسنى الامير رضاه عنى ثوب العزه، كما البسنى بغضبه على ثوب الذله وليجعلنى عبدا اعوج فقوم، وجهل فعلم، فلما عرف نفسه، وتلافى بيومه امسه رد عليه مكانه، ورجع اليه زمانه، فادعى ان النابغة الذبيانى ما اعتذر الا عنى ولم يك لسانه الا بضعة منى، وانتحل قول على بن الجهم

ليس عندى وان تغضبت الا	طاعة حرة وقلب سليم
وانتظار الرضا فان رضا السا	دات عفو وعتبهم تقويم

وكتب

وكتب الى رئيس قم

بسطنى الشيخ ثم انقبض عنى ودعانى ثم هرب منى وكان وليس له مثل الامكن خطب الحر كريمته فلما زفها اليه اغلق عنها بابه وارخى دونها حجابه فعرض الصهر للاهنة والعروس للتهمة ولعلى اتيت منى واصبت الشيخ بعينى لما رأيته قد احيا موتانا من الود، وسبق الى باكورة من كرم العهد، وقد ثبت من ان انظر الى اصدقائى بعين العجب بهم، وارمقهم بما يدعونى الى الحب لهم، لا بل سأتعامى عن محاسنهم ان رأيتها، واتغافى عنها وان دريتها، ان شاء الله تعالى

وكتب الى مؤدب امير خورستان

ذكر الشيخ من غمه بغيبتى فيما كان، وفرحه باوبتى الآن، ما قلبى عليه شاهد وعلى الشهادة زائد لانه لا يمين على شاهد، وانا احلف على هذه الشهادة فاكون قد وفيت بما وعدته من الزياده، ولقد رأيت الاخوان غير شيخى وهو تهم خلق يبيعونه ممن اشتراه، ويعرضونه على كل من رآه، ومهر هذه الحال قلبى فقد حتوى عليه، ووكد فقد تمسك بطرفيه، والاحرار تستعبد بالاحسان، من حيث تستعبد المماليك باغلى الاثمان، على ان المملوك يعتق بلفظة ويباع فى صفقة ويزول عنه الرق فى لحظة والحر لا تزيده الايام الا رقا لمن اصطنعه، وتواضعا لمن رفعه، ولقد عجبت من محاسبة الشيخ نفسه عن اصدقائه ومؤاخذته قلبه بشرائط وفائه، مع انه فى زمان قد مرجت فيه عهود الاخوان واعطوا واخذوا اموالهم بالميزان وما لوامع الرجحان على النقصان ورضوا من القلب باللسان ومن الغيب بالعيان واذا تبين التاجر كساد السلعة، تجوز فى الصنعة، واذا قل المتاع، فتر البياع، والحمد لله الذى رزقنى من شيخى صديقا يتجمل بقربه، ويوثق بغيبه، ولا يخاف الغير من لسانه ويده، فلا سلبت هذه النعمى ولا سبت على هذه الموهبة العظمى فان الايام فلما رأت بيدك علقا نفيسا الا سلبتنى وقلما اعطتنى ما احب شيئا الا احاسبتنى

حتى انى لو صادفت الهواء لجعلته حصنا لا يطال جانبه ولو اختصصت بالماء
لصيرته منبعا لا يرد وشاربه ما الناس فما احصى فيهم عددا ممن ابتعته فباعنى وحفظته
فاضاعنى واستعنت به على الزمان فاعانه على واستظهرت بمكانه على الاعداء فكان
سقدمهم الى اللئام نقق سوق الوفا فقد كسدت واصلح قلوب الناس فقد فسدت
ولا تمتنى حتى يبور الجمل كما بار العقل وتموت النقص كما مات الفضل

وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

بشرنى كتاب الشيخ من سلامته ببشارة صغرت عندى البشائر وفاتت
النظائر وملأت المسامع والنواظر فلا زالت املاد صنع الله تعالى له
متناسقة والايام له بما يهوى موافقة وجعل الله تعالى تلك العثرة غلطة
تاب الدهر منها وخطيئة انكرها ورجع عنها فان الشيخ يحسن فى لباس
النعمة ويقبح فى زى المحنة وان غيره اذا لبس النعمة كانت عليه اجنبية
ويعلم انه اخذها عارية اليسير الذى رسم لى الشيخ به حملت اليه جملته
ولو اخذنى فيما اخذه منى لاستقللته له واستصغرته دونه والذى رجع
اليه فهو مقسوم بينه وبينى فان اذن فهو له دونى حملت الى الخزانة نسخة رسائلى
فنصفها مصحف ونصفها محرف والكلام الوسط بالخط الوسط كالعجوز السوداء
تجلى على العيون فيضاف قبح الجلوة الى قبح الكسوة وتغطى على ظلمة الدواء
ظلمة الوعاء وتتضاعف لسماجة ضعفين وتفذى العين من لونين
فيصير القلب سير العين بلغنى ان الشيخ قد اغتم لما ندب لعمل بصغرية
ويكبر عنه فانكرت ذلك من فعله وكتبته فى هفوات عقله العمل ايد الله تعالى
الشيخ ثوب يحسن بصاحبه ومركب يجل براكبه فالصغير منه بالكبير كبير
والكبير منه بالصغير صغير وكانى بالتمييز وقد نبع منه نابع وبدولة
الانتقاد وقد طلع من سعودها طالع وبى جالات الحضرة وقد تذاكروا
مظان الآجال ومساقط الرجال فعثروا باسم الشيخ فرووا عليه رتبته
وقوموه قيمته وجاء الدهر يعترف بما اقترف ويأنف خلاف ما سلف وانما

خدمة السلطان نار بينما هى شوار اذ ملأت دارا واحرقت اوقارا و
صوت الليل نهارا ولا صغير من الولاية كالا كبير من العطلة والسلام

وكتب الى جماعة الشيعة بنيشابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم اليها

سمعت ارشد الله سعيكم وجمع على التقوى امركم ما تكلم به السلطان لذى
لا يتحامل الا على العدل ولا يميل الا على جانب الفضل ولا يبالى بان يمزق
دينه اذا رفا دنياه ولا يفكر فى ان لا يقدم رضا الله اذا وجد رضاه و
انتم ونحن اصلحنا الله واياكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخرنا للدار
الاخرى ورغب بنا عن ثواب العاجل فاعد لنا ثواب الآجل وقسمنا قسمين
قسما مات شهيدا وقسما عاش شريدا فالحى يحسد الميت على ما صار اليه
ولا يرغب بنفسه عما جرى اليه قال امير المؤمنين ويعسوب الدين عليه
السلام المحن الى شيعتنا اسرع من الماء الى الحدور وهذه مقالة استست
على المحن وولد اهلها فى طالع الهزاهز والفتن فحياة اهلها نغص و
قلوبهم حشوها غصص والايام عليهم متحاملة والدنيا عنهم مائلة فاذا
كنا شيعة ائمتنا فى الفرائض والسنن ومتبعى آثارهم فى كل قبيح وحسن
فينبغى ان نتبع آثارهم فى المحن غضبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها
وعلى آلها ميراث ابيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة وآخرا مير
المؤمنين عن الخلافة وسم الحسن رضى الله عنه سرا وقتل اخوه كرم الله
وجهه جهرا وصلب زيد بن على بالكناسة وقطع رأس زيد بن على فى
المعركة وقتل ابناه محمد وابراهيم على يد عيسى بن موسى العباسى ومات
موسى ابن جعفر فى حبس هرون وسم على ابن موسى بيد المأمون وهزم
ادريس بفخ حتى وقع الى الاندلس فريدا ومات عيسى بن زيد طريدا
شريدا وقتل يحيى بن عبد الله بعد الامان والايمان وبعد تاكيد العهود و
الضمان هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان وغير قتل محمد بن
زيد والحسن ابن القاسم الداعى على ايدى آل ساسان وغير ما صنعه ابو الساج

كذ أفى علوية المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز الى سامرا وهذا
بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلى لابن خزيم بن على حين اخذه بابويه وقد ستر نفسه
ووارى شخصه، يصانع عن حياته، ويدافع عن فاته، ولا كما فعله الحسين
بن سميعيل المصعبى بيحيى بن عمر الزيدى خاصة، وما فعله مزاحم بن خاقان
بعلوية الكوفة كافة وبحسبكم انه ليست فى بيضة الاسلام بلدة الا وفيها لقتيل طالبى
ترة تشارك فى قتلهم الاموى والعباسى واطبق عليهم العدنانى والقحطانى

فليس حى من الاحياء نعرفه	من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
الا وهم شركاء فى دمائهم	كما تشارك ايسار على جزر

فادتهم الحمية الى المنية، وكرهوا عيش الذلة، فاقتوا موت العزة ووثقوا
بما لهم فى الدار الباقية، فسخت نفوسهم عن هذه الفانية، ثم لم يشعروا كاسا
من الموت الا ثنى بها شيعتهم واولياؤهم، ولا قاسوا لونا من الشدائد الا
قاساه انصارهم واتباعهم، داس عثمان بطن عمار بن ياسر بالمدينة
ونفى اباذر الغفارى الى الربذة واشخص عامر بن عبد قيس التميمى وغرب
الاشتر النخعى وعدى ابن حاتم الطائى وسير عمر بن زرارة الى الشام و
نفى كميل بن زياد الى العراق وجفا ابى بن كعب واقصاه، وعادى محمد بن
حذيفة وناواه، وعمل فى دم محمد بن سالم ما عمل، وفعل بعمرو بن الحمق ذى
الخطبة ما فعل واتبعه فى سيرته بنو امية يقتلون من جاريهم، و
يغدرون بمن سالمهم، لا يحفلون المهاجرى ولا يصونون الانصارى
ولا يخافون الله ولا يحتشمون الناس قد اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله
دولا، يهدمون الكعبة، ويستعبدون الصحابة، ويعطلون الصلاة
الموقوتة ويختمون اعناق الاحرار، ويسيرون فى حرم المسلمين سيرتهم
فى حرم الكفار، واذا فسق الاموى فلم يأت بالضلالة، عن كلالة، قتل
معاوية حجرا ابن عدى الكندى وعمرو بن الحمق الخزاعى بعد الايمان
المؤكدة والمواثيق المغلظة وقتل زياد بن سمية الالوف من شيعة الكوفة
وشيعة البصرة صبرا واوسعهم حبسا واسرا، حتى قبض الله معاوية

على اسوأ اعماله، وختم عمره بشر احواله، فاتبعه ابنه يجهز على جرحاه و
يقتل ابناء قتلاه، الى ان قتل هانى بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل الهاشمى
اولا وعقب بالحرث بن زياد الرياحى وبابى موسى عمرو بن فرطة الانصارى
وحبيب بن مظاهر الاسدى وسعيد بن عبد الله الحنفى ونافع بن هلال الجملى
وحنظلة بن اسعد الشامى وعابس بن ابى شبيب الشاكرى فى نيف وسبعين
من جماعة شيعة وامر بالحسين عليه السلام يوم كربلا ثانيا ثم ساط عليهم الدعى
ابن الدعى عبيد الله بن زياد يصليهم على جذوع النخل، ويقتلهم الوان القتل
حتى اجتث الله دابره ثقيل الظهر بدمائهم التى سفك عظيم التبعة بحريمهم التى
انتهك فانتهبت لنصرة اهل البيت طائفة اراد الله ان يخرجهم من عهدة ما صنعوا
ويغسل عنهم وضر ما اجترحوا فصمد واصمد الفئة الباغية، وطلبوا بدم الشهيد
الدعى ابن الزانية، لا بزيدهم قلة عددهم، وانقطاع مددهم، وكثرة سواد اهل
الكوفة بازائهم الا اقداما على القتل والقتال وسخاء بالنفوس والاموال حتى قتل
سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن نجبة الفزارى وعبد الله بن وال التميمى
فى رجال من خيار المؤمنين وعلية التابعين ومصابيح الانام وفرسان الاسلام
ثم تسلط ابن زبير على الحجاز والعراق فقتل المختار بعد ان شفى الاوتار وادرك
الثار، وافنى الاشرار، وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله ونفى خاذله
واتبعوا باعمر بن كيسان واحمر بن شميط وورقاء ابن زهير والسائب بن مالك
وعبد الله بن كامل وتلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثلة، ويقتلونهم
شر قتلة، حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد، واراح من اخيه مصعب
العباد، فقتلهما عبد الملك بن مروان كذلك تولى بعض الظالمين بعضا بما
كانوا يكسبون بعد ما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية واراد احراقه مع
عبد الله بن العباس واكثر اهل هاشم فلما حلت البلاد لآل مروان سلطوا الحجاج
على الحجازيين، ثم على العراقيين فتلعب بالهاشميين واخافهم لفاطميين و
قتل شيعة على ومحا آثار بيت النبى وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعى
واتصل البلاء مدة ملك المروانية الى الايام العباسية حتى اذا اراد الله

ان يختم عملهم باكثر آثامهم، ويجعل اعظم ذنوبهم في آخر ايامهم، بعث على بقية
الحق المهلب والدين المعطل زيد بن علي فخذل له منافقوا اهل العراق وقتله احزاب
اهل الشام وقتل معه من شيعته نصر بن خزيمة الاسدي ومعاوية بن اسحق
انصاري وجماعة من شايعه وتابعه وحتى نوجه وادناه وحتى من كله
وماشاه فلما انتهكوا ذلك الحريم واقترفوا ذلك الاثم العظيم، غضب الله عليهم
وانتزع الملك منهم فبعث عليهم ابا مجرم، لا ابا مسلم، فنظر لا نظر الله اليه
الى صلابة العلوية والى لين العباسية فترك تقاه، واتبع هواه وباع آخرته
بدنياه، وافتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي
طالب وسلط طواغيت خراسان وخوارج سجستان واكراد اصفهان على
آل ابي طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر ويطلبهم في كل سهل وجبل حتى سلط
عليه احب الناس اليه فقتله كما قتل الناس في طاعته، واخذه بما اخذ الناس في
بيعته، ولم ينفعه ان اسخط الله برضاه، وان ركب ما لا يهواه، وخلت من الدنيا فخبط فيها عسفا، وتقضى فيها جورا وحيفا، الى ان مات وقد متلأت سجونه
باهل بيت الرسالة ومعدن الطيب والطهارة قد تتبع غائبهم وتلقط حاضرهم
حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسني بالسند على يد عمر بن هشام بن عمرو
التغلبي فاظنك بمن قرب متناوله عليه، ولان مسه على يديه، وهذا قليل في جنب
ما قتله هرون منهم، وفعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسن بن علي
بفخ من موسى وما اتفق على علي بن الافطس الحسيني من هرون وما جرى على احمد بن
علي الزيدي وعلى القاسم بن علي الحسني من حبسه وعلى ابن غسان حاضر الخزاعي
حين اخذ من قبله والجملة ان هرون مات وقد حصد شجرة النبوة واقتلع غرس
الامامة وانتم اصلحكم الله اعظم نصيبا في الدين من الاعمش فقد شتموه، ومن
شريك فقد غلوه، ومن هشام بن الحكم فقد خافوه ومن علي ابن يقطين فقد
اتهموه، فاما في الصدر الاول فقد قتل زيد بن صوحان العبدي وعوف عثمان
بن حنيف الانصاري وخفي حارثة بن قدامة السعدي وجندب بن هبير الازدي و
شريح بن هانى المرادي ومالك بن كعب الارحبي ومعقل بن قيس الرياحي والحرث

الاعور

الاعور الهمداني وابو الطفيل الكناني وما فيهم الا من خرج على وجهه قتيلا او عاش في
بيته ذليلا، يسمع شتمة الوصي فلا ينكر ويرى قتله الاوصياء واولادهم فلا يغير
ولا يخفى عليكم حرج عامتهم وحيرتهم كجابر الجعفي وكوشيد الهجري وكزرارة بن
اعين وكفلان وابي فلان ليس الا انهم رحمهم الله كانوا يتولون اولياء الله ويتبرؤن
من اعداء الله، وكفى بهجر ما عظيما عندهم وعيبا كبيرا بينهم وقلع بني العباس فانك
ستجد بحمد الله تعالى مقالا، وجل في عجائبهم فانك ترى ما شئت عجبا، يحيى فيؤهم
فيفرق على الديلمي والتركي ويحمل الى المغربي والفرغاني ويموت امام من ائمة الهدى و
سيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته، ولا تحضر مقبرته ويموت ضراط
لهم اولاعب او مسخرة او ضارب فتحضر جنازته العدول والقضاء ويعمر مسجد
التعزية عنه القواد والولاة، ويسلم فيهم من يعرفونه دهريا او سوفسطائيا ولا
يتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا ومانويا ويقتلون من يعرفونه شيعيا يسفكون
دم من يسمي ابنه عليا، ولو لم يقتل من شيعة اهل البيت غير المعلى بن جيش قتيل
داود بن علي ولو لم يحبس فيهم غير ابي تراب المروزي لكان ذلك جورا لا يوارى ودناءة لا
تطفأ، وصدعا لا يلتئم وجرحا لا يلتحم، وكفاهم ان شعراء قريش قالوا في الجاهلية
اشعارا يمجون بها امير المؤمنين عليه السلام ويعارضون فيها اشعار المسلمين
فحملت اشعارهم ودونت اخبارهم ورواها الرواة مثل الواقدي ووهب بن منبه
التميمي ومثل الكلبي والشرقي بن القطامي والهيثم بن عدي ودواب بن الكناني وان
بعض شعراء الشيعة يتكلم في ذكر مناقب الوصي بل في ذكر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم فيقطع لسانه، ويمزق ديوانه كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي وكما اراد
بالكميت بن يزيد الاسدي وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري وكما مر على
دعبل بن علي الخزاعي مع رفقتهم من مروان بن ابي حفصة اليماني ومن علي
بن الجهم الشامي ليس الا لغلوهما في النصب واستيجابهما بهما مقت الرب حتى ان
هرون بن المخيزران وجعفر المتوكل على الشيطان لاعلى الرحمن كانا لا يعطيان
مالا ولا يبذلان نوالا، الا لمن شتم آل ابي طالب ونصر مذهب النواصب مثل
عبد الله بن مصعب الزبيري ووهب بن وهب البختري ومن الشعراء مثل

مروان بن ابي حفصة الاموي ومن الادباء مثل عبد الملك بن قريب الاصمعي فاما
في ايام جعفر مثل بكار بن عبد الله الزبيري وابي اليسط بن ابي الجون الاموي
وابن ابي الشوارب العيشمي ونحن ارشدكم الله قد تمسكنا بالعروة الوثقى وآثرنا
الدين على الدنيا وليس يزيدنا بصيرة زيادة من ارادفينا ولن يحل لنا عقيدة
نقصان من نقصر منا، فان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ كلمة من الله
ووصية من رسول الله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومع اليوم
غد وبعد السبت احد قال عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم صفين لو ضربونا
حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل ولقد هزم رسول الله صلى
الله عليه ثم هزم ولقد تأخر امر الاسلام ثم تقدم، الم احسب الناس ان يتركوا ان
يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولولا محنة المؤمنين وقلتهم ودولة الكافرين وكثرتهم
لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد ولما قال الله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون
ولما تبين الجزوع من الصبور، ولا عرف الشكور من الكفور ولما استحق الطيع الاجر
ولا احتقب العاصي الوزر، فان صابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه، وان رجعت
لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه، وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آلة، ولكل مقامة
مقالة، فعند المحن الصبر وعند النعم الشكر، ولقد شتم امير المؤمنين عليه السلام
على المنابر الف شهر فما شككنا في وصيته وكذب محمد صلى الله عليه وسلم بضع عشرة
سنة فما اتهمناه في نبوته، وعاش ابليس مدة تزيد على المدة فلم نرتب في لعنته، و
ابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته ودفعنا الى قتل الامام بعد الامام
والرضا بعد الرضا والامر بيّنة عندنا في صحة امامته، وكان وعد الله مفعولا وكان
امر الله قدرا مقدورا، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون، ولتعلمن نبأه بعد حين اعلموا رحمكم الله ان بني امية
الشجرة الملعونة في القرآن، واتباع الطاغوت والشيطان جهد وافي في فرجاس الوصي
واستأجروا من كذب في الاحاديث على النبي صلى الله عليه وسلم وحولوا الجوار
الى بيت المقدس عن المدينة والخلافة زعموا الى دمشق عن الكوفة وبذلوا في طمس
هذا الامر الاموال وقلدوا عليه الاعمال واصطنعوا فيه الرجال فما قدروا على

دفن حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ولا على تحريف آية
من كتاب الله تعالى ولا دس احد من اعداء الله في اولياء الله ولقد كان ينادي
على رؤسهم بفضائل العترة ويبكت بعضهم بعضا بالدليل والحجة لا ينفع في ذلك
هيبة ولا يمنع منه رغبة ولا رهبة والحق عزيز وان استذل اهله وكثير وان قل حزبه
والباطل ذليل وان رصع بالشبهة وقبح وان غطى وجهه بكل مليح

قال عبد الرحمن بن الحكم وهو من انفس بني امية

سمية امسى تسلها عدد الحصا		وبنت رسول الله ليس لها نسل	

غيره

لعن الله من يسب عليا		وحسينا من سوقه واما	

وقال ابو هبل الجمحي في حمة سلطان بني امية وولاية آل بني سفيان

تبيت السكارى من امية نوما		وبالطف قتلى ما ينام حميمها	

وقال سليمان بن قتة

وان قتيل الطف من آل هاشم		اذل رقاب المسلمين فذلت	

وقال الحكم بن زيد وهو جار خالد بن عبد الله القسري

فقل لبني امية حيث حلوا		وان خفت المهند والقطيعا	
اجاع الله من اشبعتموه		واشبع من بجوركم اجيعا	

وما هذا يا عجب من صياح شعراء بني العباس على رؤسهم بالحق وان
كرهوه وبتفضيل من نقصوه وقتلوه قال المنصور بن الزبرقان على بساط هرون

آل النبي ومن يحبهم		يتطامنون مخافة القتل	
ومن امية التوحيد في ازل		ومن النصارى واليهود وهم	

وقال دعبل بن علي وهو صنيعة بني العباس وشاعرهم

الم تراني من ثمانين حجة		اروح واغدو دائم الحسرات	
ارى فيأهم في غيرهم متقسما		وايديهم من فيئهم صفرات	

وقال علي بن العباس الرومي وهو مولى المعتصم

تاليت ان لا يبرح المرء منكم		يتل على حرا بجين فيعفجر	

كذاك بنو العباس تصبر منكم	ويصبر للسيف الكمى المدجج
لكل اوان للنبى محمد	قتيل زكى بالدماء مضرج

وقال ابراهيم بن العباس الصولى وهو كاتب القوم وعالمهم فى الرضا لما قربه المامون

همن عليكم باموالكم	وتعطون من مائة واحد

وكيف لا ينتقصون قوما يقتلون بنى عمهم جوعا وسغبا، ويملأون ديار الترك والديلم فضة وذهبا يستنصرون المغربى والفرغانى، ويجفون المهاجرى والانصارى، ويولون انباط السواد وزارتهم، وقلف العجم و الطماطم قيادتهم، ويمنعون آل ابى طالب ميراث امهم، وفى جدهم يشتهى العلوى الاكلة فيحرمها، ويقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها وخراج مصر والاهواز، وصدقات الحرمين والحجاز، تصرف الى ابن ابى مريم المدينى والى ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى والى زلزل الضارب ويصوما الزامها واقطاع بختيشوع النصرانى قوت اهل بلد وجارى بغا التركى والافشين الاشروسنى كفاية امة ذات عدد والمتوكل زعموا يتسحر باثنى عشر الف سكرية والسيد من سادات اهل البيت يتعفف بنى نجية او سندية وصفوة مال الخراج مقصور على ارزاق الصفاعنة، وعلى موائد المخانثة، وعلى طعمة الكلابين ورسوم القوادين وعلى مخارق وعلوية المغنى وعلى زرزر وعمرو بن بانة الملهى ويبخلون على الفاطمى باكلة او شربة، ويصارفونه على دانق وحبة ويشترون العوادة بالبدر، ويجرون لها ما يفى برزق عسكر، والقوم الذين احل لهم الخمس وحرمت عليهم الصدقة وفرضت لهم الكرامة والمحبة يتكففون خواء، ويهلكون فقراء، ويرهن احدهم سيفه ويبيع ثوبه، وينظر الى فيئه بعين مريضة، ويتشدد على دهره بنفس ضعيفة، ليس له ذنب الا ان جده النبى وابوه الوصى وامه فاطمة وجده تخديجة، ومذهبه الايمان وامامه القرآن، وحقوقه مصروفة الى القهرمانة والمضرطة والى المغمزة والى المزورة، وخمسه مقسوم على نقار الديكة الدمية

والقردة وعلى عرس اللعبة واللعبة، وعلى مرية الرحلة، وما ذا اقول فى قوم حملوا الوحش على النساء المسلمات واجروا العباده وذوية الجوايات، وحرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان، ونفوا زواره الى البلدان، وما اصف من قوم هم نطف السكارى فى ارحام القيان، وما ذا يقال فى اهل بيت منهم نبغ البغا وفيهم راح التخنيث وغدا وبهم عرف اللواط كان ابراهيم بن المهدى مغنيا و كان المتوكل مؤنثا موضعا وكان المعتز مخنثا وكان ابن زبيدة معتوها فركا وقتل المامون اخاه، وقتل المنتصر اباه، وسم موسى ابن المهدى امه، وسم المعتضد عمه، ولقد كانت فى بنى امية مخازى تذكر، ومعايب تؤثر كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين وام اكلة اكباد الشهداء الطاهرين وابنه يزيد القرود، مربى الفهود، وهادم الكعبة، ومنهب المدينة، وقاتل العترة وصاحب يوم الحرة، وكان مروان الوزغ ابن الوزغ لعن النبى صلى الله عليه وعلى آله اباه وهو فى صلبه فلحقته لعنة الله ربه، وكان عبد الملك صاحب المخطية التى طبقت الارض وشملت وهى تولية الحجاج بن يوسف الثقفى فاتك العباد، وقاتل العباد، ومبيد الاوتاد، ومخرب البلاد، وخبيث امة محمد الذى جائت به النذر، وورد فيه الاثر، وكان الوليد جبار بنى امية وولى الحجاج على المشرق وقرة بن شريك على المغرب وكان سليمان صاحب البطن الذى قتله بطنه كظه ومات بشما وتخمه وكان يزيد صاحب سلامة وحبابة الذى نسخ الجهاد بالخمر، وقصير ايام خلافته على العود والزمر، واول من اغلى سعر المغنيات واعلن بالفاحشات وما ذا اقول فيمن اعرق فيه مروان من جانب ويزيد بن معاوية من جانب فهو ملعون بين ملعونين وعريق فى الكفر بين كافرين وكان هشام قاتل زيد بن على مولى يوسف بن عمر الثقفى، وكان الوليد بن يزيد خليع بنى مروان الكافر بالرحمن المخرق بالسهام القرآن واول من قال الشعر فى نفى الايمان، وجاهر بالفسوق والعصيان والذى نكح امهات اولاد ابيه، وقذف بغشيان اخيه، وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها ومع قبحها وشنعتها، صغيرة وقليلة فى جنب مثالب بنى العباس الذين

بنوا مدينة الجبارين وفرقوا في الملا هي والمعاصي اموال المسلمين هؤلاء
ارشدكم الله الائمة المهديون الراشدون، الذين قضوا بالحق وبه يعدلون
بذلك يقف خطيب جمعتهم، وبذلك تقوم صلاة جماعتهم، فان كسد التشيع
بخراسان فقد نفق بالحجاز واليمن والشام والعراقين وبالجزيرة والثغرين
وبالجبل واليغارين وان تحامل علينا وزير او امير فانا نتوكل على الامير الذي لا يعزل
وعلى القاضي الذي لم يزل يعدل وعلى الحكم الذي لا يقبل رشوة ولا يطلب سجلا
ولا شهادة واياه تعالى نحمد على طهارة المولد وطيب المحتد ونسأله ان لا يكلنا
الى انفسنا، ولا يحاسبنا على مقتضى علمنا، وان يعيذنا من عونة الحشوية
ومن لجاج الحرورية، وشك الواقفية، وارجاء الحنفية، وتخالف اقوال الشافعية،
ومكابرة البكرية، ونصب المالكية، واجبار الجهمية والنجارية وكسل الراوندية
وروايات الكيسانية، وجدل العثمانية، وتشبيه الحنبلية وكذب الغلاة الخطابية
وان لا يحشرنا على نصب صفهاني ولا على بغض لاهل البيت طوسي او
شاشي ولا على ارجاء كوفي ولا على تشبيه قمي ولا على جهل شامي ولا على تحنبل
بغدادي ولا على قول بالباطن مغربي ولا على عشق لابي حنيفة بلخي ولا على
تناقض في القول جازري ولا على موق سجزي ولا غلو في التشيع كرخي وان
يحشرنا في زمرة من احببناه ويرزقنا شفاعة من تولينا اذا دعا كل اناس بامامهم
وساق كل فريق تحت لوائهم، انه سميع قريب، وليسمع ويستجيب

وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته

فهمت ما ذكره الشيخ من توبة الدهر اليه من نبذه، وخطبته لسلمه بعد حربه،
وما لا يزال يتعرفه من انقشعت ضبابة المحنة، وانجلت غمرة الكربة، من صنع
جديد في ظل يوم جديد لم تحتسبه، وعز مؤتنف في كل ساعة لم تحسبه، حتى
لقد شتم روائح عود الحال الى مائها الناضب ورجوع الدولة الى رسمها
الذاهب وهكذا تكون احوال المقبلين فان الايام اذا غلطت فجنت عليهم
رجعت فاعتذرت اليهم، والزمان اذا حار بهم خطأ سالمهم عمدا فيستوفون

في الحالين اجر المحنة، وزيادة بشكر النعمة، ثم يختم لهم بما هو بحالهم اليق، و
بمقاديرهم اوفق، والمحنة اذا كانت بعرض زوال فليست بمحنة، كما ان النعمة
اذا انتظر بها التغيير فليست بنعمة، وانما الانسان من بره في يومه فاما امسه
فغافل واما غده فامل، وكل غم سبب لسرور فهو سرور، وكل ظلمة كانت طريقا الى
النور فهي نور، ومن محاسن ايام المحن ان الانسان يعرف بها غش الاصدقاء،
ويقف منها على اوزان الثقات والاولياء، ويميز بين من هو صديق للبلاء،
وصديق للرخاء، ومن فوائدها انها تعلم المرء مقدار العافية وتعرفه اخراج
زكاة الجاه والدولة، وتحلي في فمه ما يجده بعدها من طعم السلامة، ومن منافعها انها
تطلع الناس على مقادير قوم لولا المحنة لم يطلعوا عليها، وتظهر كفاية اناس لولا غيبتهم
وحضور البدل عنهم لم يهتد اليها والان عرف الشيخ بحقيقته، ووزن بزنته ووقف
السلطان والرعية على تفصيله وجملته، بحضور غيره وغيبته، وانما يعرف حق
الافاضل من رفع بعدهم الى عشرة الاراذل ويشديد بالخاصة، من يتلى بعده بالعامة
وما اغلى الماء على من فقده، وارخصه عند من وجده، هذا وقد صقلت هذه الفترة
خلائق الشيخ بالتجارب ووضعت في يده مرآة النظر في العواقب وهذبت افعاله من
كل شوب وغسلت عنه وضر كل عيب على انه لم يزل مبرأ من كل رذيلة، ومخصوصا بكل
فضيلة، ولكن الايام علمتها في التعليم، وخاصتها في باب التنبيه والتقويم، فالحمد لله
الذي رد الى ذلك الامير جماله وبهاؤه، وعمر بابه وفناؤه، وسر شيعته واوليائه
وغم حسدته واعدائه، ولم يفجعه بالعلق النفيس الذي لا يشترى بالاثمان، ولا
يوزن بالميزان، ولا يكال بالقفزان، ولا يرى مثله في هذا الزمان، كما لم ير
في سائر الازمان، ثم الحمد لله الذي حول كتبي من التعزية الى التهنئة، و
اخرج القاضي من ميدان الصبر الى ميدان الشكر، وجعلني رطب
اللسان بالحمد لله بعد ما كنت رطب اللسان بانا لله، ثم الحمد لله الذي
استجاب دعائي، ورحم بكائي، وعلمني كيف تطلب الحاجات ومتى تستجاب
الدعوات، وعرفني ان الدهر غريم ربما ماطل بما يعده، وجبل بما تنتم فيه، ثم
الحمد لله الذي اراني اهل خوارزم وقد عرفوا رجحان من فقدوه، بمن وجدوه، كما عرفوا

نقصان من وجدوه بمن كانوا فقدوه، وانشدوا قول حنظلة ابن عرادة التميمي

عتبت على سلم فلما فقدته	وعاشرت اقواما رجعت الى سلم
وقول دعبل	
وترجعني اليك وان تنائت	ديارى عنك تجربة الرجال

وكتب الى رئيس سمرقند

وصل كتاب سيدى بعد ان كنت ظننت لتاخره ظنونا اعيذه بل اعيذنى بالله من ان تصدق بها فراستى وتحقق بخيلتى وظن الحب متوزع، والشقيق بسوء الظن متولع، الكتاب الذى ذكر سيدك لم يصل ولقد كان الكاغد للجواب عنه موجودا، والكاتب مشهودا، والوقت بحمد الله تعالى ومنه طويلا ممدودا، افهم غير المفهوم وليت شعرى كيف سلط على كتبنا حتى اقتطعها دوننا سليك بن السلكة السعدى واوفى بن مطر المازنى وعمير بن براقة الهمدانى والشنفرى الازدى وتابط شرا الفهمى والسمهرى العكلى ومالك ابن الريب المازنى وشناظ وبرجان وكعب حدرد ومالك بن خزيم وعمرو الكلب الهزلى وبحمد البكرى والمشنى بن وهيب الباهلى وابو النشناش الحنظلى والقتال الكلابى وابو حردبة والحطيم التميمى واكتل وردام الخريان، واسكاب والغدافل القاطعان وطهمان ومن مثل طهمان وعبد العزيز وعمرو قل التميميان وويرة الغفارى وحاجر بن عمرو الازدى هؤلاء لصوص العرب وصعاليكها الذين كانوا يسلبون الناس سلبا، ويأخذون كل سفينة غصبا، واما بعد اليوم اذا كتبت الى سيدى كتابا قرأت عليه المعوذتين وعلقت فى جيده تميمتين واخذت من حامله كفيلين احدهما ذو الجناحين والآخر ذو النورين حاجتى فى كذا قضيت بسيدى لا زال قيامه بالحوائج يحل ما يعقد ويسهل ما يشدد، ولا زالت عنايته تفك اسيرا، وتيسر عسيرا، لاجرم لقد كتب على سجل رقى وقلد رقبتى له حقا يوفى على كل حق، وان رجل نقل هذا الدهر اللئيم من المذمة الى المحمدة، وعمله انجاز الموعدة، لرجل يحسن ان يغير

الشيم

الشيم، وان يعلم اللئيم الكوم، فلا زالت انعم لسيدى عارفة تضاف الى سائر عوارفه، وانف صنيع ينضم الى سالفه، حتى تسود حواشى جريدة نعمة علىّ وايادية الىّ فاعمل جريدة غيرها، واضيف اليها مثلها

وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب جوابا عن كتاب له ورد عليه يبشره فيه بخلاص فزيرخوارزمشاه من المحنة

كان كتاب صاحب الجيش ورد مشحونا ببشارتين، اورد تا فرحتين، واوجبتا شكرين احداهما وهى كبراهما خبر سلامته وسلامة احواله ونعمة الله تعالى عليه فى جملته، والثانية خبر ما اتاح الله تعالى للوزير ابى فلان من الفرج الذى وافى بغتة، وورد على القلوب والاسماع فلتة، فما ادرى باية النعمتين كنت اكبر اعتدادا، واكثر بها لمحاسن الايام تعدادا، وباية البشارتين كان سرورى اكبر جماء، واعظم جرما، ولاية الفرحتين كان قلبى اطرب ولسانى بشكر الله تعالى ارطب على ان سلامة صاحب الجيش وان كانت البشارة التى توفى على البشائر والنعمة التى تربى على النعم البواطن والظواهر، فانها جرت مجرى الشيب اذا كانت متطلعة متشوفة، ومتوقعة متوكفة، وردت على شيخ ينتظر موردها، وعلى قلب يتبجح موعدها، وخبر نعمة الله تعالى على ذلك الوزير وقد جرى مجرى بيضة العقر، وقام سماعه مقام افتراع البكر، ورد والقلوب فيه غير طامعة، والنفوس اليه غير منازعة، واليأس قد ربج بالرجاء، والبلاء قد نسخ آيات الرخاء، وطول ايام الفترة، قد هزم بجيش الهم جيش المسرة، وكان نعمة خرجت من بيت نقمة، وفوجة نبتت فى ارض غمة، وخبر اسار امر على اذن طالما قرعها خبر البلاء، وعلى عين طالما باتت على السهر واصبحت على البكاء، والسرور اذا خرج من الكمين كان انفر للزينة، والضحك اذا وجد فى ساعة البكاء كان اغرب فى السماع والرؤية والحمد لله الذى جعل صاحب الجيش يهدى البشائر الى مضاعفة، وينعم على النعم متزايدة ويورد على خبر سلامته فى نفسه التى هى اعز النفوس علىّ ممزوجا بخبر سلامة احب الناس

بعدة الى لتكون ريح السرة قد هبت على جنوبا وشمالا، وجناح الانس والطرب قد رفرف حولى يمينا وشمالا، كأن الخيرات لا تعرف طريقا الى الا من بابه، وكأن البشائر لا تحسن ان تطلع على الا من كتابه وخطابه، وفهمته وعظم اعتدادى بموردة لصاحب الجيش على انى لو انصفته لشكرته بلسانين واجبته بقلبين وكتبت بيدك بقلبين، ووالت ايامه ودولته بنفسين كما انه يحسن الى من جهتين، ويبشرنى من جانبين ويهدك الى الهدية ذات الطرفين، فاما ان نعتد على مثنى مثنى ومكافاتى له عنها فرادى فتلك اذن قسمة ضيزى ولكن متى استوفى فعل محسن وحال شاكرة، ومتى ربح رئيس على شاعره، ومتى استوفى من يطلب سائلا، ومن يطلب نائلا، لا عدمت صاحب الجيش سيدا وسندا، ومددا وعضدا، وركنا مؤيدا، وسنانا محددا، وسهما مسددا، وسيفا مجردا ممندا، وجندا مجندا، وعزا مؤبدا سرمدا، ولا خلوت منه ابدا،

وكتب الى خوارزم شاه

ورد على كتاب الامير مع فلان فلا ادرى ايهما كان اشد أسرورى بالرسول ام سرورى بالمحمول، وفهمته ولما عرضته على اصدقائى، صار يحسدنى عليه اعدائى، فلما اجتلوا محاسن الكلام بقلوبهم، ومحاسن الخط بعيونهم، علموا ان بخوارزم قوما من البخار لا افضل، ومن الطراز الاول اذا اخذوا والاقلام كتبوا، واذا اخذوا السيوف ضربوا، وان كان الامير رأس المجيدة وفارس الكتيبة ونكتة المسئلة وطراز الكسوة ووجه الرزمة وصدر الدست واول التخت وخال الخد ودق الدق ولب اللب ويحسب الامير ان هذا الكتاب وافانى ليلا فاحببت له الليل حب كثير عزة وعشقته عشق جميل بثينة وابغضت له النهار بغض العاشق الفراق وبغض العروس الطلاق، ولقد تركت الاسماع به مشحونة، والقلوب مفتونة واتانى خلال ذلك فرح لا يسعنى جلدى منه فرحا، ولا تحملنى اعوادى حتى مرحا، فانشدت

	واذا نظرت الى اميرى زادنى	ضنا به نظرى الى الامراء	

ولقد

ولقد قال لى من لا يدع فضلا الا تنقصه ولا جميلا الا غمصه، هذه كتابة الوزير، لا كتابة الامير، فقلت له ما زدت على ان جعلت الفضل خادمه، والكمال تابعه، ومن خدمه الفضلاء فقد خدمه الفضل، ومن تصرف فى عمله العقلاء فقد تصرف له العقل، وكيف يخدم الفضلاء غير فاضل ام كيف يرضى الكملة بالمقام على غير كامل، واصدرت الجواب الى حضرة الامير عمرها الله تعالى بوفود الرجاء، وملأ رحابها وابوابها برسل المسالك والرؤساء، وصرف اليها زمام كل رغبة وثنى نحوها عنان كل رهبة وجعلت هذه الاحرف جنيبة الجواب وجنائب القول من جنائب الخيل

وكتب الى العامل على البريد بالاهواز

كنت ظننت بك يا اخى ظنا كذبه قبح فعلك، وضعف شجوك ووصلك فانك لا تعمل فيهما على قياس واجب ولا تصبر منهما على طعام واحد فلا جرم لقد رجعت فى ذلك وما كنت ارجع فى هبة، وندمت على ثقتى بك وعهدى بى ان لا اندم على حسنة، وهذا ايدك الله تعالى رزق من كل من اصفيته حبى ووضعت فى يديه قلبى فانا ابدا بين صديق شكوته وقد كنت اشكوه، واعذله وقد كنت اعذره، وارتجع قلبى منه كرها وقد سلمته اليه طوعا حتى لقد اشتغل قلبى بخوف الاصدقاء عن خوف الاعداء، واشتغل شعرى بالعتاب عن المديح والهجاء، حتى لقد صرت اعد سوء الظن حزما وارى المساهلة غبنا واحسب المكافاة على القبيح عدلا، ومعاشرة الناس بالغش عقلا، وان كان هذا ليس جميلا فانا فيه تلميذ اصدقائى وهم فى الحمد عليه شركائى

وكتب الى ابى حامد بن روزبه اديب قومس

وصل كتاب شيخى مكتوبا بخط ينطق بغير لسان ويفصح من غير بيان احسن من كل شيء غير كلام صاحبه، والطف من كل شيء غير اخلاق كاتبه، القصيدة قد حفظتها لما لحظتها، ورويتها لما رأيتها

ولو اجبت عنها لسرقت الجواب منها اذا كانت قد جمعت نشر البديع وضمت اطراف الوصف والتوصيع ولو فعلت ذلك لكنت قد هديت الى شيخي من ماله وخلعت عليه من يده وضربته بسيفه على اني قد طلقتي الشعر ولا اقول طلقته وانما الشعر بالطرب او بالرغب او بالرهب وما بقي شيئ يدربه فاطرب ولا ابقى كريم فارغب ولا بقي وجل فارهب

وكتب الى ابى زيد جوابا عن كتابه

وصل يا ولدك كتابك القصير بخدا المختصر جدا وفهمت ذكرت انك مشتاق الى اللقاء ومستبطئ في ذلك القدر والقضاء والمسافة بيننا صغيرة البقعة ضيقة الرقعة اذا ذرعت بذراع الهوى ومسحت بيد الذكرى وهي بعيدة اذا مسحت بيد التسلي ونظر اليها بعين التغافل والتناسي والبعيد قريب اذا التقى العزم والتوفيق كما ان القريب بعيد اذا التقى التفريط والتعويق فلا تتعلق باذناب العلل لو صح منك الهوى او شدت الحيل

وكتب الى ابى حامد ايضا الاديب بقومس

ورد على كتاب الشيخ وهو اعز كتاب على الا انه كان صغير اكايام لقائي له قصير المدة انسي به على انه لا قليل من البر ولا صغير من الذكر على ان صغير البر لطف اطيب كما ان قليل الذكر اشهى فاعذب عاتبني الشيخ عتابا انساني الرعد القاصف والريح العاصف والبرق الخاطف واردت جوابه فعقل لساني عنه ذكوايام تفض العزائم وتسل السخائم وما كل انسان يعطي السلطان على قلبه فيقلبه وعلى شيطانه فيغلبه فلم نزع شيخي قميصا من حسن العشرة ولم يزل يلبسه واطلق لسانا لم يزل يحسبه انا بكتاب شيخي اذا ورد على اشد سرورا من المشتاق الى التلاق بعد طول الفراق ومن العاشق بالعناق ومن الاسير بالاطلاق ومن الفارك بالطلاق فليتحفني به وليؤهلني له ان شاء الله تعالى

وكتب اليه ايضا

كتبت الى شيخي كتابا سامحت فيه يدي وخاطري وغالطت في انتقاده قلبي وناظري لان رسوله كان اعجل من ان يدخل نصفه ومن عامل حضر مشخصه ومن حاجر لم يبق بينه وبين الموقف سوى ليلة او بياض غدوة وهو على فراسخ بعيدة وفوق مطية بليدة ومن منهزم رأى خلفه سواد الطلب وخاف عاقبة فوات الروح والسلب ومن المحشري يوم الجمعة وقد سمع الاذان وركب السلطان فلا زمني حتى ضغطني ضغط الغريم وضبطني ضبط الحصيم وشغلني عن بسم الله الرحمن الرحيم فكتبت ويدي ترتعش وقلبي ذهل دهش وانا ارى لشيخي ان يستعمل هذا الرسول في جباية المال واستخثاث العمال واجتلاب الصدقات والجوال فانه يحاسب على اللحظة ويضايق في اللفظة ويتقاضى تقاضيا يزهق النفس ويقطع النفس فلو عرف ملك الموت سيره لجعله خليفته وفوض اليه امره فانه اكره منه لقاء واشد قضاء وحاجتي ان لا يردده شيخي الى فاني ارحم الارض من ثقله واحب بطنها وابغض ظهرها من اجله والسلام

وكتب تعزية الى ابى بكر

بلغني ما قاساه شيخي ايده الله تعالى في هذه المصيبة من غم يشكى بل يبكى وجزع يضنى بل يفنى والموت خطب ثقل حتى خف وكثر حتى قل وهان على الباقي لما رآه بالماضي وعلى المعزى لما نظره في المعزي ودخل الجميع تحت قول المتنبي

يدفن بعضنا بعضا ويمشي	اواخرنا على هام الاوالي

وشيخي اعوف بالله واقرأ لكتاب الله وارو الاخبار رسول الله من ان يتأدب بغير ادب الله ولا يسلم لقضاء الله ولكن لفاجاة المصيبة لذعة يستراح منها الى مباثة الصديق والى تسلية الاخ الشفيق فقد يأنس المريض الى العائد وان علم انه لا يملك شفاءه ولا يدفع بلاءه جعلنا الله تعالى ممن يتنجز بالصبر ما وعده من البشرى والصلوات والرحمة والهدى فانه تعالى ذكره ذكر الصابرين فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

والهمنا الغراء عما استاثر به، والشكر على ما اخلف منه، والسلامة

وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

كتابى وقد عفا بيننا رسم المكاتبة والمراسلة، ونسى اسم المطالعة والمواصلة والذنب فى ذلك لاحدنا فان كنته فمنى المعذرة، ومن الشيخ الصفح والمغفرة، وان كان هو فقد عذرته قبل ان يعتذر، وغفرت ذنبه قبل ان يستغفر، وطفلت عليه بنصبى لسانى نائبا عنه، وخليفة له، ورد ولده فلان فنظرت منه وفيه الى ابيه ورايت الايام قد كسته رداء جمال وكمال، وصقلته بيد اقبال واقبال، وخرجت نجيبا انجل النجباء وابنا احيا الآباء، ورايته

يطلب شاوا مراين قد ما حسنا		بذا الملوك وفاتا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما		على تكاليفه فشله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل		فمثل ما قد ما من صالح سبقا

وما اجم هذا الولد النجيب على سبقه الى المدى، وعلى ارتفاعه فى الذروة العلياء، وقد رسخ عروقه فى تلك الدوحة الكريمة، وفرعت غصونه على تلك الدوحة العميمة، لا بل لو اقام على مربط الشيخ فرس لما اعتدت له ان يكون جوادا، ولو بات فى خزانته سيف لما شكرته على ان يكون حساما، فكيف بولده، ومرهو قطعة من كبده، كانت الايام امتعتنى بلقاء الشيخ مدية قصيرة كان نهارها القصيرة ظهرا وعصرا، وليلها عتمة وفجرا، فلما شكرتها رجعت فيما وهبت، وندمت على ما صنعت، وذلك رسم اللئيم فانه اذا شكر على احسان غلط به تنبه للؤمه فاساء، وندم على ما سببه من المسرة فساء، والكريم اذا شكرته قابل الشكر بالمزيد، وتجاوز الصنع القديم الى الجديد، فان عادت الايام بمثل تلك الغلطة، وظفرت بتلك الفلتة، كتمتها ثانى وشكرتها بضميرى دون لسانى، بلغنى خبر تلك العثرة التى كانت عينا اصابت الاحسان، وعيبا لحق الزمان والسلطان، فزاد ذلك فى جراح الايام بى وفى وقائعها بقلبى، ثم تذكرت ان الدولة للمحسنين، والعاقبة للمتقين، وان الدهر يخطئ

ثم يصيب، ويذنب ثم يتوب، لا يبخل على الشيخ بكتبه فلو لم استفد منها الا خبر سلامته لكانت الضالة التى تطلب، والعلق الذى لا يعار ولا يوهب فكيف وفيها الفاظه التى تشوق العجوز الى شبابها، والشابة الى احبابها فاقرا تماثل الاحسد طرفى لسانى على لفظة، وحسد لسانى طرفى على لحظة

فوالله ما ادرى ازيدت ملاحة		على الخلق ام راعى المحب فلا ادرى

وانا وان كنت شاعر اللسان فلست شاعر الخلق، ولا شاعر الوفاء والصدق، ولا شاعر الصداقة والود، ولا شاعر الديانة والعقد، لا تتلون اخلاقى لونا، ولا اكون على صديق ومن يشكو الى زمانا، ولا اكون اخاه ايام دولته وعدوه ايام عطلته، وقد غشت المروات، وانثلمت المودات، ومات الوفاء والثبات

وكتب الى ابن العميد الحاكم

كتابى الى الشيخ عن سلامة تهنأتها منذ ورد على خبر سلامته ونعمة اسبغت على منذ وقفت على ما اسبغه الله تعالى عليه من نعمته، ورد على كتاب الشيخ الذى كل سطر من بسطوره كتاب، وكل لفظة من الفاظه باب بل ابواب المفيد باطنه وظاهره، البديع اوله وآخره الذى ما ورد على الاحسد فى عليه من رآه بيننا، ودانه لو كانت عيناه عينى وعلم انى قد حويت فى المحظوظ بقسم وافر، وانه قد حصل منها على غبن ظاهر، لا زال الشيخ ابا عذر كل كلمة سائرة، وكل نعلة نادرة ولا زالت اخلاقه مظنة لحفظ العهد، ومحط الرحال المجد، وشريعة مورودة لزوار المجد، وبابا مفتوحا للمستخرجى الرفد، فلان قد غضب على ما اعرف لى ذنبا يستوجب منه عتبا، ولا انسبه مع ذلك الى التجنى، ولا اضع فعله موضع الظلم والتعدى، ولكن من الذنوب ما يظهر لمن رآه، ويخفى على من جناه، وقد يرى الانسان من عيب غيره ما لا يراه من عيوب نفسه، ولذلك قيل

ان المرائى لا ترى لك عيوب	وجهك فى صداها
وكذاك نفسك لا ترى لك عيوب	نفسك فى هواها

اسأل الشيخ ان يرد على من صلحه ما فقدته، ويوجدنى من عفوه

ما انشدته، ليكون قد صار طبيبا لاخلاق اخوانه يداويها من دلو
الهجران، ويصلحها من فساد الزمان، ولتكون نعمه على متفرقة اغصانها
ومتلونة الوانها، فان النعمة اذا تكافأت مذاهبها، وتعادات جوانبها،
اتسع فيها مجال الشكر والذكر، وطالت فيها خطوة النظم والنثر

وكتب الى ابى القاسم الابى البندار

خرج الشيخ الى ناحية عمله خروج السارق لا بل خروج الآبق قد كتم اخوانه
حاله، ولم يستكفهم اشغاله وخصصهن بينهم بالقسم الا وفرمن الكتمان لا بل
بالقسط الا وفر من الحرمان وما كان يضره لو صحبت ركابه وكثرت بسوادى اصحابه
وقد لزمته الذنب ونى وانكان مقسوما بينه وبينى كان ينبغى ان اقيم على بابه
حارسا، وبكل درب من دروب محلته فارسا، واتعرف خبر رحيله، واقف
على كثير ما يأتى وقليله، اذا رحل شيعته بجسمى مرحلتين وبقلبى مأتين، على ان
قلبى قد شيعته حيث هو معه فليتفضل برده على وليتفقده بل يقدم رسولا
قاصدا الى فان غاية المشيعان يرجع، وعاقبة الضيفان يودع، ولا يأخذ
قلوب اصدقائه فى مرافق اعماله ولا يكثر بمشيعيه سوادا ضيافه ولا يتركنى بلا
قلب فانى احتاج فى مكاتبته الى قلوب والنظر فى كتبه الى عيون والصبر على فراقه
الى نفوس ولا يقل هو عندى تذكرة منك، ونائب على بابى عنك، فانما
يحتاج الى التذكرة من ينسى والشيخ بحمد الله تعالى لا ينسى ولا ينسى

وكتب الى ابى سمكة بقم

انا الحر على شيخى فى السؤال واتجاوز حد الادلال الى حد الاملال لان
الذى اسأله لا يوجد منه عوض ولا يقوم عنه جوهر ولا عرض ومن
طلب خطيرا، احتمل كبيرا، وعلى قدر نفاسة المتاع رغبة المبتاع، وبحسب
عظم النائل خضوعة السائل وليس يرد كتاب شيخى على من هو اضن منى
به، ولا ارغب منى فيه، ولا ارضى منى له، ولا اشكر منى عليه، ولا اتوق

منى اليه، واظن شيخى يستخش مس عتابى له وعتاب عن قلب نقى وصدر
بهى خير من ملق فوقه هو دساهى وتحته غش خفى فقد يكتم البغض فى زوايا
الهوى، وقد ينبت المرعى على دمن الثرى، واولا انى قد اصبحت تحت نعمة الشيخ
مستورا، واصبح لسانى بعدها مقصورا، لسألته كتاب كذا ولكنى الى
الخروج من الحواصل احوج منى الى طلب النوافل، ولقد نقص شيخى الى
الادباء، وصغر فى عينى العظماء، وصارت اخلاقه لى مرآة ارى فيها الحسن والقبيح
وابين فيها السقيم والصحيح وثمرة الادب العقل الراجح، وثمرة العلم العمل الصالح
فاما ادباء اهل زماننا فتطرقوا بالادب الى الجهل فحصد والنقص من زرع الفضل
لا نعدم فى كل زاوية منهم صغيرا يكبر، وقليلا ينكثر، لا يفيد من دونه
بخلا، ولا يستفيد ممن فوقه جهلا، ولو تعلم لعلم جملا، ولو علم لحفظ
علما، والبخل وحده قبيح فكيف اذا قارنه الجهل، والجهل بنفسه نقص
كبير فكيف اذا كان معه البخل، ومن عجائب البخل انه داء يعدى فان
الجواد يبخل اذا بخل عليه، ويتحول داء غيره اليه فشر الادواء داء اعدى و
شر العيوب عيب تعدى، امتع الله تعالى شيخى بمحاسنه التى هى ميت المدح
ومقيله، وغرة الدهر وتجيله، واطال بقاءه وجعلنى فداءه

وكتب الى ابى بكر النحوى اديب الجبل واصبهان

بذلت فى حاجة الاديب مجهودى واليه تنتهى غاية جودى فان
اكن بلغت منها رضاه، فذلك الذى اريد واتحراه، وان تكن الاخرى
فالرمية قصرت عن الرمية، والسعى وقع دون مقتضى الامنية والنية
فانما الذنب لرسوله الذى زعم انه اكفى وقال لى حسبك وكفى فان الطبيب
يخرج من الدواء، مقدارما يشكى اليه من الداء، ذكر الاديب فى كتابه ان
سوق الادب كاسدة وانما الكاسد ما اشترى بدون قيمته وقرب بخ تجارته
فاما ما لا يشترى ولا يكترى ولا يذكر ولا يسمى فقد تجاوز الكساد وبار بل باد،
كتاب شيخى اذا ورد بخطه نظرت منه الى روضة البصرة والى نزهة الفكر

ورايت منه جمالا بهاء القلب قبل الطرف وشممت منه ريحا تشم الروح قبل الانف
واني لاشتاق الى وروده على شوق المحموم الى الوصل والغائب الى الاهل
فاذا انقطع عني وانقطع دوني نكلت اعلي وفجعت بسروري وجذلي
وغزى بعساكر الهم صدري وخلا لها ظهري وشيخي يتفضل فينظلم
الطرق الى به ويكون شفيعي الى لسانه وقلبه ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابي بكر بن شيمرد

لو علمت بخروج الشيخ لاخذت بخطمي من حلاوة تشييعه ومرارة توديعه
وقمت بالواجب على من الاخذ بركابه ومن تسوية ثيابه على اني لو شيعته
لاصبحت مشيعا وصديقا واصبحت معه صاحبا ورفيقا ولما تركني الشوق
ارجع عنه ولا خلاني اخلو منه وكنت اصير زيادة في اشغاله بل زيادة في
عياله فاذا انا قد طلبت الاحسان فاسأت وارتدت الصواب فاخطأت
ولقد تركني الشيخ بجميل عشرته وكريم صحبته ابغض كل من احببته واباعد
كل من قاربته وكانه انما بعث الي ليفسد الاخوان علي فقد ضيق خلقي
وان كان وسع رزقي وافسد فعالي وان كان اصلح احوالي ومن
العجب وجود الحر في هذا الزمان الذي صار فيه اللؤم سنة متبعة و
اصبح الكرم بدعة مبتدعة ورخص الثناء حتى ما يباع وغلا السخاء
حتى ما يباع والكلام في هذا الباب شرط بطين يستهلك الناس معه عزته
ويستغرق الفراغ مع قلته واني لاعتب على شكوى للشيخ وانسبه الى
النزارة وهو غزير والى الصغر وهو طويل عريض ولقد شكرته شكر الوشكرت
الزمان به لاصبح لي شتاؤه ربيعا وجد به خصيبا مريعا ومدحته مدحا لو
مدحت به الفلك لمادار الا بمرادي ولا تصرفت بوجه الا على اسعادي ولا
سعى الا في مصالح معاشي ومعادي وليس يخلو شكري لصنيعة سيدي
ان يكون دونه او فوقه او مثله فان كان دونه فالظن بمثل الشيخ ان تكون
يده العليا على من عامله وصنيعته الراجحة على شكر من شكره وان كان

فوقه

فوقه فقد ربح على الشيخ فليرد ذلي الى رأس المال فان ربح الرؤساء على الشعراء
من المحال وان كان مثله فقد اخذ مني مثل ما اعطى واستأداني كفافا ما ادى
فليستأنف الآن براءة استأنف شكرا وليجد نعمة اجد دخدمة هذا ايد
الله الشيخ مزاح حمل عليه بطر الغنى والشيخ هو الذي اغناني فليحتمل بطري
وهذيانيَ وكيف حاسب من نفسي بعض صنائعه الي وروحي بعض
ودائعه لدي ومن افعاله الجميلة عندي تفنى كل حساب وتملأ كل كتاب
الشيخ صاحب الديوان رفعت اليه حاجتي فاستقبلني بوجه مانع
فوليته قفا صبور قانع ليعلم ان الكريم الوف عروف وصدوف عزوف يشكر على
اليسير وتلطف نفسه على الكثير نسخة الرسائل قد حملتها وما تساوي عندي
ان تمدني الى احد او تحملني من بلد الى بلد ولكن الشيخ اشتهاها شهوة
راكب الخيل لركوب الحمار والبغل وشهوة آكل الطيخ لآكل الخل والبقل
وتطرف بطلبتها تطرف الغنى بلبس الوداري وهو غريق في الوشي و
العتابي وقادر على الديباج الخسرواني ولعله اراد ان يضحك منها ذماءه و
يتحف بها جلساءه فتكون بابا من ابواب الهزل او جنسا من اجناس النقل

وكتب الى الوزير بالحضرة

ما اقرب الاشياء حين يفوتها	قد روابعدها اذا لم تقدر

كانت ايد الله الشيخ حاجتي في وعاء المطال وفي ضمان الايام والليال
فاكسني فيها الزمان وارجف لي بها الاخوان قد خلق ثوب الرجاء لها حتى
تمزق وتراجع حسن الظن بها حتى تمحق وطابت النفس عنها بيد الياس
منها حتى دفعت زمامها الى الشيخ فانشطها من عقال التعذر واقامها
من صوعة التعسر وقضاها قضاء سبق الاقتضاء ولحق باليقين
الرجاء فكان غيثا سبق صيبه دعوة المستقي وماء سيحا قد
كفى مؤونة المستقي وانما كنت ايد الله تعالى الشيخ مجدا على الطريق مطروحا و
بابا من ابواب المكارم مفتوحا لا المجد يحصل ولا الباب يدخل حتى كانت

يد الشيخ اول من جنى تلك الباكورة، واحتوى تلك المكرمة المذخوره فالحمد لله الذي وفقه لحفظ ماضيعوه، ورفع ماوضعوه، ولقد اشترى من الشكر بلعة قليلة الطلاب فيا ليت اللئيم يشم رائحة افعاله، او يلاحظ شخص خصاله، و يا ليت البخيل يحظى من رزقه، قيمة خلقه في سعته وضيقه، ويا ليت المخلف للوعد تصير المواعيد في رقبته، او حقائب على عاتقه، فلعلها اذا ثقلت ظهره، ضيقت صدره، فلا يعود بعدها الى وعد يخلفه، وحريصوفه

وليت رزق الناس مثل جودهم	ليعلموا انهم بشر لله صنعوا

تاخر ما رسم الشيخ حمله من الرسائل لاني اردت ان يحصل بخط لا يورث العين قذى ولا القلب ذى ولولا اني رابعه الكتاب والشعراء بالباء لا بالياء لما احتجت لتلك النسخة الى هذا الاحتشاد، ولناسخها الى كل هذا الارتياد، ولكني كابي الدميمة لا يألو جهدا في جودة كساها، وكثرة حلاها، يشتري لها المطوى والملوى، ويكسوها الديبقي والمروى، ويتجاوز في جهازها الفضة الى الذهب، والشعر الى القصب، ثم هو مع هذا كله خائف عليها ان ترجع اليه مطرودة، وعليه مردودة، ولو كانت بنته حسناء لزفها ولو انها من الثياب عارية، ومن الحلى عاطلة خالية، ومن وجهها حالية لعلمه ان لها من نفسها شافعا لا ترد شفاعته، وباعثا لا تقض بياعته، وبعد هذا كله فاني مقر على نفسي بالتقصير، ومستحق للوم الكثير فان المحال اذا نصر زاد بورا، وان الخطاء اذا احتج له صار عمدا، فلان قد اصحبته كتابي بالوصاية، وصنعت له ما يسعه رجاؤه وشكره من الرعاية وارجو ان الشيخ لا يلوم من جر اليه حمد الاحرار بزمامه، ووقف الثناء والاجر على مدرجة بره وانعامه، وانما اناد لا لصد لا الى الشكر، ومسمسا من سماسرة الثواب والاجر، ولما رلها تين السلعتين مشتريا اصح من الشيخ عقدا، ولا اجود منه نقدا فجهزت اليه باعة البضاعة، ودللت عليه الباعة، والسلام

وكتب الى تلميذ له

انكنت اعزك الله تعالى لا ترانا موضعا للزيارة، فنحن في موضع الاستزارة، وان كنت تعتقد انك قد استوفيت ما كان لدينا، فسقط حقنا عنك وبقي حقك علينا فقد يزور الصحيح الطبيب بعد خروجه من دائه، واستغنائه عن دوائه وقد تجاز الرعية على يا الامير المعزول فتتجمل له ولا تعيره عزله، ولو لم تزرنا الا لترينا رجحانك كما طالما رأينا نقصانك لكان ذلك فعلا صائبا، وفي القياس واجبا،

وكتب الى حاكم نيشابور من اصفهان

وردت ايد الله تعالى الحاكم من الوزير على رجل يستطيل اليوم اذا بعد عنه، ويستقصر الدهر اذا قربت منه، ابدع في اكرامي بدائع لو كانت كلمات لكانت امثالا، ولو كانت ابياتا لكانت افرادا، وكساني حلوا زا من الصيانة ضفت على ذيوله، ولاحت على صفحات احوالي غوره وحجوله، وخاطبني بكلام كانما خلق من خلقه حسنا ورقة، وكانما اقتطع من كلامه لطفا ودقة، ووعدني مواعيد في صحبة العدل والتوحيد، ورقاني في غاية تزلق رجل المنى، وتقصر دونها همم الورى، وتخجل خلقها الدرجات العلى، اردت مطالعة الحاكم بهذه البشرى، واتحافه بشرح حال هذه النعمى الكبرى، ليعلم ان تلك الفترة كانت خيرة وغيرة، وان هذه العاقبة كانت دولة وكرة، وان الدهر اوفانا كيل المسرة، كما اوفانا كيل المضرة، وتحمل الينا من الخير، مقدار ما تحامل علينا في المكر، ومهد لنا ايام اليسر، عدد ما مد لنا من ايام العسر، فقد انصف وهو ظلوم، وتكرم وهو لئيم،

وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم

قد انتظرت من الشيخ ان يسبقني الى خطبة الوصل، كما لم يزل سابقا الى غاية كل فضل، فابى كسله الا ان اسبقه اليها، واغلبه عليها، فابتدأته بالمكاتبة حين ضاق مسلك الصبر، وحين اتسع مجال النزع في الصدر، وحين رأيت الخط يضيع بين هيبتي وتغافله، والريح يذهب بين اشغاله وتشاغله وقد بلغ الله

تعالى الشيخ رتبة لا يضعه معها ان يتواضع، ولا يزيد في ارتفاع قدره ان يترفع فليستدم نعمة الله تعالى عليه بان يوب مودات الاحرار وفي ربابة، ويعمر مابينهم وبينه او في عمارة، وليعلم ان عليه زكاة الشرف اخراجها انمى للمال، وابقى للحال ومنعها تحيق للوفر، وتعريض لحوادث الدهر، وليزد اخوانه على قدر زيادة الله تعالى عنده فان العادة مطلوبة، والزيادة في النفوس محسوبة، زاده الله تعالى مما عنده واطلع عليه سعده، واعلى جده، وجعل حاسده عبده، ورد فلان هذه الناحية فلأ العيون جمالا، والقلوب كمالا، والاسماع مقالا، وعز الاعداء فضلا والاولياء افضالا ونوالا ورأينا في قيصر رجلا بل جمالا، وعجبت من ملك كيف سمح بمفارقة هذا الشخص النفيس لبابه، وخروجه من جنابه، ولقد ضيع منه مالا يوزن به عوض ولا يقوم مقامه عوض وقد دانه يصيب في كل زاوية من يسير في اقسام النجابة، ويجمع بين الفروسية والكتابة، فاذا به على النقصان وهو ينتظر الزيادة واذا هو يلتزم خراجا ويحسب انه يحصل الغلة واسأل الله تعالى ان يصلح حال تلك البقعة فاني اراها تلفظ الرجال وتنفي عن نفسها الكمال وان امرأ تعوقه الآباء والاجداد ويخالف به تدبير الاولياء والبلاد، لحقيق بان لا تخشى فاتحته، ولا ترجى عاقبته

وكتب الى ابي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني

وصل الى كتاب الشيخ وعققته، اذ لم اطرفوجا لما رأيته، ولم انطح الفلك فخرا وعجبا لما فككته، ولقد استخفني الفرح به واشتغلت بلحظه عن حفظه وتصرفت من فصوله في رياض سقتها الخواطر لا الغيوث المواطر، وطلعت على شمس البهاء لا شمس الضحى لا بل روضة المخط احسن من روضة النبات لان روضة النبات مداس للخف والحافر، وطريق للسابلة والعابر، وتلحظها اعين اللئام، وتدوسها ارجل العامة والطغام، وهذه الروضة عن اكثر العيون مكنونة، وعن اكثر الايدي مصونة، لا يرتع فيها الا ناظر خاص، ولا تمسها الا يد نبيل سوي قال ذيك الجن

لو كنت املك للرياض صيانة		يوما لما وطئ اللئام ثراها	

رأيت الشيخ يرمي في خطابه الى غاية تقاصر عنها قيمتي ولا تطمح نحوها همتي فعلمت

انه

انه يسلفني نعمة لادخل في غرامه، واصير واحدا من جملة انعامه، وليكون قد تناولني بالبر من كل طرقه قولا وفعلا وجوهرا وعرضا ولسانا وبيانا والله تعالى يكافئه ويكفيه، ويبقيه ويقيه، ويهنيه كما ارتجيه، ويرينيه كما احب له فيه،

وكتب الى الوزير ابي القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله تعالى

كتابي الى الوزير وانا على بعد الدار سالم في جملته مستظهر على الايام بدولته والحمد لله تعالى على سلامتي في سلامته، وصلى الله على سيدنا محمد وعترته اذا رأيت كتاب الوزير وقد ورد على غيري غرت عليه غيرة الفحل على الشول بل غيرة المرأة على البعل ولوددت ان لم يكاتب به غيري او من يشكره مثل شكري فاني مع استقصاري لنفسي في ذلك قد تعبت الوراقين، بل اتعبت الكرام الكاتبين وابقيت للخواطر والالسن شغلا طويلا، وطرحت عليها عبئا ثقيلا ولقد كانت ايامي بحضرة الوزير قصارا، وكان ليلي بها نهارا، وساعاتي فيها اسحارا، كما ان ايام فراقه لجلد على وقع سهام الهجر، واسع المجال في ميدان الصبر، ولقد صابت عين الزمان وفائي وسلبتني حسنتي وهي جزعي بفراق اصدقائي فاجرى الله تعالى على هذه المصيبة، ولاحرمني عليها جميل الاجر والمثوبة، لا يبعدني الوزير وقد شرتيه باهل الدنيا، ولا يبعد ذخرا عنه، وقد قربني الحب منه، ولا يبخل على بكتبه، فعهدي به لا يبخل على نفسه ولا بذهبه، وليأنف من ان يكتب اسمه في جريدة البخلاء بعد ما صدرت به جرائد الاجواد والسمحاء ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابي الحسن الحكم

انا الامر سيدي الشيخ ممتثل ولقبلة مراده مستقبل ولكن فلان طرقني والشوق قائده، والحب سائقه، فليوفر الشيخ علينا يومنا فلا يقدر ان يضمن لنا غدا وليعلم انه من سلب اخاه ثوب الفرح، واقامه من بين يدي الطاس والقدح، فقد قطع عليه طريق السرور، وقام بازائه مقام حوادث الدهور، وقطاع الطريق على النفوس اقل وزرا من قطاع طريق الطاس والكاس لان

الذى يأخذ اولئك من المال قد يصاب منه بدل ويوجد الى العوض منه سبيل
والذى يأخذ هولاء من العمر ويقطعونه من ايام الدهر لا سبيل الى ارتجاعه
ولا الى التئام لجراحة اقتطاعه هذا والضيف مولاى والمضيف عبده
فهل يرى الشيخ ان افتات على مولاى وان اخالف هواه بهواى و قد علم
ما جاء فى الاثر من ذم العبد اذا عصى مولاه وخرج الى سخطه من رضاه

وكتب الى تلميذ له وقد ظهر عليه الجدرى

وصلنى خبر الجدرى فنال منى وهيج حزنى وراع قلبى واسهر عينى وهذه العلة
وان كانت موجعة وفى رأى العين فظيعة شنعة فانها الى السلامة اقرب
وطريقها الى الحياة اقصد لان عين الطبيب تقع عليها ويد الممرض والمعالج
تصل اليها وانما هى قرح نبهته الطبيعة ودم اثارته الحرارة وظاهر الداء اسلم
من باطنه وبارز الجرح اهون من كامنه وهذه بعد علة تعم الابدان وتشمل
الصبيان واذا كانت العلة عامة كانت اكثر طبا ودواء واخف على القلوب اعباء
لان النفس تستريح الى المشاركة وتأنس بالجماعة كما تستوحش من الوحدة ولعمرى
انها تورث سوادا اللون وتذهب من الوجه بديباجة الحسن ولكن
ذلك يسير فى جنب السلامة للروح اللطيفة والنفس الشريفة وفى الشر خيار
ومن المحنة الى المنحة صروف ومقدار واذا اخطأت سهام الايام جانبا
واصابت جانبا فقد سرت اكثر مما اساءت لان الحسنة فيها تستتبعه
وتستغرب والسيئة منها تنتظر وترتقب ولست استطيع لك غير الدعاء
ولا اكلم فى بابك الا طبيب الاطباء ولا اصانعه عنك الا بالثقة والرجاء لا
اسال صحتك الا ممن خلق علتك وارى لك ان تحسن ظنك بربك وتستغفره
من ذنبك وتجعل الصدقة شفيعك واليقين طبيبك وتعلم انه لا داء ادواء
من اجل ولا دواء اشفى من مهل ولا فراش وطأ من امل شفاك الله تعالى
وكفاك وسلمك وعافاك وبلغك رضاك وحسبك به طبيبا وكفاك

وكتب الى فقيه من تلامذته

كتبت اليك من حضرة الغرائب والرغائب وهى حضرة الوزير وانا متردد
بين فائدتين من فعاله ومقاله وراتع بين روضتين جاهه وماله
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين انتظرت
كتابك فتأخر وطلبت له عذرا فاعوزنى واخذت احتال صبرا عنك فاعجزنى
وعرضت معاملتك لى على الود بيننا فاباها وقدمت افعالك معى الى القلب
فما ارتضاها فراجع رحمك الله تعالى ما طلقته من ودنا واذكر ولذكر
ما نسيته او تناسيته من عهدنا واعلم انك اذا انفقت اصدقاءك واحدا واحدا
اوشكت نفقتك ان تدعك مفلسا منهم وخاليا عنهم حملت اليك نسخة رسائل
الوزير وهى كالحلقة لا يدرى اين طرفاها وكالشمس لا يفضل اولاها على اخراها
كلها خيار وكلها حروفها اختيار فاعرفها من اذا استعادها منك قبل يديك
واذا اردها عليك قبل رجليك واعلم ان قدر هذا الكلام فى الكلام كقدر
صاحبه فى الانام فلان قد نصب لنا الحبائل واراد بنا الغوائل ولقد قرع
باب البلاء ووطئ ذنب الحية الصماء وادخل يده جحر الاسود وقعد لملك
الموت بالمرصد ونطح برأسه الجبل واستبطأ الاجل وطرد العافية عن باب
داره وانزل النحس فى جواره واستهدف لسهام الحتف ووطئ على حد
السيف فلا جرم اصبح نقل كل لسان وضحكة كل انسان وحلت امهات
سفاتج الى البلدان واجلت غيرة جهله عن اديمه وقد عرك وعراه وجمه
وقد سفك وعن ستره وقد هتك وهكذا يكون حال من عوض عرضه السقيم
واصله اللئيم لمكر العقلاء وقول الفصحاء والسنة الشعراء واقلام البلغاء
وليس ورائه لسان تقرع به الاذان ولا عرض يعارض به الاقران

وكتب الى الملك لما اصيب بابنه عن خوارزمشاه

كتبت وانا مقسم بين فرحة وترحة ومورد بين محنة ومنحة اشكو
جليل الرزية واشكر جزيل العطية واسأل الله تعالى للامير الماضى
الغفران والرحمة وللامير السيد التأييد والنعمة فان المصيبة بالماضى

وانكانت تستوعب الصبر فان الموهبة في الباقي تستنفد الشكر، والحمد لله الذي كسر ثم جبر وسلب ثم وهب وابتلى ثم اولى واخذ ثم اعطى كتب على المشرق خاصة بل على الدنيا كافة ان تطمس آثارها، وتظلم اقطارها، وتهب ريح الخراب عليها، وتنظر عين الكمال لبهاء حتى ذبلت شجرة المملكة، ووهن ركن الملة، وطرف ناظر الدولة، وانثلم جانب الدعوة ثم استدرك الله تعالى برحمته خلقه، فرد الى الامير حقه، وقرت الدولة في قرارها، وعادت النعمة الى نصابها، وطلعت الشمس من مطلعها، ووضعت الرئاسة في موضعها، فانا الآن بين شكاية الايام وشكرها وبين حرب الدهر وسلمه ابكي وانا ضاحك واضحك وانا باكي العين الا ان الضحك على اغلب والفرح الى من الغم اقرب لان المصيبة ماضية، والنعمة باقية، رحم الله تعالى الماضي رحمة تمون علينا مصرعة، وتبرد له مضجعة، وتضاعف حسناته، وتمحو سيئاته، واعان الامير على رعاية ما استرعاه، والهمه شكر ما اعطاه، وتولاه فيما ولاه، ووالاه جزيل ما والاه، وايده بالهيبة سلطانه، وثبت بالبقاء اركانه، وحرس من الغير زمانه

وكتب الى ابي منصور ملك الصغانيان يعزيه في عم ابي سعيد

كتابي الى الامير وقد ملك الجزع صبري وعزائي، وجعل ناظري في اساد دمعي وبكائي، والقلب دهش والبنان مرتعش، وانا من البقاء في الدنيا مستوحش، والجفن غرق، والقلب محترق، وما اجتمع قبله غرق وحرق للمصيبة التي ثلمت عرش السلطان، وطمست نور الزمان، وجعلت الصبر سيئة، والجزع حسنة، والاسى سنة، والاسابدعة، وحق لمن اصيب بمثل فلان ان يصاب بصبره، وان يدفن معه الفرح في قبره، وان يجعل يومه تاريخا لجدع انف الكرم، وركود ريح الهمم، وانكسار تاج العجم، وانا تفكرت في عظم هذا النازل، واربائه على سائر المصائب والنوازل انشدت

فما كان قيس هلكه هلك واحد		ولكنه بنيان قوم تهدما	

واذا تذكرت بقاء الامير وهو البقاء الذي لا وقع معه لخطب

وان كان مؤلما، ولاحظة بعده اصاب وان كان مستعظما، انشدت

اذا مقدم منا ذر احد نابه		تخمط منا ناب آخر مقدم	

وان بيت الامير الماضي يسلفه، والامير الباقي ايده الله تعالى خلفه، لبيت عظيم المصائب عظيم المواهب محنتهم اجل المحن، ومنة الله تعالى عليهم اكبر المنن، ولن يسقط عرش مثل الامير قائمته، ولا يخرب بيت هو بقيته اللهم ارحم الماضي فانك رحيم بالكرام، منعم على اهل الانعام، واحفظ الباقي من عين الكمال، فانها اكبر آفات الرجال، وانفذ سهام الايام والليال، واطل بقاءه فانه بقاء المجد، وادم عزه فانه عز الشكر والحمد، واجعل فداءه من الارض بان يكون فداءه، ولا يفتخر بان يكون وجه حذاءه،

وكتب الى ابي القاسم بن علي صاحب جيش الصغانيان

لم يزل يبلغني ما يرتفع على يد الامير من الفتوح التي تفتح لها ابواب السماء ويفوح منها روائح العز والسناء، في اولئك الاعلاء الذين امتنعوا بشدة كلبهم، وقلة سلبهم، ومتاركة المسلمين قديمالهم، ورضاهم رأسا برأس منهم حتى لقد حقنت الدماء، وسكنت الدهماء، وامنت السبل، واجتمع الشمل، ورجع النافر، وعم الغانم، واجتمعت الكلمة واتفقت البيضة واغمد السيف وركز الرمح وقرت الامور قرارها، ووضعت الحرب اوزارها، وهذا صنع لم يخص الله تعالى به اهل افق دون افق، ولا افرد بمزيته سكان غرب دون سكان شرق اذ كانت النعم فيه عمت كل من عرف الاسلام وفضله، وعادى الشرك واهله، لا زال الامير يرى كل يوم بسيفه فتحا يعظم به الخطب، وتستبق فيه الكتب، ولا زال الشرك من قتلاه، والنفاق من جرحاه، والفساد في الارض من اسراه، حتى تملأ فتوحه كل سامع وناظر، وتشغل كل كاتب وشاعر،

وكتب الى فقيه في تعمد مسجد

احق الاماكن بان يصان ولا يهان، واولاها بان ينحى عن مدرجة الاختلال

ويرفع ان تتناوله يد الا بتذلل مكان بنى ليجمع شمل التعبد، ويضم نشر التهجد، وترفع منه الحوائج لمن لا يضجر من السؤال ولا يتبرم بكثرة السؤال وهو الكبير المتعال فان صيانة هذا المكان صيانة الدين بل صيانة الاسلام والمسلمين وكبت الكفر والكافرين، وما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله، ومظنة لقراءة وحى الله، تصف فيه الاقدام بين يدى الله، وتميز فيه اولياء الله من اعداء الله، وهو من بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وهو مسكن من مساكن الابرار، ومجلس من مجالس الاخيار، وحصن من حصون المسلمين على الكفار، وجسر بين الجنة والنار، دخوله عبادة والمقام به سعادة، والاعتكاف فيه سنة مستحسنة، لا يخترقه كافر ولا يقربه الا طاهر، من عمره عمر طريق الآخرة، ومن بناه بنى له بيت فى الجنة، وبلغنى ما انت فيه من بناء مسجد محلتك، ضاعف الله تعالى لك عليه ثوابك واكرم مآبك، ورضى عنك وتقبل منك، فتوسع رحمك الله نعم فى نفقتك، فانما تعامل وتسلف كريما سخيا، ولا تحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك بصدد اضعاف ذلك من الثواب، وانما يوفى المحسن اجره بغير حساب، وتذكر قول الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

وكتب الى ابى شجاع بن محمد كاتب ابن قراتكين

كتابى وقد وجدت فلانا لا يضر ولا ينفع، ولا يضع ولا يرفع، وانما هو مشط يقلب خصى صلع، وان محال الشكاية فيه لرحب وان طريق المذمة عليه لسهل ولكنى لا اقطع يدى ولا اضرب بعضى ببعضى ولا ارمى يسراى عن يمناى ولا اتباعد عمن قربنى الاصل منه ولا اضربه بالسيف لله طالما ضربت به عنه، ورأسى رأسى وان كان اصلع وانفى منى وان كان اجدع، واما فلان فان المشرق عاطل هو حليته، وعريان هو كسوته، وجماد هو روحه، واعزل هو سلاحه، واخرس هو لسانه، لا انجع الله به عينى ولا قلبى فان عينى بعده لا تقر، كما ان قلبى بعده لا يسر

وكتب الى رئيس نيسابور

ارجو ان الشيخ لا يلقى امرى بيد الاغفال، ولا يسلك بحاجتى طريق المال، ولا يكلنى الى غيره فى حاجة كتبتها عليه ووضعت عنانها بيديه فمن المحال ان استمد النهر، واناجا البحر، وان احتاج الى النجم وانا اسرى فى وضوء البدر، وقد كان الشيخ فى تلك الحالة الاولى امهل حتى كأنه اهمل، وتغافل حتى كأنه غفل، ولست اشكو يومه لانى ارجو غده

وكتب الى على بن كامه

كتابى الى الامير عن سلامة اسأل الله تعالى ان يديمها، لا توصل الى خدمتها والحمد لله تعالى ونعمة الامير على النعمة المجملة المفصلة، الغراء المحجلة، التى ان سكت عن شكرها شكرها عنى اثرها على، وان كتمتها افشاها دونى من رآها لدى وانما انا غرس نعمته، وبنات راحته، نادمته وانا مقبل الشباب حدث الاتراب وها انا قد لجمنى الكبر بلجامه، ولثمنى البياض بلثامه، واذا عتقت المنادمة صارت سببا دانيا، وكانت رضاعا ثانيا، لا بل رضاع المحبة اقوى فى حكم الفتوة سببا من رضاع الدر، لان رضاع اللبن معروف المدة منقطع المدد، ورضاع الشراب دائم الشهر والدهر، واستوعب المدة والعمر، ولان رضاع اللبن يحرم من طريق النكاح، وان كان يعقد قرابة ووصلة من طريق الولادة فهو يعطى من حيث يمنع، ويصل من حيث يقطع، ويبعد سببا من حيث يقرب نسبا، ورضاع الشراب يصل من كل جوانبه، ويعقد حرمة من جميع مذاهبه، ولان رضاع اللبن يقع بين الاطفال الذين لا يتبينون احوالهم، ولا يعرفون ما عليهم مما لهم، ورضاع الشراب لا يقع الا بين الرجال الذين يعقلون كيف يصلون وكيف يقطعون

اقرأ السلام على الامير وقل له	ان المنادمة الرضاع الثانى
ان المنادمة التى نادمتنى	رفعت عنانى فوق كل عنان

واقل ما فى هذه الحال ان اشكرها فعلا، من حيث اشكرها قولا، وهو ان ازور تلك الحضرة الجليلة كما تزار عظام المشاهد واعتكف فيها كما يعتكف فى المساجد فانها وان لم تكن مشهد حرم وصلوات، فانها معتكف عطايا وصلات، وان لم يكن صاحبها امام خلافة يرجى ثواب زيارته فى الآجل فانه امام سماحة ينال ثواب زيارته فى العاجل، ولكنى رجل قد طال ذيلى وازدحم شغلى، وقيدت السن رجلى، فلا اقل الآن من ان اوجه رسولى وهما قلبى ولسانى، على ظهر مركبى وهما قلمى وبنانى، وان انظم فى شكر نعمة الامير قلائد لا السارق يسرقها، ولا النار تحرقها، ولا الماء يغرقها كل ناطق عندها ابكم، وكل شاعر باذانها مفحم، وسأبلغ من ذلك ما يقيم لى عذرا، ويصيرلى ولعنبى عدة وذخرا، ان شاء الله تعالى

وكتب اليه لما ولى قومس

كتبت والولاية التى شرفت بالامير ولم يشرف بها، وتسببت له ولم يتسبب لها، وصغرت قياسا الى شانه، من حيث كبرت قياسا الى مقاديرا هل زمانه، قد بلغنى خبرها فجررت ذيلى فرحا، ورحت لا تحملنى اعواد سرجى مرحا، ووددت وشربت طربا عليه البحر المحيط قدحا، واين بالامير عن افتراع المنابر وقيادة العساكر وهو من اهل بيت يحكم بالملك صغيرهم، ويشيب عليه كبيرهم، تقربا سائمهم المنابر بالنافرة، وتسكن باعلامهم البلاد الشاغرة، لم يوضعوا الا ندى ولا يه، ولم يروا الا تحت رايه، ولم يعتدوا الا فى مجوسياسته ورياسته، فلا زال يترقى ذروة رتبة بعد رتبة، ولا زال اسمه يقترع خطبة بكر بعد خطبة ولا زال الملك سليله ونتيجه، والعز صنيعته وخريجه حتى يملك الاقاليم ويفترش السرير العظيم فيعطى القوس باريها، ويملك الزعامة من يليق بها، ويحسن فيها

وكتب الى ابى طاهر وزير ابى على بن الياس بكرمان

كتبت ولما اتصل بى خبر المصيبة لم املك من قلبى الا ما شغلته بها، ولا من عينى الا

ما بكيت به لها، ونزل بى ما ينزل بمن قارعه الزمان عن واحده وناز عه الموت فى بعض نفسه وزاع عن يده الذخر الذى ادخره لصروف الزمان وسلبا لسيف الله ابزا بعده للقاء الاقران ثم تبخرت، وعودا الله تعالى بالصبر والعزلة، ثم بالتسليم للقضاء، وقلت انا لله وانا اليه راجعون كما امرت، وانتظرت الصلاة والرحمة كما وعدت، فلقد كانت المصيبة بفلان جراحة لا دواء لها الا الصبر، وخسرانا لا جبر له الا الاجر ولقد سلبته علقا من اخلاق الفضل لا يخاف من حصله غناء ولا يستعظم له ثمناء سهم المنايا بالذخائر مولع ولقد طلق من الدنيا عروساغدارة، مكارة غرارة ختارة، طالما قتلت بعلها، وخانت اهلها، فها انا ايد الله تعالى الشيخ جريح يد الدهر ولا طبيب لمن جرحه، وسليب يد الموت ولا ضامن لمن اجتوحه، وقد دفنت يدك بيدك، وبكيت على عينى بعينى، واودت فى نفسى عن نفسى والوزية بمثل فلان رزايا كما ان العطية كانت ببقائه عطايا ولكن لا كثير من المصائب مع التأدب بادب الله تعالى كما لا قليل من المواهب مع الايمان بالله تعالى، رحم الله فلانا الجامع لمحاسن الآداب الشيخ حلما وان كان غض الشباب فلقد اختضر وهو فتى السن، واهتصر وهو رطب الغصن وكسوف البدر عند تمامه اوقع، وكسر العود عند اعتداله اوجع

ان الفجيعة بالرياض نواضر	الاشد منها بالرياض ذوابلا

وكتب الى حاجب الوزير ابى القاسم بن عباد حين ورد خراسان وحمل اليه نزلا

حملت الى الخزانة عمرها الله تعالى بقاء الحاجب كما عمرت الى بقاء الصاحب شيئا من الطين الخراسانى والشراب الخمرانى فليتفضل بقبوله فان الطين تراب لا يعدو ومعا لا يعدو، على انى لو حملت اليه حياتى واهديت اليه صوبى وصلاتى، وكتبت فى صحيفته حياتى وقاسمته عمرى وجعلت له حظى من سعود دهرى ووضعت ذلك كله بين طبق من قلبى ومكبة من صدرى ما كنت الا بالعجز موسوما، وعلى التفريط ملوما، وانما جلبت هذا اليسير الحقير النزر الصغير من داره الصغرى الى داره الكبرى وحولته الى يده اليمنى من يده اليسرى فان رأى

الحاجب ان يتواضع بناء، ويخفض جناحه لنا، فعل ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابى محمد العلوى

كتابى عن سلامة اسأل الله تعالى للسيد مثلها، بل لا ارضى له ضعفها ووصل كتاب السيد المشحون لطفا وبراء المفيد فخرا وذخرا، الموجب الحمد لله شكرا، الذى كل حرف منه فائدة بل كل نكتة بل كل فقرة بل كل تصنيف وخطبة تشغل بتخليدها الاقلام، ويحفظها الافهام، ذكر السيد فى كتابه ان اهل اصفهان تزاحموا عليه واستعاروا كتابى اليه، وذكروا انى اكتب من اخذ قلما، ونثر كلما، وهذا باب ما قرعته، وشأن ما اتبعته، و صناعة ما درت حولها، فان كان الاقبال ساق الى هذه الغريبة، والاتفاق اعطانى هذه الرغيبة، فما ازد نعمة الله تعالى اذا صارت الى، ولا ادفع فى يحر السعادة اذا طلعت على، ولا شك ان هذه ثمرة محبتى للعترة الطاهرة صلوات الله تعالى عليهم اجمعين وقد كنت اذهب فى رد العدو الى حكم الخبر، فى العدو والهامة والصفر، والآن اتهمت من رواه وكذبت من حكاه وتأولت ان السيد اعدانى بكتابته، واعطانى بعض براعته، يجمع اسمى مع اسمه ويجعل فهمى جنيبة لفهمه، الحاجة التى استبطأت فيها السيد انما خرج كلامى مخرج الادلال وليس يعجب تسخب الشيعى على الرافضى ولا تحكم الملحف على السخى سمعت كلام فلان وبمثل ذلك الكلام يتسلى الاخرس على بكه، ويفرح الاصم بصممه، ولمثله رزق الصمت المحبة واعطى الانصاف الفضيلة ولكن ماذا اقول فى معايب قوم هم خيرانى فى الدار، واخوانى فى النجار، وبيضتى التى تفلقت عنى، وغيضتى التى التفت حولى وبلدهم عشى الذى درجت فيه و بيتى الذى خرجت منه، فحاسنهم الى منسوبة، ومساويهم على محسوبة

وهل انا الا من غزية ان غوت	غويت وان ترشد غزية ارشد

وبودى لو وجدت لهؤلاء القوم فى درج الفضل ادنى هرقاه ورايت لهم فى مساعى السبق قل مسعاه، فجعلت الخطوة ميلا، وادعيت القليل جليلا، ولكن

ولكن ادعاء الفضل من غير معونة نقيصة، كان الاقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة والقتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال، وتعرض لسهام الآجال،

ولو ان قومى انطقتنى رماحهم	نطقت ولكن الرماح اجرت

على انى احمد الله تعالى اذ كان قائل ذلك الكلام فى الاصول كلا بيا، وفى الفروع ناصبيا، ولو كان لمنطقه حظ من الطراوة والطلاوة، او من كلامه فى معرض من القبول والحلاوة، لصار شبكة من شباك الشبهة، وبابا من ابواب الضلال والفتنة، وحبالة من حبائل الشيطان، ورقية من رقى البهتان، ولفتح علينا بابا يفسد المذهب، ويورث التعب، والله تعالى الطف بالاسلام، وارحم للانام، من ان يعطى عدوه سلاحا يغلب به اولياءه، وينصر به اعداءه، ذكر السيد شهادة الوزير لى واعتداده بى، وهذه نعمة طالما تدرعت جمالها، وتسربلت سربالها وجررت اذيالها، لا زال الفضل ببقاء ذلك السيد ثابت المناكب، مقبل الجوانب، عامر الطرق بالجائى والذاهب، ولا سلب الله تعالى الزمان جماله بذكره، ولا العباد دنياهم بطول عمره، ولا زال جاهه مبذولا، و بابه مأهولا، وفضله مأمولا، وسيفه على اعداء الله تعالى مسلولا، وعدوه بحده مقتولا، ولا زال الشرق يفاخر به الغرب والعجم تفاخر به العرب بل لا زالت اصفهان تفاخر به البلاد، واهلها يباهون به العباد،

وهذا دعاء لو سكت كفيته	فانى سألت الله فيه وقد فعل

ولم يبق الا ان يرزق عمرا يسع نعمته، ودهرا يأوى قيمته، فان هذا الزمان يضيق عن نفسه، وان كان يتسع لشخصه، وكان الله تعالى لم يخلقه الا ليعلم خلقه كيف يحيى الكرم، وكيف يمد ذاهب الهمم وليلزم حجته من جحد احياء الموتى وقال بقدم الدهر والدنيا فان من قدر على ان يحيى ميت الخلق، قدر على ان يحيى ميت الخلق، وليكذب عبيد بن الابرص فى قوله، وغائب الموت لا يؤوب، ولبيد بن ربيعة فى قوله

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم	وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فقد رأينا من يعيش فى كنف الاعداء، فكيف الاولياء، ويرد

وكتب الى قاضى القضاة

كتابى الى القاضى عن سلامة من الله تعالى بها بعد اليأس منها، وقربها بعد البعد عنها، واهلنى لها اضعف ما كنت املا، واسوأ ما كنت عملا، واقبح ما كان بينى وبين الله تعالى اثر احين اتحلت عقدة الرجاء، ولحظتنى عين البلاء وامرضنى طبيب الاطباء، وبعدت على مسافة الشفاء، وتقاصرت عن علاجى خطوة الدواء، وافلست من العافية كما ايسرت من الحمى، وقربت من الآخرة كما بعدت من الدنيا، ووقفت على جسر قدامه الوفاة، وخلفه الحياة، ونظرت الى المنية عن عين كريه نظرها، حديد بصرها، وعرفنى الايام ان ابن آدم ضعيف التركيب منقض التربيب دواؤه داؤه وبقاؤه فناؤه، واعضاؤه اعداؤه كفاه موتا ان يبقى فيهرم، وحسبه داء ان يصح ويسقم، ثم اراد الله تعالى ان يرى عبده رحمته، بعد ما اراه قدرته، فاقامه من صرعته، واستله من مخالب علته، وازال عنه يد المنية بعد ما اشتبكت به، فله الحمد ربا عفوا غفورا، رحيما شكورا، يأخذ حكمة وعدلا، ويعفو رحمة وفضلا، ويمرض عبده ليعتبر، ويعافيه ليشكر، ثم لا يغلق عنه باب الدعاء، ولا يحسم مادة الرجاء، ولا يديم مدة البلاء، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد خاتم الانبياء، وعلى آله الطاهرين الازكياء، كان ورد على كتاب القاضى فاستطرته حرفا حرفا، وقبلته الفا الفا، وضممته الى الصدر والنحر، وسجدت له حين رأيته سجدة الشكر، وما اظن سبب تأخره كان عنى الا شدة شوقه اليه وفرط حرصه عليه، فان الحرص شوم والحريص محروم، وهذه عادة الدهر مع وقديم صنعه بى فانه اذا علم انى احب امرا ناطه بالعيوق، ووضعه موضع بيض الانوق، وابعده وهو غير بعيد، وشدده وهو غير شديد، وانا بعد اليوم لا اقر الدهر بما اقترحه علية، واطلبه لديه، فلعلى اخدعه عن طبعه، واختله عن سوء صنعه، ومن زايخادع الايام، او يغالط الحظوظ والاقسام، فلان

قد ولى قضاء كذا عرفه الله تعالى بركة ولايته، ولا جعل هذا الامر اقصى غايته وجعل ولايته منفعة، وعزله فراغا ودعة، ولا جعل شغله سخرة، ولا فراغه عطلة، آجر الله تعالى القاضى على المصيبة بفلان فلقد كنت بحياته قرير العين شديد الركن يؤنسنى ان جمعت بينى وبين بقعة، ويسوءنى ان تضم اسمى الى اسمه صنيعة، وكنت اعده لى جناحا وسلاحا، وفى ظلمات الخطوب مصباحا وصباحا، فغصبنيه دهر طالما غصب فلم يطالب وسلبنيه قدر طالما سلب فلم يعاتب، ولو لا كراهتى الاعتراض على القضايا والتحكم على المنايا، لقلت أيموت فلان الفلانى ويعيش فلان الفلانى خطب منكر، وبدل لعمرى، وسبحان من لم يزل فى كل قضية الطاف نعرفها، فنثبتها فى فضله ونعته، ونجهلها فنردها الى عدله وحكمته، فانما كان يتمام نجوم الادب هو، او غصنا من غصون العلم ذوى فانا لله وانا اليه راجعون ثم انا لله ورحم الله المتوفى رحمة تغسل اوضاره، وتحط اوزاره، والحقه بالطيبين الطاهرين من آل يس، وفرق بينه وبين النواصب الضالين الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا زال القاضى يعزى عراجابه، ولا يعزى عنه ولا به، ولا كان عليه طريق للنوائب، ولا على جنبته معاب للمصائب

وكتب الى قاضى سجستان حين نكبه امير هراة

اذا ما الدهر جر على اناس	كلاكله انا خ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا	سيلقى الشامتون كما لقينا

اما بعد ايد الله تعالى القاضى فانه لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسه، ولم ينصر احد قاءه، من خذل حوباءه، وانما يحب المرء اخاه بما فضل عن محبته لروحه التى له نخيرها، وعليه ضيرها، وكانت محنة القاضى محنة شملت الانام، وخصت الكرام، ووجب على كل من اشتم روائح العقل ويزين النقصان والفضل ان ينفطر لها الماء، وان يبكى عندها دما، وخلص الى من ذلك ما اضحك منى الاعداء، وابكى لى الاصدقاء، حتى رحمنى من كان

يحسدني وحتى عجب من جزعي من كان يصبرني وحتى غضضت طرفا طالما رفعته، وقبضت بنانا طالما بسطته، وحتى عزيت كما يعزى الثكلان، وسليت كما يسلى اللهفان، وانا بعد ذلك استصغر فعل نفسي وهي جزعة هلعة، واستقل سعي وهي بحيث تدمعة، وكان يجب على مقتضى هذه الجملة واساس هذه البنية ان احضر مجلس القاضي فاصابره نهارا واساهره ليلا وتكون المحنة بيني وبينه احملها عنه ويحملها عني ولكني علمت ان والينا هذا رجل ينظر الى الذنب الخفي ويتغابى عن العذر الجلي وله اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهي كاذبة، واخرى يصم بها عن المعاذير وهي صادقة، وليس بينه وبين العفو نسب ولا له الى التثبت طريق ولا مذهب، ولو تعرضت لسخطه، بعد ما عوفته من شططه، لتحملت دونه الوزر في ظلمي ولكنت مقدمته الى ذمي ومن قعد تحت الريبة ركبته، ومن تعرض للظنة نالته،

ومن دعا الناس الى ذمه		رموه بالحق و بالباطل	

واقل ما كان ينبعث من حضوري ان يثب هذا الجواد وثبة يصون القاضي عنها، ويبتذلني لها، فاكون قد ضمنت نفسي ولم انفع غيري، فاذا بالمحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين، ونكرت عليه كرتين يرى بوادرها من وليائه، داء لا يقدر على دوائه، ويرى وقودا لا يصل الى اطفائه، ويتبين في حاله متصلة بحاله ثلمة لا يمكن سدها، ومحنة لا يستوي له ردها، فلما مثلت بين تخلفي عنها، و حضوري خائفا، عدلت بين طرفي الرؤية، ووزنت بين مقدار المحنة، فرأيت ان اميل مع السلامة، واقنع من العمل بالنية، واغلف عهدة التفصيل لصحة الجملة فغبت وكلي غير جسمي شاهد، وتميزت وما انا الا مشاهد، وبعدت و قلبي قريب وباينت وقلبي بهيم واغضيت على عين كلها قذى وانطويت على صدر كله شجاء، وانصرفت بقلب ساقط راض واغمضت بجفن ضاحك باك وقلت

فان تسجنوا القيسي لا تسجنوا اسمه		ولا تسجنوا معروفه في القبائل	

ولقد نسجت في ذم الظالم حللا لا يبلها الماء، ولا يجففها الهواء، ولا تغطى عليها الظلماء، والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض

والرابح من محنته فانية ومثوبته باقية ولو انصف الظالم لكان بعزني ولو انصف المظلوم لكان يهنئني جعل الله تعالى هذه الحادثة بواء عقباء ليس لها مدد ولا ليوم بعدها غد وجعل العمل بما آخر عهد القاضي بالعسر، وخاتمة لقائه لريب الدهر ولا حوج فيها نزل به مثوبة الصابرين، ولا اخلاه فيما بعده من مزيد الشاكرين برحمته

وكتب الى مسكويه وقد تزوجت امه

العاقل اعزك الله تعالى لا يرى المحنة اذا تخطت دينه محنة، ولا يرى النعمة اذا تعلقت بذنب خطيئة نعمة، ولا يريد الشرف الا بالتقوى، ولا يرى الضعة الا ما وضع من رتبته في الدار الاخرى، وبلغني ما اختارته لوالدة صانها الله تعالى فحمدت الله تعالى الذي رزقك والدا لا يلزمك حق بوته ووعدك اخا لا يجلك حمل اخوته، وقد كنت سأل الله تعالى ان يبارك لك في حياتها، و الآن اسأله ان يعجل لك بوفاتها، فان القبر اكرم صهرا، وان الموت استر ستره ولا تذهب نفسك حسرات على ما سبقك عليه الدهر، وغلبك عليه الرزق فلا حمية فيما احل الله، ولا مضايقة من حيث وسع الله، وللانسان اباء، الحمد لله الذي كان العقوق من جهتها، ووقع الجفاء من جنبتها، فانك بر رتهما صغيرا و بلغت مرادها كبيرا، فاجتمع لك برهان، ووقع لك على الله اجران

وكتب الى صديق له على ديوان الخراج

الايام ايدك الله تعالى بيني وبينك ترجمة لي عن صحتك وفائك، وشهود عندك على صدق اخائك، واقل حقوقك علي يلزمني ان لا اشغل لساني بغير شكرك، ولا قلبي الا بذكرك، ولو تجاوزوا الطبقات اهل مودتك في ميدان الثقة، وتنازعوا اخصل الانس والثقة، رجوت ان اكون سابقا ليس له سابق، ولا يذكر معه لاحق، وان تجلى الغاية مني عن مجنبة مرباة بالوفاء وعن شكر مرضع بالدعاء، وقد بلغني خبر سعيك لفلان في العمل الذي هو دون قدره، وان كان فوق اعمال عصره فشكرتك عنه وان كان شكرك

اوفى واملا، وبايفائك حقك احق واولى واردت ان اكل شكرك اليه، ولا
اتطفل فيه عليه، فكرهت ان تطوى صحيفة الشكر ولم يجر لى فيها اسم، و
ان تختم جريدة المشاركة ولم يكن لى فيها قسم، فذكرتك وانت له اذكر،
وشكرتك عنه وهو لك منى اشكر، على انى ارغب بذلك الحر عن التلطخ باوضار
الاعمال، فانما مزالق اقدام الرجال، وضنابه عن تخاليط الايام، وصيانة
لمحله عن مدانسة الاوهام، ونعتك عليه مقتسمة بينى وبينه بل اكثرها
لى دونه، فانظنك بعارفة واحدة تكسبك شكرين، وتستعبد لك حرين، وجدير
بمن هطلت عليه سحائب عنايتك، وزفرفت حوله اجنحة رعايتك ان ينبو عنه
سيف الزمان مفلولا، ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما والله عز وجل
اسأل ان لا يحرمك نعمة يمدك بها عنق ودود، ومنة تفقأ عنك عين حسود،
اخبرت انك ايدك الله تحدث نفسك بزيارتى وانه ليسرنى ان اخطر ببالك، و
يسوءنى ان اصير زيادة فى شغالك، ولا تجشم نفسك فان خيالك فى كل
ليلة نائب عنك عنك، وان لم يكن فيه ولا فى الدنيا كلها عوض لى منك

وكتب الى ابى محمد العلوى

كتابى عن حضرة الوزير وانا راتع فى فضله، مستدر من الايام بظله، متعرف
نعمة الله تعالى على به وقد كنت اشكو الى السيد ما منيت به من ضعف احتمالى
لاعباء منن الوزير على، وسوء مجاورتى لاحسانه الى وكنت اخشى ان اكون
سببا لحرمانه غيرى من نزاع الآمال اليه، ووفود الشكر عليه، فيقدر ان
كلا منهم يكفر النعمة كفرى، ويستر وجه الصنيعة سترى والكفر مخبثة
لنفس المنعم، فقصدته هذه الكرة لاقيم عاذرى واقوم بعض شكرى واحط
عن رقبتى تلك الاعباء التى قمت تحتها طليحا، لا بل قعدت نحوها طريحا، فما
هو الا ان وردت حضرته حتى انثال على من عطاياه الغزار، ومن نعمه الغرائب
والابكار، ماصيرا مسى بغض يوحى الى ويوحى اكرمهما على، حتى لم تبق
زاوية من زوايا الافضال الا جال فيها قداحا واجرى باسمى عليها سهما

ولو

ولولا ان بعض الشاكرين يسلف الشكر قبل ان يستحق عليه، ويتحمل البر قبل
ان يسدى اليه، ويجعل ذلك استجلاب رزق وايجاب حق، واقامة سوق
لكنت لا اقتصر على هذا المقدار شكرا، ولا اضعافه عشرا، ولكنت لا
ارجع عن هذا الميدان الواسع بمقدار هذا الطلق، ولا ارجو هذا الغرض
البعيد بمثل هذا الوشق بل كنت لا انصرف وفى الجفير نبل، ولا انقطع وفى
القوبحة فضل، ولا ارضى من نفسى لا بان اصير محسورا وامسى مهورا

فقد وجدت مكان القول ذا سعة	فان وجدت لسانا قائلا فقل

وما ظن السيد برجل ليس لعطائه اسم غير الجزيل، ولا لفعاله نعت الا الجميل
اول لقائه بشر، وآخره بر، ومقدمة فعاله الى زواره بشر، وساقتها نعم،
اكثر ما يكون نوالا، اشد ما يكون السائل سؤالا، واكثر ما كان الطافا، اكثر
ما كان الزائر الحافا، واسهل ما كان حجابا، واطلق ما كان وجها ازحم ما كان
شغلا واضيق ما كان وقتا واخصب ما كان نوالا، اجدب ما كان
واعدل ما كان فى القضية، واحكم ما كان بالسوية، اخصر ما كان للمحكوم عليه
وسيلة، وانفذ ما كان حيلة، واوسع ما كان نطاقا، اضيق ما كان الخطب خناقا
واسمح ما كان حلما، اعظم ما كان الجانى جرما، واجرا ما كان مقدما، اهول
ما كانت الحروب لقحا، والعساكر عظما، واضحك ما كان سنا، اشد
ما حكان قلبه حزنا، واسمح ما كان بماله، لمن استفاد بحاله لا يصارف
فى عطاء، ولا يحاسب على آلاء، قد تكافأت اقسام فضله، وتناظرت
محاسن قوله وفعله، فلم يشغله السخاء عن الشجاعة، ولا صرفه الحلم عن
السياسة، ولا ثنى عنانه علم الحديث والاثر، عن علم الكلام والنظر، ولا
قدح فى هيبته، ما اشربته القلوب من محبته، ولا بخس الرئاسة حقها، من حيث
وفى العشرة حظها، فهو القوى من غير عنف، واللين من غير ضعف، والشجاع
الا انه سخى والحافظ الا انه ذكى واللغوا الا انه نحوى، والسلطان
الا انه تقى والسائس الا انه ارجى يسكت حلما لا حصرا، وينطق
علما لا هذرا، ويحلم كرما لا غفلة ويمنع نظرا لا تقتيرا ويقدم شجاعة لا خرقا

ويتوقف حزنا لاجبنا كل حسنة من حسناته واقفة على حد يادونه تفريط ولا
وراءه افراط يخرج مكارمه في قصد الافعال ويزن افعاله في كفة الاعتدال

لا عيب فيه يعاب لا انني	اسى عليه من المنون شفيقا

بل عيبه انه في زمان لا يسعه، وفي عالم لا يستحقه، وبين قوم يفعل ولا
يقولون، ويحسن ولا يستحسنون، ويبصر ولا يستبصرون، ويروي
ولا يروون، ومنع واجبا لا استحسان، قطع لمواد الاحسان، وتضييع
حقوق النعمة، داعية من يد واعى النقمة، واقل ما عنده ان عطاياه قد صيرت
المفحم شاعرا وجعلت العفيف سائلا كالمنهل يقصر رشاؤه، ويعذب ماؤه
فيشرب منه العطشان نهلا، والريان عللا. وكالطعام يحسن في العين ويطيب
في البطن ويخف على القلب فيأكله المجائع تغذيا والشبعان تفكها والحمد لله
الذي رأني بهذه الحضرة الاغنياء يعملون عمل الفقراء، والملوك يحترفون حرفة
الشعراء، وما رأيت حضرة اكثر منها داخلا راجيا، ولا خارجا راضيا و
لا اجمع فيها بين وجهين مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما
الاصل والنسب وجمع بينهما القصد والطلب فوردا وهما اعرى من الحية
وصدرا وهما اكسى من الكعبة، ودخلا وهما اخلى من الراحة وخرجا وهما
اغنى من الشمسة حتى لقد صارت مجمع الرجال ومثابة العطاء، وملقى
الرحال وموسم الشعراء وقرارة ينصب اليها العلم والادب وقبلة يهوي اليها العجم
والعرب وما فيهم الا من يود لو اصبحت حوارحه السنة تشكر، وقلوبا تحفظ وتذكر
هذا وفي شواهد حاله، ما يغني عن استماع اقواله، وشاهد العيان، اقوى
من شاهد البيان ودليل البصر، اوضح من دليل الخبر، وناوس كسوي مدح من شعر
زهير بن ابي سلمى ولو مجد واكذبتهم العواقب ولو سكتوا اثنت عليه الحقائب جمع
طبقات اهل الفضل رجلان اما اليه ظاعن واما بحضرته قاطن. فالظاعن
يحسد القاطن والقاطن يستبطئ الظاعن فقد نفضت اليه البلاد رجالها
وبرزت له جمالها والقت له الارض فلاذ كبدها، وحسبك بالغلاء جالبا
وبالاحسان جاذبا ومن حصاد ثمرة الغراب لم يفارقها ابدا، ومن وجد الاحسان

قيد تقيدا، ولقد اصلحني هذا السيد بل افسدني وقربني الى الناس بل ابعدني
لاني بعده لا استام الا العظيم ولا ارعى الا الجميم ولا استكوم الكريم ولا الوم اللئيم
لان الناس كلهم في عيني بعده لئام، فكيف اعيب ما اجتمع عليه الانام، ومن احمد
مراده، وصادف من الماء والكلا مراده، لم يشرب الا مرعفوه، ولم ينل الا من صفوه
ولم يلق دلوه الا فجه، ولم يرتع الا بين غدير وروضه، فها انا اصبح وامسي
بين السهل والجذل واتقلب بين العلو والنهل، واردد الطرف بين الخيل و
الخول، قد استوفيت على الايام حواصلي وبقاياي وضممت على مطالبي
منها بهناي وبهنائي واصبح اعدائي وهم بالحاجة الى وليائي كما اصبح
اصدقائي وهم بالحسد لي اعدائي فلا طريق الى الفقر، ولا منفذ في لسهام
الدهر، والى الله تعالى المعذرة من لساني العيي وخاطري البكي وقد ساءت
مجاورة هذه النعمة بكفرها، وسودت وجه هذه العارفة بقلة شكرها، وسوء
الشكر، اول منازل الكفر، وقلة النهك للشكر والاذاعة، اول طبقات الجحد
والاضاعة وقد رأيت بهذه الحضرة اقواما كانت شاهدتهم على باب سيف
الدولة ومنهل الصبا عذبا وعود الشباب رطبا وذكرت بهم مآرب هنالك و
اياما سلبتها سلبا، ونزعت من يدي غصبا، ودهرا كأني كنت اقطعه وثبا، فلما
رأيتهم قد هاجروا الى هذه الحضرة، وجعلوها من بين الدنيا هجرة، علمت ان الكرم
يتوارث بين الكرام وانه انحدر الى اصفهان من الشام، وان العلم والادب يتيمان
ليس عليهما غيرة وصحن وان المروءة والسيادة ايمان مالهما سواه ولي وان
المغرب لسيف الدولة رحمه الله، والمشرق لحضرة الوزير ابدها الله

ارض مصرية وارض تنجم	منها التي رزقت واخرى تحرم
واذا نظرت الى البلاد رأيتها	تثرى كما تثرى الرجال وتعدم

فاما آل ابي طالب فانهم ينزلون منه على سيف الشيع وسنانه، وعلى
يد الحق ولسانه، وماضيهم مع حياته ان لا يعيش لهم الا شتر، وماضيهم
مع عطائه الا يتردد عليهم فدك وخيبر، غيرة منه على الشرف ان
لا يصان عن الابتذال وحله، وان لا يحفظ فيه وله اهله ذها بانفسه

عن اتباع الانام، وتقليد الايام، في هانة الكرام، واكرام اللئام

ان الكريمة يبصر الكرم ابنها		وابن اللئيمة للئام نصور	

فلاجرم ان الايام تتطفل عليه من السعود بما لم يقترحه عليها، وتخرج له من خبايا الصنع الجميل ما لم يقدره لدبها، لما رأته يخرج زكاة نعم الله تعالى عليه ويستظهر باحراز ودائع الله تعالى لديه فعنده في كل يوم نعمة تصغر النعم، وتتعب في اداء شكرها اليد والقلم

وما بلغت آمالنا منه رتبة		نراها رضا في قدره المتجدد	

وقد علم السيد انه ليس من فوق الاسلام فرقة الا وقد هبت لاهلها وريحة ودالت لها دولة كما اتفق للمختار بن ابي عبيد للكيسانية، ويزيد بن الوليد للغيلانية، وابراهيم بن عبيد الله للزيدية والمأمون لسائر الشيعة والمعتصم والواثق للمعتزلة والمتوكل للنواصب والحشوية وما بلغنا ان احدا من اصحاب تلك الدول زاد في عدد تلك النحل، ولقد قتل المختار اهل الكوفة وبعث كتبه ورسله الى اهل البصرة فما قدر ان يزيد حجة واحدة في عدد حجج الشيعة، ولقد دفع المعتصم سوطه ووضع سيفه وصلب وصادر وسلب ووعد وابعد فنبا عنه الدهر بحاجته، وقامت العوائق عليه في وجه بغيته، وهذا الرجل لم يزل يستدعي بقوله وفعله ويستعين على عمارة المذهب بجاهه وماله، ويجرد لسانه والسيف مغمد، ويغمد لسانه والسيف مجرد، حتى اذا علم الله صدق نيته، ومضاء عزيمته، ورآه لا يريد الا رضاه، ولا يسلك الا طريق هداه، جمع عليه القلوب المتعادية، والفة الاهواء المتباينة فدخل الجميع دين الله افواجا، وتقاطروا على استجابة الدعوة فرادى وازواجا فلم يبق في نواحي سلطانه احد من النواصب الا وقد غاصت عليه الرحمة وخلصت له الدعوة فهو مبتدئ بالدرس قد نبغ، او متوجه في العلم قد بلغ، وان احدهم ليدخل في الحق تحسنا، فيجد بركة الدين حتى يعتقده تدينا، والناس بالزمان والزمان بالسلطان، واذا اراد الله امرا كان، وما اقرب البعيد اذا صادف اسبابا، ووافق دعاء مستجابا، وما اسهل الصعب

الصعب اذا حضره التسديد والتأييد، وان رجلا يحيل طباع الزمان وينقض بنية البلدان، ويفطم الناس عن عادة المنشأ والف الاخوان، والاباء ويصيره حدا بين النار والجنة، ويزخا بين البدعة والسنة، لعظيم حجم الهمة، واسع ذرع البسطة بعيد مضرب العزم والنية ثابت مناكب الحول القوة سالك في طريقة لم يسلكها من قبله ولن يسلكها من بعده وشتان بين من يصطاد وحش الفلا وبين من يصطاد قلوب الورى، وما البعد ما بين من يبني البنيان، ومن يبني المقالات والاديان، واين من يعمر الرساتيق والامصار، من يعمر الجنة ويخرب النار، لا بل اين من يفترع عذارى الجواري ممن يفترع عذارى المعالي، ولكن كل قوم على مقاديرهم يدركون، وكل حزب بما لديهم فرحون، هذه ايد الله السيد شهادة ما اقتها حتى اعددت لتعديلي فيها مزكين وهما السوءد والكرم، ونصبت لقبولها مني قاضيين وهما النعم والنقم، وكتبت بها سجلا حرره بيد الصدق، وطبعته بخاتم الحق، وحضرته من توفيق الله تعالى اذن تسمع وعين ترى فمن رضي بقولي فانما مدح نفسه، وزكى حسه، واشرف من الحق من قبله، واحسن من الحسن من فعله، ومن غضب فلا ارضاه الله، فانما سخط من الحق ما يرضاه الله، وباب الاحسان مفتوح فمن شاء دخله، وحمى الجميل مباح فمن اشتهى فعله، وليس على المكارم حجاب، ولا يغلق دونها باب

اذا اعجبتك خصال امرئ	فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد من حاجب	اذا جئته زائرا يحجبك

وكتب الى تلميذ له وقد استعار نسخة رسائله ينسخها فتماطل

انت مشغول بنسخ ما استعرته من الرسائل، ولا يسع القلب الواحد لكل هذه الشواغل، وغيرك من اصحابنا حريص على نسخها ولو كان القلم يمينه، والقرطاس جبينه، والثمن دنياه ودينه، فاعرهم اعزك الله تعالى فالى ان تتفرغ لها، قد فرغ غيرك منها، وحصل اليوم شكر المعير وغد فائدة المستعير، فاذا انت قد افدت واستفدت، وابدأت في الربح

واعدت ، واجعل تعجيل ردها الينا ، كفارة لما جنيته من حبسها علينا

وكتب الى خوارزمشاه

بعد ما كان الامير وسمني من تقريبه لي وتحفيه بي سنة طار في الناس ذكرها وفاح بين العالم نشرها ، وتوجهت الى المطالب وقصد لي الراغب والراهب ، و صرت مثابة من مثابات الوسائل ، وصار بابي سوقا من اسواق الحاجات والمسائل ، نزغ بيننا الشيطان ، ودب الينا الحدثان ، وكدت عند الامير تلك السوق التي لم اشكره في نفاقها ، ولم اعاتبه على كسادها ، والامير يكرمه يقيم لي في الظاهر رسم الانعام ، ويعظم قدري توفره على نصيبي من الاعظام والناس يحسبون ان حظي من قلبه ، حظي من ظاهر قربه ، وان محلي من ضميره في المحبة ، كفاء محلي من ظاهره في الرتبة ، فلست اعدم كل يوم مستشفعا بي اليه ، ولا يعلم هو اني عليه ، ومستعينا بجاهي عنده ، ولا يشعر الى قومي سبابي لخيبة له ، فان ردتهم ظنوا بي الظنون ، ولا مونى وهم لا يعلمون ، وان اجبتهم ، ظلمت الامير وظلمتهم ، اما ظلمي للامير فتعريضه لرد الوسائل ، واقامته مقام المانع الباخل ، واما ظلمي لهم فبيعي المغشوش منهم ، وتشفي بما ليس عندي عليهم ، واني لا بغض الظلم من نوع فكيف من نوعين ، واكره ان اكون مسيئا الى واحد فكيف الى اثنين ، وحاجتي الى الامير ان ينزلني من لقائه وبشره ، منزلتي من يكنون صدره ، وان يسمني مع ابعادي عنه ، كما يسمني بتقريبي منه ، وان يجعل هذه الاخرى سبيلا لسلامتي كما جعل تلك الاولى سببا لغنيمتي ، فاني شاكره على هذا الجفاء ، كما شكرته على ذلك البر والاحتفاء ، فان كل اللسان او تعذر على خاطري الاحسان سرقت من كلام الامير ثم رددته عليه ، فاكون قد بعثت منه بزه و اهديت اليه ملكه واصير عيالا عليه في مقالة كما طالما كنت عيالا عليه في مالة

وكتب الى كاتب صنا الجيش جوابا عن رسالة مدحه وعاتبه فيها

فهمت كتابك الذي هو اشرف كتاب الي ، قد رصع باظرف عتاب علي وما كان احوجك الى ان تجعل كلامك بمائه ، وتحلي اطراف الناصع ببهائه ، فلا تشوبه بالعتاب ولا تكدره بمر الخطاب فتكون قد ادبتنا بصمتك ، وعاقبتنا بعفوك فكفانا سلاحالك قراع الحلم دونك فلربما بلغ الاحسان من العقوبة ما لا تبلغه الاساءة ، ودخلت المسرة مداخل تنبو عنها المساءة ، على اني ما اجهل منفعة العتاب ولا انكر موافقة بين الاحباب ولا اشك في انه يطري خلق الود ويجلو غبرة العهد ، ويداوي دواء القلوب ويترجم عن خفيات الغيوب وانه الانموذج بين الاولياء والاعداء ، والجسر بين المدح والثناء ، و المصلح للعشرة الفاسدة والمقرب بين الديار المتباعدة ، ولهذا اشتقت لفظة العتبى وهي الرجوع الى الرضا ولكن اذا كان مصدره عن شكاية ومنبعه عن جناية ، ووقع عن فترة في الود عرضت ، او ثلمة في الانصاف حدثت جمع الشمل ، وجدد الوصل ، وصقل ما صدئ من العشرة ، وازال ما وقع من الفترة ، واذا كان مصدره عن تجرم وتجن كان مفتاحا للباب العربدة ، ومكدرا لصفو المودة ، وترجمانا عن لسان القطيعة وانما هو دواء اذا لم يصادف داء استحال داء ، واذا صادفه كان شفاء . وقد كانت هذه الواحدة منك فلتة وقال الله شرها فمن عاد الى مثلها فلننا به بسم القطيعة وهو اشد الحتوف وضربناه بسيف الهجر وهو امضى السيوف ولولا اني لا استخير مقابلتك ولا ادعى معارضتك لزعمت انك الظالم المتظلم والمجرم المتجرم وانك لما عرفت جرمك ، وتذكرت ظلمك وعلمت ما وجب عليك من العتاب الذي هو بالغ العقاب ورأيت انك قد ارتكبت من القطيعة جريرة قد حلت عرضك الالسنة الواقعة فيك واهدفت جانبك للظنون المظنونة بك اخذت احتال قبل ان يأخذك وشكوته قبل ان يشكوك وبرزت هاربا فوزي طالب وخرجت جانيا في معرض عاتب وتكلمت بجراءة المنصف تحتما جور الظالم واديت بحجة البرئ وانت عين الجارم ، حتى لقد كدت ان تشككني في نفسي وتغلبني على علمي وتجعل لوهمي سلطانا على فهمي لولا يقيني بباطلك ومعرفتي ان الاساءة في ثقلك

والله تعالى المستعان على صديق نحن منه بين اثنتين اذا صارمنا اذا قام وارة
صده وسامنا بشاعة فقده وصفرت بيننا وبينه وطاب اللقاء، واقفرت بيننا
وبينه معاهد الاخاء، ودبت لنا وله عقارب القطيعة، وهبت علينا وعليه
رياح الجفوة الفجيعة، وذاصا لحنا نسب الينا المظالم، وتجرم علينا الجرائم
وعلى ذلك فصلحه احب الينا من حربه، وبعده اثقل علينا من قربه

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا	على ان قرب الدار خير من البعد

ذكرت انك متزحزح مني بين وصل واعراض ومرتبك من عشرتي بين
انبساط وانقباض ولقد صدقت في الاولى ولا اقول كذبت في الاخرى يسقي
الله ايامنا التي عاشرتنا فيها عشرة قصرت عن تنا ولها يد الدهر، وطرفت
عن ملاحظتها عين القطيعة والهجر، وجلت عن ان تشلها انياب السعاة
ونبت عن ان تمضي فيها معاول الوشاة حتى لقد دخلنا من الانس مداخل
لا تطردها الحشمة، وفتلنا من الوصل مرائر البين والغيبة، حتى اذا امنت
عليك الدهر الذي لا يؤمن واثمنت عليك العيش الذي لا يؤتمن خالقتني
الى الود فهدمت منه ما بنيته، وسبقتني الى الوصل فعوجت من اطرافه
ما سويته، وابرزت مصون الوفاء للعذر، ووضعت ربقة الاخوة
في يد الدهر، وسلطت على مازرعته يد الوفاء، حاصدا من الجفاء، و
ذكرت بعد هذا كله اني استأذنك في الهجران والصد، وتلميذك في الوفاء
وحسن العهد، وانك عرفتني ثم انكرتني واستللت مسيء ثم استوعيتني
وهذه دعوى قد سلمت اولها، وانكرت آخرها، وانا فيما عرفته لك
ولست فيما انكرته عليك، فان العمر اقصر مدة، والزمان اصغر مسافة
من ان اختص مهما معك بالعتب والعتاب واستهلك نفسي منهما ومنك
من تكليف الابتداء واقتضاء الجواب، فان المودة اذا كانت لا تنبعث
الا بالاستبطاء، ولا يمشي امرها الا بالعتب والاشتكاء، كانت كالعلق
النفيس يحتوي غصبا، ويؤخذ سلبا، وكان المطالب فيها كالمصادر
على قلبه، وكالمستنزل كرها عن حبه، وانا بعد هذا ابرأ اليك من عهدة

خاطري

خاطري العليل، ولساني الكليل، وكيف ينبعثان لي في عتابك وهما مقصوران في
مدحك، وكيف يسرعان في حربك وهما بطيئان في صلحك، هذا وطريق مدحك
نهج قصد، وطريق عتابك وعث وعر، وجانب صلحك مورق مشرق، و
جانب حربك مهول غلق، واني لآخذ القلم لاكتب به عتابك فيتشظى على، و
يسقط من يدي، وكيف تساعدني بنانى، على ما يخالفني فيه جناني، وكيف
يطيعني بعض فيما يعصيني فيه كلي، ولو كنت احمد بن يوسف في البلاغة،
وعبد الحميد بن يحيى في اتساع الكتابة، وجعفر بن يحيى في الاختصار،
وابا الربيع في التوسع والاكثار، وابا العيناء في العارضة، وابا العتاهية في
البديهة، وابن المعتز في التشبيهات، وابا نواس في الخمريات والطرديات،
والعتابي في المعاتبات، والنابغة في الاعتذارات، وصريع الغواني في الاستعارات
والفرزدق في الفخريات، وجريرا في المهاجاة، وغلبت في المخاطبة صعصعة
بن صوحان، وقعنب في الفصاحة خالد بن صفوان، ونطقت بيتيمة
ابن المقفع مرتجلا واتيت بعجوز آل رقية مبتدعا وبعذراء آل خارجة
مقتضيا وضربي المثل في المقامات لابسحبان وائل، وبوهيبة في العي
عندي لا يبا قل، وحفظت حفظ الشعبي محاضرة ابن القرية
النمري وابدعت ابداع ابي تمام الطائي ووعظت عظة الحسن البصري
وجادلت جدل النظام في الكلام وصنفت تصنيف الجاحظ في الجد والهزل
واربيت على اياس بن معاوية في الذهن والعقل، وبهرجت الاصمعي
رواية، وزيفت ابا عبيدة حفظا ودراية، وعلمت امير المؤمنين عليه
السلام الحلال والحرام، ولقنت شريحا القضاء والاحكام وصرت الذي
اراده الله بسطة في العلم والجسم، ووفقت توفيق سليمان في الحكم، واخذ
عني بطليموس علم الهيئة وادسطاطاليس علم الفلسفة وبلنياس باب الطلسم
والحيلة وقرأ على سيبويه نحو البصريين، والفراء نحو الكوفيين واختلفت
الى الهند في تعليم الحساب ودرس علي ابو عثمان المازني علم التصريف و
الاعراب واقتبس مني الخليل عروض الشعر، وكان هاروت وماروت

تلميذى فى السحر، وضرب على قالب خطى خط ابن مقلة وتوارث الكتابة
اهل بيتى كما توارثها بنو ثوابة واماليت على ابن الكلبى شجرة النسب وعلى ابى
عمرو بن العلاء ايام العرب واوتيت الحكمة وفصل الخطاب وكنت الذى
عنده علم من الكتاب وعددت فى الراسخين فى العلم عدا، وقال لى موسى
هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا، ثم حملت بعد هذا كله على ان
يمضى بى فى عتاب الاخوان لسانى او يجرى فيه بنانى لقصور عن ذلك عنانى
ولا ارتياك فيه عقلى وبيانى ولعيبت والحق معى وانقطعت والحجة لى وما اعتذر
الى احد من عيبين بليت بهما، وخلقين ركبت منهما، جبنى عن الاصدقاء
وجرأتى على الاعداء، رأيتك ايدك الله تعالى قد تواضعت لى فيما تجاذبته من
الفضل الذى لو صح لى لكنت فيه جنيبتك ولسلكت فيه طريقتك، وانت
بحمد الله تحسن ان تأخذ ما فوقك مما تحتك وان تمدح نفسك بما تمدح به غيرك
وان تتواضع وانت ترتفع، من حيث يرتفع غيرك وهو يتضع، وان تخصك فى
المراتب الكبر، من خصر غيرك الكبر، ولست اقول انك صادق فادعى
المضى فضلا، ولا انك كاذب فانا قضرك قولا، ولكنى اضع بيننا قول الاول

وعين الرضى عن كل عيب كليلة	ولكن عين السخط تبدى المعايبا

ولولا انى اكره ان ننسب جميعا الى التقارض فى الثناء وان نقعد
تحت قولهم من ضيق الصدر وسعة الجزاء، لوصفتك ببعض ما فيك
من المحاسن التى انت فيها عريق صريح وغيرك فيها دخيل دعى وانت لها
نسيب قريب وغيرك عنها اجنبى بعيد وبعد فانا والله معتد للايام
بنصيبى منك، متحمل لها شكر العارفة فيك، منافس فى نعم الله تعالى
على يدك لا افتح عينى على احب منك الى، ولا اضم جناحى على اعز منك
على، واقر الك كتبا بالايمون على ما قبله، ويمهد فى فيما بعده

وكتب الى رئيس دامغان

انا اغار لما بينى وبينك ايدك الله تعالى من دخل التملق، ومن عشق

التشوق،

التشوق، واقشر لك عصا العتاب واترع لك بخشونة الجواب اذ كانت الحال
بيننا مبنية على اساس الصدق ومصونة بحمد الله تعالى عن شوائب المذق ولا
ليس بعد العتاب الا التقدم الى الصلة او النكوص الى القطيعة، وانما
هو جرس عن يمينه العتبى والرجعى وعن يساره النوى والشكوى
فلا تفتح من التجوز بابا اغلقته يد الوفاء، ولا تبح من الحفاظ جانبا حرسه
قضية الود والاخاء، ولا يحتج فى الباطل بحجج هى اضعف من قلب
العاشق، واوهى من دين المنافق، وارق من امانة الفاسق واعلم
ان كلام من ينصر الباطل لا يولد الا مخدجا، ولسانه لا يكون الا
ملجلجا، واقصر ما يكون بنانه، اذا طال لسانه، وانزر ما تجده
عقلا، اغزر ما تجده قولا، فان الباطل يصغر من حيث يكبر، ويقل
من حيث يكثر، وليس طلاقة اللسان بغير الحق الا ازى للصلح
وحجة على القائل، وسلاحا لكل جاهل، وجناية على كل عاقل،
وكل قليل سد ثلمة الحاجة فهو كثير، وكل كثير وقع دون الكفاية
فهو قليل يسير، وشبكة المحال اوهى من ان يتشبث بها رجل
محق، وكبد الباطل اضعف من ان ينفذ فى حق، وحسب
الكاذب بفعله شتما، وبقلبه خصما، وبالسكوت عنه ذما، وقد
خرقت فيك حجاب المجاملة ولبست لك ثوب المكاشفة فان ادبك فذاك
فؤدب الحر العاقل اخوانه، ومرآته زمانه، وسوط الفرس الجواد عنانه
وان ابيت فانا باخع نفسى على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

وكتب الى اخوارزم شاه

كتبت الى صاحبى بتلك الناحية يعرفنى انتشار حالى بها، وتمرد
شوكاتى فيها، وما كنت اظن بقعة يجوز فيها للامير ختم، او ينفذ له
فيها حكم، تعلو بها الباطل راية او يكون بها للظلم على العدل ولاية،
ومن العجائب ان الكتب الدرهم فى بقاع لم انبت فيها، ولم اخرج منها،

ثم يؤخذ منى فى عشى الذى فيه درجت، وبيتى الذى منه خرجت
وان احمله فاقطع به لجج البحار، وفيافى القفار، ويسقط منى على باب
الدار، هذا وقد علم الامير ان والدى رحمه الله تعالى خلف على ما لو خلفه
على اهل بلد لكفاهم، ولو فرقه على فقراء الدنيا لاغناهم، فما زالت
صروف الدهر بخوارزم تقاتلنى جمرا، وتخاتلنى سرا، حتى خرجت منها
اعرى من حية بعد ما كنت اكسى من بصلة وافقر من الحجر بعد ما كنت
اغنى من الكعبة واعطل من المحرم بعد ما كنت احلى من الشمسة قد كسرت
كسر الجوز، وقشرت قشر اللوز، وجرى على فى مسقط رأسى ومجمع
اسرتى ومقطع سرتى من العز الثقيل ما كان من الثقل اثقل، ومن
الذل الطويل ما كان من الطول اطول، ومر على راسى ما لو مر على راس
الشاب لشاب، ولو نزل بالحديد للذاب على انى حيثما كنت تاج على خوارزم
معقود، وشرف لها معدود، ومشهد فيها مشهود، ومقام من مقاماتها
محمود، وكل مدح آتى مدح بلد كنت من اهله، وفذ والدا انا من نسله
وعهدك بمثلى يغنم، فصرت اليوم اغنم فسجان من جعل القصر المشيد
بثوا معطلة وجعل الغانم غنيمة وسير السالب سلبا وحول الراكب عركبا و
ادار الفلك فيما يدل على اضطرابه، ويترجم عن خرقه وانقلابه، ومثلى ايدك الله
تعالى اذا ابتذل استوحش، واذا استوحش اوحش، ومن طى العقرب
اوجعته وان اوجعها، ولسعته وان لذعها، ومن فل السيف براسه انكسر
منه اكثر مما كسر، وخسر اكثر مما خسر، وان من باعنى لقليل
البصيرة بالبيع والشراء ردئ المعرفة بابواب الاخذ والعطاء مسترسل مما
تعبت له نفوس الكرماء، نائم عما لم تزل تسهر له عيون العقلاء والسلام

وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب لما شارف نيسابور

موحبا بالقمر الطا	لع فى جنح الظلام	موحبا بالاسد الور	دو بالجيش اللهام
موحبا بابن شبيب	وابا دية الجسام	موحبا بالرجل الاو	حد من بين الانام

موحبا بالكاتب الجز	ل وبالحبر اللهام		قد نجونا منك يا بيس فودع بسلام

سبقنى اليه الله صاحب الجيش فلم املك عنانه، وجمح بى خاطرى فلم
اضبط زمامه، فكتبت هذه الابيات وجملتى بيد الطرب وتمامى فى
قبضة العجب والعجب وخرجت من ربقة الوحشة، وهى شبكة الغم و
الدهشة، حتى لاحت لى رايات اللقاء، وفاحت روائح الالتقاء،
وعلمت انى قد رزقت على الدهر دولة واعطيت على الغم كرة ووردت
البشارة التى جعلتها تاريخ احسان الدهر، وغرة وجه العمر، وترياق القلب
والصدر، وعلمت ان الله تعالى لم يسيرنى هذه القدمة، ولم يلقنى هذه العزمة
الا وقد اراد بى خيرا، واعتمد لى احسانا وبرا، وقد ان يثلج صدرى ويشد
بما ازرنى ويقوى ظهرى وينتصف لى من بهرى ويهزم عساكر الزمان عنى
ويفوق شمل الحدثان دونى ويوزعنى النظر الى وجه من صنعنى و
خرجنى واصطنعنى فتعلمت الترسل من نثره، واصبحت شاعرا برواية
شعره، ووطئت بساط الملوك بعنايته اولا وواضعتهم الكاس بجميل نظره ثانيا
هذا من فاق آثاره لدى، ومنسى صنائعه الى وانما ذكرت قلا من كثر واشرت
بلمحة الى بدر، فالآن حين اجر ذيل الفرح واسربل الجذل والمرح، وارى
اهل نيسابور خاصة، واهل المشرق عامة، ان خوارزم بيت الرجال و
معدن الكمال ومنبت الفضل والافضال وان فى الزوايا خبايا، وفى
الرجال بقايا، وان البقاع متساهمة فى الفضل ومتفاوتة بمقادير الاهل
ووددت ان صاحب الجيش ركب النجم السيار، ويمتطى الفلك الدوار و
يطوى المناذل طى الرداء، ويصل الغداة بالعشاء، بل وددت ان الريح
تحمله، او ان البراق ينقله، وان الخضر يصحبه خليلا، وسليمان بن داود
عليهما السلام يرافقه زميلا، ليصغر جم الانتظار، وتقل مدة بعد الدار

	ولا اعتد فى الدنيا بيوم	يمر ولا اراك ولا تراني	

وها انا ايد الله تعالى صاحب الجيش سيف طرى، ولسان شهى، و
لسان على الاعداء مسلول، وسلاح على حساد النعمة مصقول، اذا

ورزايده الله تعالى لزمت بابه، وصحبت ركابه، وكنت بوابه، وقد اعلمت من سالني عن صاحب الجيش انه رجل طلع به النجم مرة ودار به الفلك فلتة وولدته امه غلطة وسعد به الزمان خلسة، فهو في الرجال علم وفي الكمال عالم وفي الزمان واهله غريبة، وبين الدنيا وبنيها يتيمة، فكنت سالت صاحب الجيش حاجة صغرت عن ان تلحظها اجفانه، او يجري بقضائها لسانه ولكن الحاجة على قدر السائل لا على قدر البازل، والهبة تصغر وتكبر في وزان الطالب لا في وزان الواهب والصغير اذا احتيج اليه كبير كما ان الكبير اذا استغني عنه صغير، ولو تبارى اهل الشكر في هجان وجرو انحو الغاية في ميدان، لبزت في الحلبة الاول وكنت فيما بينهم الاعز المجلل

ولوان للشكر شخصا يبين		اذا ما تامله الناظر	
لصورتك حتى تراه		فتعلم اني امرؤ شاكر	

وصلت الجارية فقبلتها بالطاعة، وردتها بالدلالة عليه في الساعة، لان فلانا صديق قد ملكها وانا اكره ان اعاشي رجلا له في داري غلائف وان تكون عندي مضربة لها غيري لحاف، فاقبح بالحران ينادم من شركه في حرمته وسبقه الى باكورته، فيجلس مخلان على لبدة ويجتمع سيفان في غمدة

وكتب الى صاحب جيش خوارزم وورد عليه كتاب يخبر علته يعتذر اليه من ترك العيادة ويتوجع من العلة

هذا كتابي اطال الله تعالى بقاء صاحب الجيش عن سلامة الامن الاهتمام لعلته، ومن التندم لتوان عيادته ومن العتب على الايام الجارية الراكدة الفاترة الظالمة الجائرة، فيما دهمت به الكرم واهله، والفضل وشمله، والحمد لله تعالى لا على انه حمد مستزيد فيما نابه، مستند بالشكر لما اصابه ولكن اقامة لرسم العبودية، وسلوكا في نهج البشرية، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله خير البرية ورد على كتاب الشيخ صاحب الجيش بعد قوم هنئوني وتطلع طويل لوروده اقلقني واستفزني وبعد ما حاسبت

لتاخره عني نفسي على ذنوبي، واستدركت عليها عيوبي، وجلت في زوايا جنايتي عليه، وساقني اليه انظر بايتها استحقت ان اطوى في ادراج الجفوة، واجلس على قافية التغير والنبوة، اذ كنت اعلم ان صاحب الجيش اعرق في الكلام نفسا، واصدق في الفضل حسا من ان يعاتب وفي الصبر فضلة، او يؤاخذ وللاحتمال جمة فلما كاد الكرب ان يستحوذ على خاطري، ويستوعب حساب صدري وصبري طلعت على النعي في اثناء البشرى، وانفرجت لي ضبابة التخمين، عن نور اليقين ووصلت الى السعادة، تكتفها الزيادة، وفضضت الكتاب الكريم عن كل ما اجذل النفس وسرها، وبرد العين واقرها، حتى وصلت منه الى خبر العلة فلدرت بي الارض وهي ساكنة واظلمت على السماء وهي مسفرة وضاقت علي الدنيا وهي واسعة فقلت قبح الله تعالى الدهر فانه على ذوي الكرم الب وعلى الفضل واهله حرب وللوم واللئام حزب وللادب وهطه عدو ومعاند، وللجهل وذويه ولي معاضد، ثم رجعت الى ادب الله تعالى ذكره فوجدت ساحة الصبر اوسع ومطية الدعاء اجمل فقلت اللهم ارفع عن مهجة المكارم اذاها، وادفع للمجد عن تلك النفس النفيسة والروح الاريحية ما يبيح حماها، وتصدق علينا وعليه بهذا الواحد الذي بقاؤه جبر بين دولة الفضل وكرة الجهل، وبرزخ بين مد الجود وجزر البخل، ثم انشدت

فما حال من كان له واحد		بمرض عنه ذلك الواحد	

وانا اتوقع كتاب صاحبي الجيش بخبر العافية فان تاخرت جنيته في العلة وان ورد عمرت المساجد صلاة، وملأت الفقراء والمساكين زكاة وصمت حتى تعاليل بطني سغبا، وقمت حتى تخاصمني رجلاي تعبا، وصليت صلاة امية، وعبدت عبادة حلوية، ولم افعل ما فعله ابن نوفل حيث قال في ابي شبرمة

فغرزوان حرو ام الوليد		ان الله عافى ابا شبرمة	
جزاء لمعروفه عندنا		وما عتق عبدا لنا امه	

فساله جارله عرغزوان وام الوليد فقال سنوران في الدار فاعتد بعتق رقبتين وهو يعتق

سنورين ولكن افعل ما فعل قيس بن معاذ مجنون بنى عامر حيث يقول

اناجهلنا فجهلنا اعتلت ولا	والله ما اعتل الا الظرف والادب

واذا اتصل بخبر العافية الذى هو عندك عافية الدين والادب والفضل والحسب قلت

وما اخصلت فى برء بتهنئة	اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

اردت ان اركض الى حضرة صاحب الجيش ركضا يتقدم الايغال ويقتل التخيل والبغال حتى اصل السير بالسرى واجمع بين العصر والاولى فاشاهد نعمة الله تعالى عليه وعلينا به فى فراقه من علته واكتسائه ثوب عافيته ثم تطيرت لنفسى من ان انظر الى ولى نعمتى وبه آثار الصفرة والى جسمه وبه بقايا الفترة هذا بعد ان جمعت منتشر اسبابى ووضعت رجلى فى ركابى ورفعت عصا السفر وسلمت نفسى الى القضاء والقدر وانشدت قول الفرزدق

ونعود سيدنا وسيد غيرنا	ليت التشكى كان بالعواد

ثم اتبعته قول ابى الطيب المتنبى

حتى الكواكب ان تعودك من علل	وتعودك الاساد فى غاباتها

ولقد جنت الايام على الاحرار جرما عظيما وانت الى الكرام فعلا ذميما وترجم الدهر بانه لئيم لا يحب كريما جعل الله تعالى هذه العلة آخر علل الكرام وخاتمة جنايات الايام ولا اراك الله بعدها فى صاحب الجيش الا ما يضحك منه العلى ويطلق وجه الغنى ولا فجع بسلامته الدين فى الدنيا

وكتب الى ابى الحسن المعروف بالبديهى الشاعر زعم يعبث به

لست اعاتبك عافاك الله تعالى لان العتاب يصلح منك او يعمل فيك اولان جهلك جهل يعالج بالعذل او يداوى داؤه بالقول كلا عافاك الله تعالى جهل الناس عرض وجهلك جسم لا يزول الا بالفعل ولا يقع دواؤه الا من الكف والنعل ولكنى انما اردت بهذه الرسالة ان تتوجه عليك الحجة وان تنقطع عنك العلاقة والعلة وان كانت ترد منك على عين عمياء واذن صماء وقلب لا يعرف النقصان الا فى ماله ولا يحس بالالم الا فى جسمه

ولا يجد النقص مساغا للعيب وتعالى لقد حققت هذا الكلام بك وضيعته فيك ووجهت منك الى من نزه عنه العتب لغباوته والشتم لحقارته ولو قدر الكلام على عقوبة من صنعه وتوصل الى تضييع من ضيعه لعاقبنى بان يطيل هجرانى ويكون هذا آخر عهده بلسانى وبنانى فها انا المظلوم الظالم والمخاصم المخاصم ظلمتنى بلؤمك فظلمت الكلام بلومك وخاصمتك فى جهلك فخاصمنى العقل فى عذلك فيا من جمع على مصيبتين ووضعنى على طريق الظلم من جانبين ويا من ابت العجائب فيه ان تردنى الا من طرق شتى وان تقع الا مثنى مثنى وليس محنتى فيك باعظم من محنة الحق الذى لم تزل تعبث به حتى لو تجسم نفاسعيت فى ذمها او تمثل دار اجهدت فى هدمها كانك لم تخلق الا لتطمس عين النور وتقلب اعيان الامور فتجعل الضوء ظلمة وتعكس البدعة سنة حتى كأن سوفسطا استخلفك على جحد ما يدرك عيانا ويعرف ايقانا فانت وارثه فى الباطل وناصر جهله على كل عاقل وحتى كأن الله انزل عليك قرآن ضلالة وبعث اليك رسول جهالة وقال لك خالف الاجماع وانت على السنة وعاد الصواب وانت فى الجنة واوحش الاحرار وانت اصل الحرية وباين الناس ومنك منبع الانسانية وانصر اللؤم وانت الكريم وناقض الحكماء وانت الحكيم لو علق القبيح بالثريا لصعدت اليه ولو دفن المحال فى تخوم الارض السابعة لغصت عليه الجميل عدولك تحاربه والصد اضد من اضدادك لا تقاربه ولا تناسبه فانت العكس الا انه يمشى على رجلين والجمور الا انه ينطق بلسان وشفتين والجمل الا انه مخاطب والعى الا انه مثاب معاقب لو سئلت عن يحيى بن زكريا لذكرت انه زنى ولو ذكرت فى القائم ادعيت انه مضى ولو استخبرت عن ابليس ذكرت انه سجد لآدم ولو نوظرت فى عيسى نفيته عن مريم ولو انشدت شعر امرئ القيس لنسبته الى الاخطم ولو ذكرا بو جهل حكمت له بالاسلام ولو استحسن كلام مزبد قلت انه ميت الخواطر

فاتر النوادر، ولو سمعت خطب امير المؤمنين على عليه السلام استعييت
بيانه، ولو مررت بايوان كسرى استقللت بنيانه، ولو رايت بناء
ارم ذات العماد استصغرت شانه، ولو اجرى حديث الحسين بن على
عليهما السلام صوبت رأى قاتله، وعذرت فعل جادله، ولو حكى قول
فرعون انا ربكم الاعلى قلت ما اخطا ولا تعدى ولو سمى ابن عباس
نقيت عنه علم التأويل، وتحلته الجهل بمتن التنزيل، ولو خوطبت فى
التراويح اخذت بابتداعها الشيعة، ولو عدلا الاجبار والتشبيه الزمت
دينهما المعتزلة ولو انشدت، ويأتيك بالاخبار من لم تزود، ما رضيت
نظمها، ولو سمعت، لا يذهب العرف بين الله والناس ما استحليت طعمها
ولو حلم الاحنف بن قيس استخفت عقله، واستعظمت جهله ولو استفتيت
فى فريضة ادعيت فيها اجماع الامة، واتفاق الائمة، ولو اعيد حديث
ذى القرنين واستيلاؤه على المخافقين احتقرت سعيه، ولو تعجب الناس
من بناء الهرمين اخذت تذكر انتقاصه ووهنه، ولو استيدعوا صنعة
الخليل العروض اخذت تزعم انه ما احدث امرا، ولا افتزع بكرا، ولو
استحسنوا وضع كليلة ودمنة وصفت ان امثالها غثة، وان حكمها
رثة، ولو فضل التوحيد افردت به النصارى ولو عيب الثنوية برأت من
عيوبهم مانى ولو غنيت بالحان ابن شريح ومعبد قضيت عليهما بانهما
من بابة التوبة والعبادة، ومن شريطة النسك والزهادة، ولو حدت
العافية اسهبت فى ذمها، كما لو فضلت السعادة اكثرت فى شتمها، ولو
شاهدت الهند عبتهم فى ضعف العزيمة كما لو دخلت بلاد الصين لمتهم
فى رداءة الصنعة ولو عاينت العرب رميتهم بضيق البيان واللغة
وقلة العارضة والبديهة ولو قرأت سيرة عمر بن الخطاب رضى
الله عنه زدت فيها سن المنعة ولو عثرت بحديث يزيد بن معاوية
عددت فى فضائله يوم كربلا والحرة ولو قرئ بين يديك القرآن
عارضته بنوادر ابى لعبر وبكلام يحبب لغلط ولو لحظت السماء قلت

ما اسوأ ما رحيت ولو درست ايام الفرس هجوتهم بغلة السياسة وضعف التهذ
للعمارة ولو خوفت بيوم القيامة ذكرت انه يوم قصير صغير، وان الخطب
فيه يسير حقير، ولو فوتحت فى حديث العنقاء حلفت انها باضت وفرخت
فى بيتك، ودرجت فى وكرك، وانك طالما سقيتها واطعمتها، وطالما اسرجتها
والجمتها، ولو عظم امر التنين وحكى الخلاف فى ثباته بين المصدقين و
المكذبين، اقسمت انك اصطدته من البحر بشبكتك، ورميت به فى
السحاب بقوتك، ولو عدت انساب العرب شهدت ان الشرف فى سلول
وجرهم، وفى عدى وتيم، وان هاشما فى قريش ذناب كما ان دارما فى تميم
او شاب غايتك ان تزعم ان هشام بن الحكم ناصبى وان ابا الهذيل
العلاف ناتى وان ابا بكر الاصم شيعى، وان واصل بن عطاء حشوى
وان سليمان الاعمش خارجى، وان عبد الحميد بن يحيى امى وان رؤبة
بن العجاج اعجمى، وان اياس بن معاوية عامى وان معاوية اول من احيا
السنة واماتت البدعة كما ان الحجاج اول من سن الرحمة ونسخ القسوة
وان النابغة الذبيانى لم يحسن الاعتذار، كما ان ابا نواس لم يصف
الخمور والخمار، وكما ان ابا بكر الصنوبرى لم يرى الانوار والازهار، وان طفيلا
الغنوى ما ركب كما ان اعشى قيس ما شرب، وان العفاف هندى كما ان
السخاء رومى وان الوفاء تركى كما ان العقل صقلى وان التشيع شامى كما
ان النصب كوفى وان التجار اقل خلق الله كذبا كما ان الملوك اصدق الناس
هما وانه ليس شيء اقل تخالفا وتناقضا من روايات المحدثين ولا كلام
اقل سخفا وهجرا من اشعار المناقضين، وان ابليس اصاب فى تفضيل النار
على الطين، فلذلك جعل من المنظرين الى يوم الدين، وان هاروت وماروت
قد احسنا فى عصيان الرب ومواقعة الذنب ولذلك صارا فى السحر
اماهين، والخلق معلمين، وان الدين لعبة لاعب كما ان التوحيد كذبة كاذب
وان الوحى سماطير الاولين، وان السنة ارجاف المكلفين، وان العالم
يركب متن عياء، وان الموحد يخبط خبط عشواء، وانك من بينهم الذى

خص بالعلم القديم، واخبر بالنبأ العظيم، ولو انك زهير لانفت من ان تقول

واعلم ما في اليوم والامس قبله	ولكنني عن علم ما في غد عمي

وكذلك لو كنت زيادة بن زيد ما قلت

اذا ما انتهى علمي تناهيت عنده	اطال فاملى ام تناهى فاقصرا

وانك لو سمعت عليا يقول سلوني قبل ان تفقدوني لم تفقد وني سالته حتى يقول دعوني فقد فحتموني، وانك لو امدت بك الملائكة ما قالت سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وان اباك آدم لو اعين بك ما لعب بليس به، ولا انف من السجود له وان عمك قابيل لو رآك ما اقدم على اخيه هابيل، وان امك حواء لو رأتك نشزت على ابيك عشقا لك ورغبة فيك، وان العجم عرب اذا كنت فيهم، كما ان العرب عجم اذا بنت عنهم، وان الرياض انما اكتسب طيب ريحها لانها تستمد من نكهتك، وان النجوم انما اعطت ضوءها من ضوء غرتك وان الخيل انما اختالت في مشيها الا لانها حملتك، وان الطير انما لحنت اصواتها الا لانها عشقتك، وان البحار انما ماجت وزخرت هيبة لك، وان الجن انما توحشت وخفيت لانها حسدتك، وان الشمس انما جعلت مبصرة والقمر انما جعل آية ممحوة لان الشمس تواضعت لك بالتانيث والقمر نازعك في الذكير وان عبدا بن الرقاع تحول في هيكلك ونطق على لسانك حيث قال

وعلمت حتى ما اسائل واحدا	عن حرف واحدة لكي ازدادها

وان هذا البيت معه طفيلي وفيما بين شعره دعي وانت احق به، واملك له منه، وانك نظرت الى عيب كل ذي صناعة من وراء ستر صفيق حتى عرفت مخاريق المنجمين بكذبهم في الاحكام، وغلطهم في حوادث الايام، وعرفت اختلاف النحويين، بتخالف الكوفيين والبصريين وانهم لو ابصروا الرمية خرج السهم سديدا ولو عرفوا الطريقة كان المقصد قريبا وان الخلاف دليل على ركوب المحال وان ليس بعد الحق الا الضلال وعرفت ابطال الاطباء بمناقضة الرومي الهندي وتكذيب الفارسي اليوناني وان عيش البدوي فيما فيه موت الحضري وان الذي يموت

على ايديهم من المرضى اضعاف من يعيش ويبقى وعرفت تخبط اللغويين بافنانهم لغات القبائل، وتباين السن اهل المياه والمنازل فلغة عدنان غير لغة قحطان، ولغة خندف غير لغة قيس عيلان، والمعدي يقول ان هذين لساحران، والحارثي يقول ان هذان لساحران، وعرفت عناد الفلاسفة بادعائهم قدم الطينة وانكارهم ما يعاينونه في انفسهم من الدلالة وقلت كيف يعرف غيره من انكر نفسه وكيف يستنبط الغائب ما لا يرى الحاضر وعرفت جهل الهندسيين بجهلهم جذر العشرة وهي سر العدد، واول منازل العقد، وقلت كيف يعرف الكثير من لم يعرف القليل وانى يحكم الفرع من لم يحكم الاصل وكما لا يجهل الواحد من عرف العشرة فكذلك لا يجهل العشرة من عرف المائة وعرفت حيرة المحدثين بتناقض رواياتهم، و اختلاف كلماتهم، وان احدهم يثبت الرواية ثم ينفيها، ويجلد بالكبيرة ثم يرخص فيها، ويحل الشيء ثم يحرمه، ويصغر الاثم ثم يعظمه، وعرفت شك المفسرين، بان احدهم يسمع قول الله تعالى بلسان عربي مبين، و قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ثم يقول استبرق فارسية و سجيل اعجمية وسندس عبرانية وناشئة الليل سريانية وان هذا لساحران حارثية ثم عطفت بعد هذا كله على نفسك فقلت انا الطبيب الذي لا يموت من شفاه، ولا يمرض من دواه، والنحوي الذي لا يتناقض رواياه ولا يثبت مانفاه، والفيلسوف الذي لا يحمل طبيعة على شريعة ولا يختص بعلم عقلي دون علم رياضة والمهندس الذي يعرف الجذر الاصم ويهون العقد الاشد والمنجم الذي قلبه كتابه، وعينه اسطرلابه قد سمعنا عواءك ايها الراضي عن نفسه والغضبان على غيره والعاشق لفعله والمبغض لافعال دهره فلا جزاك الله خيرا لا عن الحق عدولك ولا عن الباطل صدودك اما الحق فلانك هدمت مناره وطمست آثاره، واما الباطل فلانك ابرزته في معرض الفضيحة حتى هتكت استاره، وكشف عواره، ونشرته حتى ظهر مضمره، ونصبته حتى ظهر زهوه، وانما يقبل الناس من الباطل ما يشبه الحق

ويأخذون من الكذب ما يحاكى الصدق، فاما الباطل الذى تبصره العين العمياء، وتسمعه الاذن الصماء، ويستوى فى ابراز شخصه النور والظلماء، فانه ينهى عن نفسه، وينبذ الابصار والبصائر بعينه، وينادى بنقصه من نطق به فيامن لا يقبله الباطل ولا الحق ولا يناسبه الجور ولا العدل الى ماذا انسبك بعدهما، والى اين اذهب بك عنهما، رحمك الله تعالى

وهذا دعاء لو سكت كفيته	فانى سالت الله فيك وقد فعل

فلو قسم الله تعالى من الرحمة جزء الا يحتجز لما جبلك كما جبلك ولا خذلك كما خذلك، وانى لاعلم ان دعائى هذا اول خائب وان سهمى فيه غير صائب ولكنى اصانعك به واسخر منك فيه، فاقول رحمك الله تعالى انا لو سلمنا لك انك انسان نفيت عن نفسى الانسانية وصححت عليها البهيمية اعلى منك فى النقص حكمة، واعظم منك فى الجهل طبقة، فشر من الجهل نصرة الجهال واسوء من الضلالة الاحتجاج للضلال لا ترضى ان تصير فى صناعتك ذنبا وقد كنت فيها اصلا ولا بان تكون تلميذا وقد كنت قديما فيها استاذا تواضع بنا رحمك الله تعالى فان التواضع خلق من اخلاق السلف وشبكة من شباك الشرف وتصدق علينا ببشرك فان الله يجزى المتصدقين واحسن فان الله يحب المحسنين ولا يرضى خوانك فى فعلك وقولك فلو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، ولولا انى رحمك الله تعالى لا اقول بالرجعة ولا اذهب مذهب التناسخية لظننت ان جميع ما انطوى من العالم تحول فى هيكلك وانحصرت محاسنهم فى شخصك، ولظننت انك يونس بن فروة الذى قيل فيه،

انى ابن فروة يونس وكانه	فى كبره ايرا الحمار القاشم
ما الناس عندك غير نفسك وحدها	فالناس عندك ما خلاك بهائم

فلقد اعجبت بنفسك الخسيسة التى لا تستحق العجب واحببت منها ما لا يساوى الحب حتى كأن كسرى انوشروان حامل غاشيتك، وكأن قارون وكيل نفقتك، وكأن بلقيس ذات العرش العظيم دايتك، وكأن مريم البتول امتك وحتى كأن ريح عاد هبت من غضبك، وحتى كان العود

وجميع الملاهى وضعت لطربك، وحتى كأن المريخ يستقى من صولتك وممضائك وعطارد يستمد من لطفك وذكائك، وحتى كأن رزقاء اليمامة لم تنظر الا بمقلتك، وكان لقمان لم ينطق بغير حكمتك وكأنك بنيت منارة الاسكندرية من آجر دارك ووسعت ملعب سليمان عليه السلام من بقايا ملعب صحنك وكأنك علمت زياد السياسة، وافدت عبد الحميد الكتابة، ولقنت يحيى بن خالد الفصاحة، والقيت على الحسن البصرى المحبة وعلى الحجاج بن يوسف الثقفى الهيبة وحتى كأنك زرعت غوطة دمشق وشققت نهار البصرة وهندست كنيسة الرها ووضعت قنطرة سنجة وحتى كأن سد يأجوج ومأجوج بيديك، والامر فى خروجهم مأكول اليك، وليس بين الامة وبين ان ينسفوا زرعهم وضرعهم، ويجوسوا ديارهم وبحورهم الا لفظة من الفاظك، ولحظة من لحاظك، وحتى كأن فضائل امير المؤمنين على عليه السلام من فضائلك مسترقة، وعجائب بنى اسرائيل من عجائب صنعك ملتقطة، وغرائبهم من غرائب فعلك مستنبطة وحتى كأنك جعلت صخرة موسى عليه السلام عتبة بابك، وحتى كأن الحان داود عليه السلام بعض ما يسمع فى محرابك، وحتى كأنك جعلت من مائدة عيسى بن مريم غداءك، ومن كبش اسحق عشاءك، وحتى كأنك امرت شداد بن عاد ببناء ارم ذات العماد، التى لم يخلق مثلها فى البلاد، وحتى كأن خالد ابن الوليد قاتل تحت رايتك، وقتيبة بن مسلم فتح البلاد بركب دعوتك، وحتى كأنك وضعت التقويم لآدم بن يحيى وحللت الزيج الاول وعدلت الطبائع الاربع وحتى كأنك كشفت لبطليموس الفلك حتى نظر اليه، ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه، وحتى كأنك اورثت بنى اسد العيافة، وبنى مدلج القيافة، وعلمت شقاوسطيحا الكهانة، وحتى كأنك علمت حاتم بن عبد الله السخاء، والسموأل بن عادياء الوفاء، وقيس بن زهير المكر والدهاء، واياس بن معاوية الفطنة والذكاء، واخذ عنك سيف بن ذى يزن اخذ الثار والادراك

بالادبار، وحتى كأنك دعوت لبنى اسرائيل حتى جعل الله فيهم انبياء و ملوكا وآتاهم مالم يؤت احدا من العالمين ثم دعوت عليهم حتى ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وحتى كأن خاتم الخلافة فى خنصرك وحساب الدنيا دخلها وخرجها فى بنصرك، وحتى كأن الشمس تطلع من جبينك والغمام يندى من يمينك، وكأن البحر يمد اذا امرته، ويجزر اذا زجرته وحتى كأن كسرى انوشروان صاحب نفقة اصطبلك، ونمرود بن كنعان قهرمانك على ولدك واهلك، وحتى كأن تكريت محل دارك، والدرة اليتيمة اخس سوارك، وحتى كأن رستم بن دستان عجز عن مد قوسك واسفندياربن كرستاسب ضعف عن حمل سيفك وترسك، وحتى كأنك فى ملك وملك يصغر بينهما ملك سليمان بن داود عليهما السلام ويقصر معهما قصر غمدان، ويضيع فيهما تاج كسرى بن ساسان، و يتضع عنهما جبرية فرعون وهامان، وحتى كأنك لا احد علم منك فاضربه مثلا ولا اعلى منك فاجعله غاية ولا ومن شبهك به فقد رد الوصف اليك، ووقفه عليك، والقرد لا يشبه بغيره، والزاجر لا يوصف بمن تقاصر عن ريحان قدره، واذا اردت ان تعلم انى فى ذمك جاد وفى مدحك لاعب وانى فى الشهادة عليك صادق وفى الشهادة لك كاذب فانظر الى تهافت قولى لا ينتك وجاملتك، والى صابتى الغرض و حزى المفصل اذكا شفتك وصدقتك، وذلك ان الصادق معان ومأخوذ بيديه، والكاذب مخذول مغضوب عليه، وما كان الله تعالى ليوفقنى لفصل الخطاب وانا اجامل من لا يعرف قط اجمالا ولا تجملا، و افاضل من لم يناسب مذكان افضالا ولا تفضلا، والفصول التى قصرتها على مدايحتك، ولينت فيها مس القول لك، فانما هى عوذة عوذت بها هذه الرسالة، وطلسم حسن صنت بفتحه هذه المقالة فعوذت احسن الاشياء بافيح الاشياء، وسترت بنقصان المدح كمال البهجاء، على انى قد غالطت اسماع الناس وابصارهم، وسحرت بهذا

البيان

البيان خواطرهم وافكارهم، فهم يحسبون انى اجدت وانما الصدق احماد ويقدرون انى احسنت واصبت وانما قصدى الحق احسن واصاب فلو شممتك بالترهات صارت قوارع ولو نلت من عرضك بنصف لسان لفم كان كلامى قلائد وخيل المدح والبجاء ماكان له راو من نفسه ومصدق من ذاته

وان احسن بيت انت قائله		بيت يقال اذا انشدته صدقا	

ياغداة الفراق، وكتاب الطلاق ياموت الحبيب وطلعة الرقيب، يا يوم الاربعا فى آخر صفر، ويا لقاء الكابوس فى وقت السحر، ياخراجا بلا غلة، و دواء بلا علة، ياثقل من المكتب على الصبيان، ومن كراء الدار على السكان يا بغض من لم ولم، ومن لا بعد نعم، يا بغلة ابى دلامة وحمار طياب، و طيلسان ابن حرب وضرطة وهب يا قدح اللبلاب فى كف المريض يا نظرة الذل الى البغيض، ياكنيف السجن فى الصيف يا ثوب الخمر على الخشف، يا وجه المستخرج يوم السبت، يا افطار الصائم على الخبز البحت، ياجشاء من اكل فجلية، وفساء من اكل قنبيطية، ياوكف لبيت الشتوى فى كانون، وعلى الكانون يا فراش الجرب المبطون، ياليل الغربة، ووقت العشق و الافلاس والغربة، ياخجل الضرطة، وجواب الغلطة، يا كمد المقمور، يا اقدر من ذباب على جعر رطب ويا اذل من قراد فى است كلب يا اشأم من دم نبى يا انتن من بول خصى يا ثوب التربين على الريق فى تموز، ياعقب النخة على اثر الحجامة فى عرفة بغير كوة ياطلعة ملك الموت فى عين الكافر، وقد ختم عمره بالكبائر، يادخول الطفيلى بيت المروزى يا نظر العين الى البكر وقد عجز عنها، واستشعر مخايل الغضب منها، يا قرع الغريم الباب ومعه جريدة الحساب يا حوض دكاكين الدباغين ومنهج حوانيت القصابين يا مغيض ماء الحمام، ياكوز حانوت الحجام، ياوجه المصانع وقفا المحروم يا شخص الظالم فى عين المظلوم، يا الام من اللوم، واشأم من الشؤم واقل من المعدوم، واوخم من غم المبرسم المحموم، ياغم الدين، ووجع العين، ويوم البين، يا اوحش من زوال النعمة بعد كفرها، واقبح من

ذم هيئة الصعلوك

ارتجاع الصديعة بعد شكرها، يا فم من اكل السمك في الشمس ولم يغسل يده
وخمار من تقيأ ولم يغسل فمه، يا ابرد من كافورة في ثلج مدفونة في يوم
شمالي قرة، وفي وقت بكرة، في جبل من جبال رمينية، يا اثقل من جبل
رومي تحت ثلج حولي فوقه عساكر في وسطه قوافل لابل يا اثقل من مندمة
طفيلي على الندماء، مفتوح في الغداء والعشاء، محتش الساقي قاطع على المغني
يواثب ويهزئ لابل يا اثقل من الحق عليك، وابغض من الانصاف اليك، يا
جواب الحجاب وعبوس البواب يا مهاجرة الصديق يا نظرا الى زوج الام
على الريق، يا سوء القضاء، وجهد البلاء، ودرك الشقاء، يا شماتة الاعداء
وحسد الاقرباء، وطوارق الارض والسماء، وملازمة الغرماء، وعربدة الجلساء
وخيانة الشركاء، وغش الاصدقاء، وملاحظة الثقلاء، ومسئلة البخلاء
ومحادثة البغضاء، ومشاتمة السفهاء، ونصرة الضعفاء، وعداوة الامراء
ومزاحمة السعداء، يا كرب الدواء، يا من لو كان اللؤم يلد كان اباه،
ولو كان يولد كان اخاه، ولو شارك شريكا ما عداه، يا بيع المتاع الكاسد
وجوار الجار الحاسد وسماء المغنى البارد، يا مطبوخ الافيثمون وحب
الاسطيفون، يا ليلة المسافر، في كانون الآخر على اكناف بائس، تحت
مطر وبرد قارس، يا من لو نظرت اليه السماء وهي تمطر اقلعت، ولو
طلعت الشمس بوجهه ما طلعت، يا خيبة من رأى السراب فظنه شرابا
وندامة من نظر الى الخطا فتوهمه صوابا، يا من هو دليل على ان الله تعالى
جواد حيث اطعم مثله ورزقه، يا من هو حجة الملحد على الموحد في قوله الذي
احسن كل شيء خلقه يا من احتماله اصعب من عدد الرمل، ومن عدد النمل
ومن رأى شعرة سوداء بالليل والصبر عليه اشق من الصعود الى السماء
على سلم من زبد، وحبال من شهد، والنظر اليه ابشع من النظر الى ذبح
الانبياء عليهم السلام ونبش قبور الشهداء والاولياء جعلت فداك
من الخير كل من الشر هذا كله مصانعة لك، ورفق بك، وذلك لاني
شهدتك باشياء تنقص في باب الذم عنك، وتأنف والله منك، ولقد

ظلمتها بك، اذ كان قد تفرق فيها من المعايب ما اجتمع فيك، ومن لي بشيء
يوازيك، وشبيه يضاهيك، ومن اين اجد للؤم منتظما، والقبح مجتمعا
والجهل مجتمرا والشؤم محتفلا والنقص محتشدا في هيكل واحد وفي شخص
ماثل وانما يجد الواصف ما يسمع وما يرى، ويحيل المشبة على ما كان ويكون
في الورى، قد شبه الله تعالى نوره بنور المصباح والمشكاة والزجاجة و
ان كانت الثلاثة قاصرة عنه في الصفة رحمك الله تعالى بما لليونانية
من الحكمة ما تتفق به سوقهم واتركك لبني العباس من التملك ما تمشى به
امورهم، وابق للشمس والقمر من الحسن بمقدار ما يطلعان به، ويلوحان
فيه، وهب للريح العاصف، والرعد القاصف، من الصولة قدر ما يسمع
به صوتهما، ويصح به اسمهما ونعتهما وارفق بالارض من خطواتك وارحم
الجبار من شدة سلطانك، وانظر الى النساء من وراء حجاب ومن خلف
برقع والاخرجن عن عشقك من ستر الله، وقطعن ايديهن وقل حاش
لله، فلا تعرض لماء الله لسخط الله، ولا تفرق بينهن وبين عباد الله
ولا تحمل الحرائر على خشونة الطلاق، ولا تذق المماليك مرارة الاعتاق
ولا تزد في شغل الكرام الكاتبين ولا تسود صحف العالمين، ولا تتمت
ابليس بنا، ولا تعطه مراده فينا، ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق
الارض ولن تبلغ الجبال طولا الى رحمك الله حوايج فان قضيتها كنت قد
تسلفت شكري ورضاي، وان رددتني عنها فقد رأيت انموذج سخطي
وشكواي قد اتفق الناس على ضياع النسخة الاولى من كتاب العين فاعله
علينا، واجمعوا على ذهاب قراءة ابي بن كعب وعبد الله بن مسعود،
فاخرجهما الينا، وتخالف الناس في المهدي وشكوا في السفياني وفي الاصفر
القحطاني فعرفنا متى يخرجون فاني اعلم انهم اليك يختلفون، وفي امرك
ونهيك مترددون، وبمشورتك يغيبون ويحضرون، والكيمياء
فقد علمت انه انفقت فيه الاموال وتعب له الرجال ثم لم يحصل لهم
منه الا اماني مسوفة، ومواعيد مزخرفة، فما عليك لو علمتناه واغنيت

الفقراء، وزدت الاغنياء وارحت الناس من الضرب فى البلاد ومن الكد والاجتهاد، ومن ان يخدم الفقير غنيا، و يتخذ بعضهم بعضا سخريا، و الزبير الاكبر فقد انقطع وانقرض اهله وهو من مفاخر الروم علينا، ومن محاسنهم دوننا، فاعمل فى اصلاحه ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين فى ابداعه ومسجد دمشق فحسنة يباهى بها اهل المغرب اهل المشرق فابرلنا مثله ولا اثبت علينا فضله فانما هى ساعة من هندستك، وجزء تستعمله من اجزاء حكمتك وقد زدت عليه، وبنيت ضعفيه، وآل بنى طالب قد علمت انهم مسلوبون حقهم، ومغصوبون ارثهم، فتقدم الى غلمان الدهربان يرفع رايتهم ويرد اليهم ولايتهم، والفلك قد زعموا انه خرف فارددشبابه، واعد عليه من الشبيبة ثيابه، وقد سمعت قول ابن عباد من نكد الدنيا منفعة الاهليلج، ومضرة اللوز ينج، وتجعل فى اللوز ينج منفعة الاهليلج فاذا بك قد جعلت الناقص كاملا، واضفت الى العاجل آجلا، وليس يخفى عليك تطاول العراق بعبد الله بن هلال الهجرى صديق بليس فارنا رحمك الله تعالى من عجائب صنعتك، ولطائف فكرتك ما يكسد به سحرهم، ويهدم به فخرهم، فان ابليس تلميذ لك تعلم منك، واخذ عنك، وشتان بين من يدعى ان ابليس من اخوانه، وبين من يعتقد انه من غلمانه، وهل استنظر ابليس الى الوقت المعلوم الا ليدرك زمانك، ويرى برهانك، وهل حسد آدم الا عليك، وهل عاداه الا فيك ولعلك تنكر قولى خرف الفلك ولولا خرفه ما كان القمر سماويا وانت رضى ولا كانت الملائكة روحانية وانت بشرى ولا كانت السماء تظل والارض تقل و انت اكبر منها قدرا، واكرم منها بحرا ولا كانت الدنيا تضم عليك وانت الدنيا ولا كنت عند الناس بعض الورى وانت الورى ولا كنا نسميك ونكنيك ذها بابك وبقدرك عن الاسامى الكنى انى وفقدك فلا شئ اعز على منه، ولا احسن منه، ما سمعت قول على بن جبلة فى ابى دلف

انما الدنيا ابو دلف		بين بادية ومختضره	

فاذا

فاذا ولى ابو دلف		دلت الدنيا على اثره	

لا اخضبت عنك عليه اعتقك الله سوء صنعتك، واعارا بادلف مدحتك، ولا سمعت قوله

انما الدنيا حميد	وايادى المجد حام	فاذا ولى حميد	فعلى الدنيا السلا

لا تمنيت لو عرفت قبره فزرته او عرفت بيته فهدمته، ولا سمعت قول ليلى فتى كان احيى من فتاة حيية | | واشجع من ليث بخفان خادر

لا قلت فكيف لو رأت ليلى اخانا، فتعلم اين دعواها من دعواناء ولا انشدت قول ابن ابى السعلاء فى الرشيد

اغنا تحمل النا	قة ام تحمل هرونا	ام الشمس ام البدر	ام الدنيا ام الدنيا

لا رحمتك مما قطع عليك طريق استحقاقك، ومدح غيرك بمحاسن اخلاقك، واما قول الطائى

تسود اقوام ولم يسوا بسادة		بل السيد المقدام سلم بن نوفل	

فلا شك ان الشيطان تكلم به على لسانه حتى ابرز وصفك فى غير اوانه، ولو رآك علم ان سلم بن نوفل لا يسود وانت حى واما قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر		كنت المنور ليلة القدر	

فانى والله اعجب منه كيف قاله فى غيرك ولم تره جهنم بشرارها، ولم ترجمه الملائكة باحجارها، واعجب منه قول من قال فى معن بن زائدة

مسحت معد وجه معن سابقا		لما جرى وجرى ذوو الاحساب	

كيف يسبق غيرك فى حلبة انت فى علادها، وكيف يكون غيرك سابق جيادها، انت رحمك الله تعالى من ايدى هؤلاء الشعراء الكذابين موحوم، وفيما بينهم مظلوم، سلبوك علاك وهو حلاك، ونحلوها قوما سواك، والمدح الكاذب ذم، والبناء على غير اساس هدم، والكلام يرجع الى مظنته، والمدح ينصب الى قرارته، كما قال ابو الطيب المتنبى

واذا الفتى طرح الكلام معرضا		فى بحلس اخذ الكلام اللذ عنى	

وكفاك بفضلك ما حالك، وحسبك بانفرادك مقارعا دونك، هذه رحمك الله هدية اهديتها اليك بل هدك من العرائس حلوتها عليك وما مهرها

الا فقدك، ولا ثمنها الا بعدك، فاذا وهبتها فقد وفيت المهر، وارضيت العروس والصهر، فسبحان من ارانيك ولك صهر مثلي، وانت ختن لي وعهدي بالناس يخطبون الكرائم بالكرم، ويطلبونها بحسن الاخلاق والشيم، وانت خطبت هذه الكريمة بلؤم بخرك، وصغر قدرك، وعهدك بهم يحتملون المهور في اموالهم وانت جعلت مهر هذه من عرضك الخلق اللبيس الممزق واعجب ما فيها انك اذا طلقتها لم تطلقك، واذا اطلقتها من حبالك لم تطلقك، فخذها مباركا لك فيها، فبئست العروس وزوجها شيء منها

وكتب في نكبة نيسابور ووالاها حسام الدولة ابي بكر بن عبدوس بعض عدول نيسابور

وصلت الرسالة التي كل الرسائل دونها في الكتبة، كما ان كل كاتب دون كاتبها في الرتبة، ووافقت مني قلبا معمورا بل خربا بالهم، وجسما معضلا بل مكدودا بالسقم، فشفت القلب حتى نسي همه والجسم حتى طلق سقمه، واذا صدرت الموعظة من قلب سليم ولسان حكيم وردت على اذن واعية، وعين كالئة، واذا عوفق الطبيب الداء، ولئن كانت الايام سلبتني من المال علقا خطيرا، لقد ابقت لي منك عوضا كبيرا، ولئن كانت صادرتني على ثوب يبلى، ودرهم يسلى لقد وهبت لي من مودتك ما لا يبلى اذا استعمل، ولا يصدأ اذا اهمل، ولا يفنى اذا بذل، ولا يخلق اذا ابتذل على اني قد تعودت ضربات الزمان حتى صارت لا توجعني، والفت صواعقه ورواعده حتى صارت وان قربت مني لا تسمعني ونكبت حتى ما ابكي لنكبة، وفوجت حتى ما اضحك لفرحة، ولقد

ورماني الدهر بالارزاء حتى	فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام	تكسرت النصال على النصال

فها انا الجريح المقطع، والفؤاد المرقع، والغرض الذي رمي حتى دمي وضرب حتى نقب واصابته السهام حتى لا يتوجع لها، ولا يحس بها، وطالما ارادت الايام ان تحركني فوجدت بحمد الله صنجة راجحة ونفسا متماسكة

وقلبا لا تقلبه السراء ولا الضراء، ولا يغيره الدواء ولا الداء، ولقد قبلت الايام على ما استقبلتها فرحا ومرحا، وادبرت عني فما شيعتها جزعا ولا هلعا، ولبست لكل حال لبوسا، اما نعيما واما بوسا، ومما احمد الله تعالى عليه ان هذه الواقعة لم تشلم قدري، وان كانت ثلمت وفري، ولا حلت عقد صبري وعزائي وان كانت حلت عقد ملكي وثرائي، وان اصبحت يوم اجتماع جيشها علي وزحوف عساكرها الي والوجه طلق، واللسان ذرب ذلق، واللون مضيء مشرق، والقلب متماسك متمالك، ومدد الصبر متقاطر متدارك، لم الاحظ الفائت بعين تدمع، ولم اقابل النازل بنفس تهلع، ولا عرلساني ولا قلبي في ميدان كلام، ولا قصر همي ولا همتي عن غرض في مرام، ذكرت ايدك الله سلفي رحمهم الله تعالى وانك بقيتي منهم، ومذكري بهم ومسلي قلبي عنهم، وصديق الوالد والد وان لم يلد، وقرب الولد ولد وان لم يولد، ومن صادق اخا ولم يصادق اباه فانما اخذ ابتر الذنب مجهول الاصل والنسب، ومن صادقه قبله سلفه فقد ضم على الجبل يديه من كلا طرفيه، وعرف صديقه من جانبيه، رحم الله تعالى اولئك القوم الذين

ورثت سيوفهم وبقيت فردا	وما نفع السيوف بلا رجال

فلقد فجعت منهم بخير سلف، ورثتهم خير خلف، اطال الله تعالى بقاءك على حالة ارضاها لك وارضاك فيها، ولا استزيدك عليها، وهذا الدعاء محال فاني لو رأيتك امتطيت السماكين وانتعلت الفرقدين، وملكت الخافقين واستعبدت الثقلين، وتناولت الشمس والقمر بيدين، وطئت الفلك برجلين، ما بلغت ما اريد، وكنت استزيد واستعيد

وكتب الى ابي الحسن بن عبد العزيز قاضي جرجان وقد خرج منها

فان اك قد ودعت نجدا واهله	فما عهد نجد عندنا بذميم

جميع ما حصل لي بهذه الحضرة من تنزيل وانزال، ومن اقبال علي وانثيال، ومن قول جميل وفعال، فانما فعل بي، واتفق لي لاحسان الوزير كان

الى ؛ وتوفره كان على وبذله لى الرغائب التى لا تسمح بها الانفس مثله
ولا تؤول الا عن مثل يده فهو الذى قومنى قيمة صارت لى بين الملوك قيمة
عدلك وقضى لى بشهادة اصبحت فى العباد والبلاد قضاء فصل ونظر الى
اهل هذه الحضرة بعينه ووزنونى بمثل وزنه ووضعونى فى الكفة التى
وضعنى فيها ، واهلونى للرتبة التى اهلنى لها ، وعلموا انه الحاكم الذى لا ينقض
حكومته والشاهد الذى لا تجرح شهادته والرجل الذى لا اختار معه قوله ولا نظر مع امره
ولا خلاف عليه ولا رجوع الا اليه وانه لا يشترى من المتاع الا ما يخرج من نار الاختبار
صريحا صحيحا ولا يرضى من القداح الا ما يخرج من كف المجيل معلى لا منيحا فضربوا على سبيله
وسلكوا فى طريقته ونسجوا على منواله ، وحذوا على مثاله ، فوصل الى نواله ،
وان كان لم يصل الى ماله ، وحصل لى بره ، وان لم يخرج به امره ، وشيعتنى
بركات حضرته بعيدا عنها كما كانت تستقبلنى وتكتنفنى قريبا منها
فكل جميل اطرفته فمنسوب اليه ، وكل خير رزقته فمن آثار لسانه ويديه

ان تبوأت غير دنياى دارا	واتانى نيل فانت المنيل

وانما الملوك شعراء يتناقضون فعلا لا قولا ، وفرسانا يتسابقون افضالا
خيلا ، فالحمد لله الذى جعلنى فارق تلك الحضرة فلا تفارقنى عوائد فضلها
ولا يخسر عنى نصيبى من ظلها ، واياه اسأل ان يطيل بقاء الوزير على
حالة ارضاها لله والله ما اضى له الارض خطة ، ولا السماء ظلة ، ولا الدنيا
خزانة ولا الشمس طلعة ولا الدهر نجادا ولا الفلك حاجبا ولا السعد سوكا
ولا السيف قلما وان يحرس على الدين جماله ويبلغه فى الدارين آماله

وكتب الى بعض اصدقائه

كتابى وقد كنت احب ان ينظر سيدى الى وقد لبست جمال هذه الدولة وتشربت
حلى ماء هذه الحضرة ورفعت طرقا طالما غضضته ، وبسطت باعا طالما قبضته
فيعلم سيدى ان غراسه قد تمر ، ومراده قد تيسر ، وان علاجه حالا قد هزم الداء
وجلب الشفاء ، بعد ما اعيا الاطباء وغلب الدواء ، فان فرح الطبيب بعافية

المريض اشد من فرح كل اخ قريب وكل حميم وحبيب الآن حين انقطعت عن
الملوك وابوابهم فقد كان لى عذر فى ورود النهر قبل ورود البحر ، وفى
الاجتزاء بالتيمم قبل وجود الماء الطهر ، وعهد سيدى بى وانا ارتاد
غير ارضى وارتع فى غير روضى ، واطلب لرزقى خارجا من بابه فالآن
قد نزعنا تلك الثياب واغلقنا ذلك الباب ، ونسخنا ذلك الكتاب

وكنت زبيريا فاصبحت شيعة	لمروان وارتد لهوى لابن بجدل

هذا وقد انثال على من الخير بهذه الحضرة ما تولى بيانى حسيرا ولسانى قصيرا
والنعمة اذا زادت على الوظيفة مسكنة ، والسرور اذا افرط مقطعة
ومسكنة ، والناطق اذا تحير ابكم ، والشاعر اذا خرج عن مقدار استحقاقه
مفحم ، فلا زال السيد يبتدع برا ، ويقصد بقوله وفعله خيرا ، ويكفيه شرا
ونصره الله تعالى على دهره ، فانه لئيم ظفره ، قبيح فى الاحرار اثره

وكتب بعد محنته ورجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزمشاه وقد نكبه

كتابى وانا بين محنة قد دبرت ، ونعمة قد قبلت ، وولى قد ملك وعدو قد
هلك ، والحمد لله الذى ابتلى ثم ابلى فانعم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله الاكرمين ورد كتابك ولست اقول غمنى واهمنى بل اقول اعمانى واصمنى
تذكرانك امتحنت وانت بريء ، ونكبت وانت محسن لا مسيء ، واى ذنب
اعظم من ان تشكر بالفضل اهل النقص واى جرم اشنع من ان تتنزل بالفهم فيما
بين طبقات هل الجهل وعالم الظالم الكبير والقفص الصغير وما بال الدرة اليتيمة
ترضى بالصدفة اللئيمة ، وانما الادب جناح فهلا طرت به من الوكر الصغير الى
الوكر الكبير ، وهلا اذ كملت آلتك انتجعت بها مكانا تكمل فيه حالتك ،
وما تولت بك هذه النازلة الا ليقلعك بها السعد من يد النحس من تلك البقعة
الناقصة اهلا ، المنبتة جهلا ، فابشر ولا تتهم الله تعالى فى مصالح خلقه ،
ولا تقنط من رزقه ، فانه انما يتاب المبطلون ، ولا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون واياك ان تقل هذه الحادثة غربك ، او تكسر حدك

وتضرع خدك، او تشلم ركنك، او تسئ بالله تعالى ظنك فانما كانت صاعقة احرقت ثوبك، ومست بعضك، وسلم الله ولله الحمد منها روحك، و صان فيها لسانك وقلبك، وورائك الدهر الطويل، وخلقك صنع الله الجميل، ووعده بجميل صنعه كفيل، وقد خرجت الى الدهر من نوبة العسر، فهو عزيمك الآن فى اليسرى، واذا راى جلادتك على وقع سهامه، و صلابتك على تصريف ايامه، جاءك معتذرا، وهو باليك مستترا واسا باليمنى ما جرح باليسرى، ووزن عليك بالسنجة الكبرى، ما اتحزن منك بالسنجة الصغرى، فانتظر الفرج فانه منتظر، واصبر فان الدهر لا يصبر،

وكتب الى ابى محمد عبد الرحمن بن احمد من نيسابور

كتبت الى الشيخ من داره التى طالما تصرفت بها على امره ونهيه، وتقلبت فيها بين افضاله وفضله، وحالى بركته تعلقنى بذيل الدولة السامية، وانتمائى الى الحضرة العالية عن يمينى السلامة وعن يسارى العافية، ولا تزال كتبى ترد على الشيخ بكلام ان لم تكن فى ادنى طبقات الجودة، كانت فى اولى طبقات الرداءة، وانما يروى الناس احد الكلامين ويتمسكون فى الرواية باحد الطرفين فاما حسن جيد معجب واما ردئ معجب ولقد والانى الشيخ من الصنع العميم ومن الاحسان الحادث والقديم، ما تركنى اهذى بمدحه، واحتلم بوجهه واتصبح باسمه واتفاءل بذكره، واحتلب ضرع الشعر بذكره، ولن استعين على شكر تلك النعمة، ولا امسك بيدك طرف تلك الخدمة، بمثل الاعتراف بالتقصير عن الواجب، والقصور عن اداء المواجب وانما النعمة مطية شرود ولن تربط بمثل الشكر، ولن تنفر بمثل الكفر، وانما الشيخ اب بر واهل الادب بناؤه، وسمسار كبير وطبقات اهل العلم والفضل حرفاؤه فمن احسن الى احدهم فانما احسن اليه، وافضل عليه، واستحق المكافات من لسانه ويديه وليشكرنا اهل الصنعة اذا احسن بناء، وليعلم انه قد حصل له ما حصل لنا وقد احسن الى فلان فى كذا والشيخ هو الذى مهد لى عنده موضعى

وسهل

وسهل لى مسلكى، ووطأ لى فى تلك الحضرة لسانا، واقام لى بها ميزانا، لا زال الشيخ راكبا كاهل الدهر، محكما فى الخير والشر، تخدمه الانام بل الايام، وترجوه الكرام كما تخافه اللئام، وتعشقه السلامة والسلام

وكتب الى ابى منصور كثير بن احمد

كتبت الى الشيخ من داره التى ما ينغصها على الابعد عنها، وخلوها منه وقد كثرت كتبى اليه كثرة نعمه على وتواترت تواترا يادية الى وعهدى يتفضل الشيخ يسلك طريق الابتداء، والطريق محرم فكيف صار الآن لا يسلك طريق المكافاة والطريق معبد قد سمع الشيخ اخبارك بالحضرة وانى اكتلت بالصاع الاوفى واتزنت بالسنجة الكبرى ضعف ما كنت وزنت بالسنجة الصغرى واسترجعت باليمنى ما كنت اعطيت باليسرى وفلان قد وصلت الى بركات اتصالى به وانا فى غير حضرته واخذت ماله وان لم يخرج من خزانته واستغرق الله مرجحظى الدنيا كلها حضرته والناس باجمعهم رعيته، و الملوك باسرهم شيعته والاحرار عياله وحاشيته، فاما اعداؤه فرجوم من الم الحسد ومقتولون بسيف الغم والكمد سكوته افصح من كلامهم، ومنعه اندى من نوالهم، وحجابه احلى من لقائهم، وعبوسه احسن من ابتسامهم وغضبه انفع من رضاهم، ويسراه اسد من يمناهم، وبخله افضل من عطاياهم

وكتب الى ابى القاسم المزنى وقد صالح اخاه

كتابى وانما الشيخ بازعتيق كان طار عن اهله، وفرخ عميم كان انقطع من اصله، فردته ايام السعادة الى بيته، وضمت اتفاقات الاقبال بعضه الى بعضه ونعم المعلم الدولة ونعم الدليل السعد والسعادة وانا اعرف الشيخ معرفة يقين وغيرى يعرفه معرفة ظن، وانظر اليه بعينين وسواى ينظر اليه بعين والرجال كثير ولكنهم قليل، والدهر باشخاصهم جواد، وبحقائقهم بخيل، وقد كنت احسبانى اذا هربت من نعمته على وانهزمت من عساكر احسانه الى خفت رقبتى من طوق صنائعه، وخلت يدى من بعض دوائعه وتنفست الى الفراغ مدة واسترحت

من تواتر الاعباء، وتناسق النعماء، ولو ساعة واحدة، فاذا نعمتك لى بمرصد حيث كنت، وعلى مدرجتى اينما قطنت او ظعنت، اهرب منها وتتبعنى، وارحل عنها وتشيعنى فنها الطلب ومنى الهرب فلا عدمتها طالبا، ولا زلت منها هاربا ولا زال الشيخ يستقل باحسانه كل نازل، ويشيع به كل راحل، واطال الله بقاءه على حالة ترضينى له وفيه فوالله ما ارضى له الا بالرضى، ولا انزل فيه الا وراء الغاية القصوى، ولا استعظم له ملك الدنيا ولا ملك الورى، ولا تزال كتب الشيخ ترد بما يحيى ميت مالى بل ميت آمالى وتطرى خلق حالى وترد الماء فيما نضب من جمالى ولسان العناية ناطق ووسم الاحسان على الاحوال لائح وطريق الجميل نهج واضح، والشيخ صنائعه فى الناس رجوان لا اكون اعياهم لسانا ولا اقصوهم بالشكر بيانا، ولا اسواهم لنعمته جوادا ولا اقلهم باعبائها نهوضا ومن كبر الانسان كبر شكره، ومن شرف الكلام شرف من رواه ونشره، وانما السيد بطاعة عشيرته، والامير بصلاح رعيته، والممدوح بالسنة شيعته

وكتب رحمه الله تعالى

طالت محنة فلان حتى كأن حبسه الابد الذى ليس له امد، وكأن عطبه يوم القيامة الذى ليس له غد، وانى اكره للسيد ان يكون زحلى خطوة العفو جماد حركة الصفح لا يخل عقده، ولا تحاه عن فريسته يده، فان ذلك يقوى عزم عدوه على مقارعته، ويثلم رجاء وليه لمراجعته، ولعمرى ان الاسير لكبير واكبر من الاسير من اسره ثم اعتقه واشجع من الاسد من قيده ثم اطلقه

وكتب ايضا

تركى مكاتبة الشيخ وهى معترضة لى غم وحسرة واقدامى عليها قبل استطلاع رأيه فيها خرق وعجلة ولما اكتنفنى الحالان سلكت طريقة بينهما، متوسطة لهما، فاقتصرت من الكتاب على الرقعة ومن التفصيل على الجملة فان اكن قد احسنت فالقليل من الاحسان يقبل، وان اكن اسأت فالقليل من الاساءة امثل، موصل الرقعة فلان وهو تام فى آلته، ناقص فى حالته، جديد ثوب الجمال خلق ثوب الحال، حال من الادب عاطل من النشب، وسبيله ان يوزن فى كفة كماله، لا فى كفة حاله،

وكتب

وكتب ايضا

تأخر كتابك يا سيدى فطرق لسوء الظن طريقا الى وفائك، وفتح للتهمة بابا الى اخائك، وانى لاكره الوديعة الطلاقى، وخبر به التنائى، وابغض الصديق بضم مقاليد البغض والحب فى يد البعد والقرب، وانا الذى اصاب عهدك بعينه، وافسد بحسن ظنه، ويا عجبا للدهر كيف فطن لمحالك من قلبى، وكيف طلع على غيبى، وما زال الدهر يقرطس سهمه فى كل شئ احببته ويعارضنى فى طريق كل مراد طلبته، حتى لو احببت الموت لابقانى، ولو اردت الحرمان لاعطانى ولو اثرت الفقر لاغنانى، ولو عاديت الباطل لوالاه وعادانى ولقد

عجبت للدهر فى تصرفه	وكل افعال دهرنا عجب
يا بين الدهر كل ذى ادب	كأنما نالك امه الادب

وكتب الى ابى القاسم الحسن بن على

انقطع كتابى عن الشيخ لتصاريف الاحوال اليه، وتكون الاسفار والاطوار عليه، لانه كان مشغولا بكتائب الاعداء عن كتب الاولياء وبمقارعة الامراء عن مطالعة الادباء والسيف اصدق انباء من الكتب، فلا جرم انه قد اسفرت آماله عن الساعى الغر وعن الآثار الزهر وعن الفتح والنصر فافترع مملكة طالما خطبت فنالت وطلبت فما وجدت بكرا فافترعتها كف حادثة، ولا ترقت اليها همة النوب وهى زرقة الوجه قد اعيت ياضتها كسرى وصدت صدودا عن ابى كرب وعلى قدر الهمة تكون مقادير الاثار وفى دون القيمة يكون افتراع الابكار وشتان بين من افتض عذارى الجوارى وبين من افتض عذارى النواحى لابل شتان بين من صار مملوكه تحت اللحاف وبين من صار مملكة تحت الرماح والاسياف لابل شتان بين من افعاله ثيبة وطريقه مسلوكة قد سبق اليها، وشوهد فيها، وبين من

ترفع عن عون المكارم قدره	فما يفعل الفعلات الا عذاريا

والشيخ ادام الله عزه على قضية فعله وشريطة فضله ذو الكفاية للسبق فى الحلبتين والتحلى بالحليتين، فهو فارس القلم واللسان ثم رب السيف والسنان

فقد كان يوم نكبجودك باهرا	حتى اضفت اليه يوم ضراب

وبديهة انشأت بتدأت طريقها		لولاك لم تكتب على الكتاب	

والحمد لله تعالى الذى ألحق زماننا بالأزمان وان فضل الزمان راجع الى فضل اهل الزمان وعلى مقادير الايام تكون محاسن الانام وان ذكر اهل العراق فى رجالهم الفضل بن سهل ذا الرياستين وعلى بن سعيد ذا القلمين واسحق بن كنداج ذا السيفين وصاعد بن مخلد ذا الوزارتين وقبلهم طاهر بن الحسين ذا اليمنين ذكرنا ذا الكفايتين وزدنا عليهم للواحد اثنين لان اولئك انما ضربوا باسيافهم والدنيا شابة والخلافة مقبلة والايام مساعدة والسعود قائمة والنحوس نائمة ونحن رفعنا الى زمان هرمت فيه الدولة وفترة الدعوة وكسدت السلعة وبطلت الصنعة وضاقت المملكة وكل القلم وقل الدينار والدرهم، وانشدنا

اتى الزمان بنوه فى شبيبته		فسرهم واتيناه على الهرم	

وانما الناس بالاحسان، والاحسان بالسلطان، والسلطان بالزمان والزمان بالامكان والامكان على قدر الكيان

وانت عبيد الله اكبر همة		واكرم من فضل ويحيى وخالد	
اولئك جادوا والزمان مساعد		وقد جاد ذا والدهر غير مساعد	

هناه الله تعالى بما اولاه، وبارك له فيما اعطاه، واراه فى اولاه واخراه، وفيمن والاه وعاداه، ما يريد ويهواه، وآتاه مما يسمعه ويراه ما يقتحه ويتمناه، وادانى فيه ما يرضاه وارضاه حتى رعى الدهر وهو عبده ومولاه والسيف يتبع مراده وهواه والاقبال وهو يمسك طريق خطاه والموت وهو سلاحه وبداه يفنى من اغناه ويبقى من ابقاه، ويرعى فى الآمال والآجال ما يراه، واطال بقاءه وجعلنى فداءه والسلام

الحمد لله رب العالمين وقد تناهى طبع هذه الرسائل التى لم يبلغ شاؤها فى الفصاحة سحبان وائل بل هو عندها ادنى من باقل باهتمام المكرم المحترم الميرزا محمد الملقب بملك الكتاب الذى هو فى تدبيره محيى الفنون والعلوم وكاشف بين السفاف و الصواب بخط اقل الخليقة بل لا شيء فى الحقيقة الميرزا محمد حسن ابن على الكاتب عفى الله عنه وعن ابويه وعن الديه وكان ذلك فى غرة الشهر شعبان سنة ١٣٠١

MIRZA MOHAMED SHIRAZI
ملك الكتاب
BOMBAY

هذا فهرست رسائل ابى بكر الخوارزمى

صفحه		صفحه	
٢	كتب بما الى الحاجب ابى اسحاق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله	٣٠	وكتب الى حاكم
...		٣	وكتب الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان
٨	وكتب الى كثير بن احمد لما هرب من الاديب ابى الحسن رح	...	
...		٢١	وكتب الى ابى الحسن الحكمى
٨	وكتب الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة	٢٢	وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة
...		...	
...	وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله	٢٣	وكتب الى ابى الحسن على بن دابة
...		...	
١١	وكتب الى تلميذ له قطع فى مجلس وكابر واختلط	٢٤	وكتب الى ابى الحسن الحكمى
...		٢٤	وكتب الى ابى الفرج لما قلده خلافة البنكلا ربطوس
١٢	وكتب الى ابى عمر المكندرى وزير صاحب جرجان	...	
...		٢٥	وكتب الى وزير خوارزم شاه لما نكب فكان خريجة هرجة
١٢	كتب الى صاحب ديوان الحضرة وقد طلب ابو بكر بعض الديوان فانفصل	...	
...		٢٧	وكتب الى ابى على البلعمى لما فارق الحضرة وورد نيسابور
١٤	وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له	...	
...		٢٩	وكتب الى ابى محمد العلوى
١٥	وكتب الى ابى الحسن الطرحودى بلد طوس	٣٤	وكتب الى تلميذ له قصيدة يسأله نسخة قصيدة مما احدثه
...		...	
١٦	وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير	٣٤	وكتب الى حاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت
١٧	وكتب الى رئيس بهواه يعزيه بابن اخته وبنته	...	
...		٣٧	وكتب الى محمد بن حمزه رئيس خوارزم
٢٠	وكتب الى صديق له جواب كتابه	٣٨	وكتب الى كاتب الرئيس بنيسابور

٤٠	وكتب الى ابى الحسن الحاكم بن ابى حاتم لما	٤٤
...	هرب من نيسابور الى بخارى بعد ان اراد	...
...	القبض عليه وبعث خلفه فلم يجده	...
٤٢	وكتب الى وكيل الوزير ابن عباد باصفهان وقد	٤٦
...	ولى سوق الطعام بعناية وهو امى	...
٤٣	وكتب الى ابى القاسم الداودى	٤٨
...	اول ما افتتح بمكاتبته	...
٤٤	وله الى تلميذ له وكتب	٤٨
...	اليه رسالة وقصيدة	...
٤٨	وكتب الى رئيس سرخس وقد ورد	٤٩
...	عليه ابنه يعتذر من تقصيرة اليه	...
٥٠	وكتب الى صاحب البريد بالرى	٥٠
...	كتبها من اصفهان	...
٥١	وكتب الى ارد هل وقد	٥٠
...	ورد عليه خبر علته	...
٥٢	وكتب الى يزيد صاحب سمرقند	٥٢
٥٣	وكتب الى الوزير ابن عباد لما ورد باجرجان	٥٣
...	لقتال الاسپهبد قابوس بن وشمكير	...
٥٥	وكتب الى ابى كثير بن احمد	٥٤
...	عزيه عن ابنة له	...
٥٦	وكتب الى ابى محمد العلوى	٥٥
...	جوابا عن كتابه	...
٥٩	وكتب الى كاتب	٥٦
٦٠	وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة	٥٧
٦٢	وكتب الى وزير صاحب خوارزم	٥٨

٤٤	وكتب الى ابن سهل سعيد	...
...	بن عبد الله الكاتب	...
٤٦	وكتب الى ابى القاسم وقد	...
...	انهدمت داره عليه وسلم	...
٤٧	وكتب الى ابى احمد الوازى	...
...	ببند رنيسابور	...
٤٨	وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان	...
٤٨	وكتب الى ابى سعد احمد بن شبيب	...
٧٠	وكتب الى تلميذ ورد له كتاب ترفع الفاظه	...
...	عن كتابه مثله وطلب نسخة شعره	...
٧٠	وكتب اليه ايضا	...
٧١	وكتب الى حاجب ركن الدولة بالرى	...
٧١	وكتب الى عبد الله النحوى	...
...	الخطيب بالرى	...
٧٣	وكتب الى قاضى الرى ابى الحسن بن شاذان	...
٧٤	وكتب الى صاحب ديوان الحضرة	...
٧٦	وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه وسر	...
...	باصفهان وتوفيت اخت الوزير	...
٧٩	وكتب ايضا الى بندار نيسابور من الرى لما رجعت	...
...	الوزارة الى الوزير ابن عباد وهنأه عن بلد ماه ابن العميد	...
٨٣	وله الى بعض حكام الرساتيق	...
...	لما رجع الى نيسابور	...
٨٤	وكتب اليه ايضا	...
٨٥	وله الى فقيه بلاد قومس وقد	...
...	ورد عليه ابنه للقراءة	...

وله

٨٥	وله الى خلف بن احمد	١٠٠
٨٦	وكتب الى ابى القاسم بن ابى الفرج	١٠٠
...	كاتب ركن الدولة لما عزل	...
٨٧	وكتب الى ابى على البلعمى بعد	١٠١
...	ابيات استنبط اجوبها	...
٨٨	وكتب الى تلميذ له من فقهاء	...
...	نيسابور لما هرب من محمد بن ابراهيم	١٠٢
٨٨	وكتب الى ابى على البلعمى لما بلغ منه عتبه	١٠٣
...	وخروج توقيعه بالتقريع واللوم	...
٨٩	وكتب اليه لما طال عتابه وكثرت دواعيه اليه	...
٩٠	وكتب الى ابن سمكة القيم	١٠٥
...	وقد اهدى اليه مع كتابه هدية	...
٩١	وكتب الى تلميذ له لما تخلص	١٠٦
...	من يد محمد بن ابراهيم	...
٩٢	وكتب الى احمد بن شبيب	١٠٧
٩٣	وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم	...
٩٤	وكتب الى كاتب بخوارزمشاه وقد تخلص من	١١٠
...	المصادرة يشتكى اليه وزير صاحبه	١١٠
٩٥	وله الى وزير خوارزمشاه لما نكب	١١٠
٩٦	وكتب الى ابى محمد العلوى	١١١
٩٨	وكتب الى ابى العباس كاتب محمد بن ابراهيم	...
...	وقد طلب منه نسخة رسائله	١١٢
٩٩	وكتب الى ابى الحسن عبد العزيز	...
...	صاحب ديوان الرسائل	١١٤
١٠٠	وكتب الى ابى سعيد المتوفى بناحية محمد بن ابراهيم	١١٥

وله اليه	١١٦
وكتب الى فقيه همراة بعد	...
ان خرج منها عليلا	...
وكتب الى تلميذ له ورد عليه كتابه باند عليل	...
وكتب اليه وقد ورد كتابه	...
بافاقته وحمل اليه تفاحا	...
وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة	...
وكتب الى صاحب ديوان الحضرة	...
وكتب الى ابى الوفاء صاحب	...
جيش عضد الدولة	...
وله الى ابى الحارث من ولد هاشم بن ماسجور	...
وهو ملك الجبل وقد راسله يستعلى كتابه	...
وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة	...
وله الى كاتب بعض الامراء وقد ورد	...
عليه كتابه يشكو فيه الجرب	...
وله الى قاضى الرى ابى الحسن الهمدانى	...
وله الى ابى المعالى وزير صاحب الجبل	...
وله الى سعيد بن سمكة	...
وله الى ابى نصر الميكالى يشكوه على	...
اصطناعه فقيها من تلامذته	...
وكتب الى حاكم سرخس وقد	...
اهدى اليه كتابا طلبه منه	...
وكتب الى ابى بكر بن سمرد	...
وكتب الى تلميذ له عن كتاب قصيدة	...
وكتب الى ابى الفرج خليفة الوزير بنيسابور	...

١١٧	وكتب الى كثير بن احمد لما هرب الى الري	١٤١	وكتب الى ابى بكر النحوى
١١٩	وكتب الى رئيس قم	...	اديب الجبل واصبهان
١١٩	وكتب الى امير خوزستان	١٤٢	وكتب الى ابى بكر بن شيرزد
١٢٠	وكتب الى ابى سعيد رجاء	١٤٣	وكتب الى الوزير بالحضرة
...	بن الوليد الاصفهانى	١٤٥	وكتب الى تلميذ له
١٢١	وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما	١٤٥	وكتب الى حاكم نيسابور من اصفهان
...	قصدهم محمد بن ابراهيم واليها	١٤٥	وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم
١٣٠	وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته	١٤٦	وكتب الى ابى سعيد رجاء
١٣٢	وكتب الى رئيس سمرقند	...	بن الوليد الاصفهانى
١٣٣	وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب جوابا	١٤٧	وكتب الى الوزير ابى القاسم
...	عن كتاب له ورد عليه يبشره فيه	...	اسماعيل بن عباد رحمه الله
...	بخلاص وزير خوارزم شاه من المحنة	١٤٧	وكتب الى ابى الحسن الحكمى
١٣٤	وكتب الى خوارزم شاه	١٤٨	وكتب الى تلميذ له وظهر عليه الجدرى
١٣٥	وكتب الى العامل على البريد بالاهواز	١٤٩	وكتب الى فقيه من تلامذته
١٣٥	وكتب الى ابى حامد بن	١٤٩	وكتب الى الملك لما اصيب
...	روزبه اديب قومس	...	بابنه عن خوارزم شاه
١٣٦	وكتب الى ابى زيد جوابا عن كتابه	١٥٠	وكتب الى ابى منصور ملك
١٣٦	وكتب الى ابى حامد ايضا	...	الصغانيان يعزيه فى عم ابن سعيد
١٣٧	وكتب اليه ايضا	١٥١	وكتب الى ابى القاسم بن على
١٣٧	وكتب تعزية الى ابى بكر	...	صاحب جيش الصغانيان
١٣٨	وكتب الى ابى سعيد رجاء	١٥١	وكتب الى فقيه فى تعهد مسجد
...	بن الوليد الاصفهانى	١٥٢	وكتب الى ابى شجاع بن محمد
١٣٩	وكتب الى ابن العميد لما حكم	...	كاتب بن قراتكين
١٤٠	وكتب الى ابى القاسم الابلى ببغداد	١٥٣	وكتب الى رئيس نيسابور
١٤٠	وكتب الى ابى سمكة بقم	١٥٣	وكتب الى على بن كامه

١٥٤	وكتب اليه لما ولى قومس	١٧١	وكتب الى ابى الحسن المعروف
١٥٤	وكتب الى ابى طاهر وزير ابى	...	بالبديعى لشاعر زعم يعيث به
...	على بن الياس بكرمان	١٩٢	وكتب فى نكبة نيسابور
١٥٥	وكتب الى حاجب لوزير ابى القاسم بن عباد	...	واليها حسام الدولة ابى بكر بن
...	حين ورد خراسان وحمل اليه نزلا	...	عبدوس بعض عدول نيسابور
١٥٦	وكتب الى ابى محمد العلوى	١٩٣	وكتب الى ابى الحسن بن عبد العزيز
١٥٨	وكتب الى قاضى القضاة	...	قاضى جرجان وقد خرج منها
١٥٩	وكتب الى قاضى سجستان	١٩٤	وكتب الى بعض اصدقائه
...	حين نكبة اميرها	١٩٥	وكتب بعد محنته ورجوعه الى
١٦١	وكتب الى مسكويه وقد تزوجت امه	...	خراسان الى كاتب خوارزم
١٦١	وكتب الى صديق له على	...	شاه وقد نكب
...	ديوان الخراج	١٩٦	وكتب الى ابى محمد عبد الرحمن
١٦٢	وكتب الى ابى محمد العلوى	...	بن احمد من نيسابور
١٦٧	وكتب الى تلميذ له وقد استعار	١٩٧	وكتب الى ابى منصور كثير بن احمد
...	نسخة رسائله ينسخها فتمادى	١٩٧	وكتب الى ابى القاسم المزنى
١٦٨	وكتب الى خوارزم شاه	...	وقد صالح اخاه
١٦٩	وكتب الى كاتب صاحب جيش جوابا	١٩٨	وكتب رحمه الله تعم
...	عن رسالة مدحه وعاتبه فيها	١٩٨	وكتب ايضا
١٧٣	وكتب الى رئيس دامغان	١٩٩	وكتب ايضا
١٧٣	وكتب الى خوارزم شاه	١٩٩	وكتب الى ابى القاسم
١٧٤	وكتب الى ابى سعيد احمد بن	...	الحسن بن على
...	شبيب لما شارف نيسابور		
١٧٦	وكتب الى صاحب جيش خوارزم وورد	٢٠٠	تمت الفهرست
...	عليه كتابه بخبر علته يعتذر اليه من ترك		
...	العيادة ويتوجع له من العلة		بعون الله تعالى

هذا كتاب

رسائل ابي بكر الخوارزمي

في سنة ١٣٠١ هجري